

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
الجمعية العلمية السعودية
لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب



مَجلّة
الدِّرَاسَاتِ العَقَدِيَّة

مجلّةٌ عِلْميّةٌ محكَّمَة مُتخَصِّصَة

طبع على نفقة الشيخ إبراهيم بن حمد الوقيصي

غفر الله له ولوالديه وذريته و المسلمين

العدد ٦ – السَّنة الثالثة– رجب ١٤٣٢ هـ

ردمك × ١٦٥٨-٥١٦

رقم الإيداع ١٤٣٠/٧٦١٧


بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير (ص.ب ١٠٠٤٠) المدينة المنورة.

جوال ٠٥٥٨٣٠٣٨٤٠

هاتف ٠٤٨٤٧١١٥٥

فاكس ٠٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الإلكتروني

aqeedaamm@gmail.com

قواعد النشر في مجلة الدراسات العقدية

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

١ ـ أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.

٢ ـ أن تكون خاصة بالمجلة.

٣ـ أن تكون أصيلة من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

٤ ـ أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.

٥ ـ أن تكون في مجال تخصص الجمعية.

٦ ـ أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).

٧ ـ أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.

٨ ـ أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.

٩ ـ أن تصدّر بنبذة مختصرة ـ لا تزيد عن نصف صفحة ـ للتعريف بها.

١٠ ـ أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبيّن عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.

١١ـ أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج الوورد xp أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: Lotus Linotype

جـ- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٣]

د- مقاس الصفحة الكلي: ١٢سم× ٢٠سم = (إعداد الصفحة: ٥أعلى، ٤.٧٥ أسفل ٤.٥ أيسر وأيمن)

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢غير مسود

ز- رأس الصفحة: ١٢أسود

العنوان الرئيسي: ١٨ أسود

العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاث نسخ، منها نسختان قرصان مستقلان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه +١٥مستلة منه.

مجلة الدِّرَاسَاتِ العَقَدِيّة

المواد المنشورة

في المجلة

تعبر عن آراء أصحابها

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة

إرادةُ الدّنْيا بعَمَل الآخِرَة

إعداد

د. عبد الله بن محمد بن عبد العزيز السـند

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بكلية أصول الدين،

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

فإن من القواطع الشرعية، والمسلمات العقدية أن العمل لا يكون صالحا إلا إذا اجتمع فيه شرطان: الإخلاص، والمتابعة(١).

فمن عمل صالحا من عمل الآخرة، لله تعالى؛ ابتغاء ما عنده، فهو المفلح الذي يلقى جزاءه يوم يلقى ربه تعالى، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى ما شاء الله(٢).

وهذه هي حال الكمّل من العباد الذين يريدون بعملهم ما عند الله تعالى، من النعيم المقيم، والرضوان الأكبر، غير ناظرين إلى حظ من حظوظ الدنيا الفانية.

ومن دونهم قد يرجو مع ما عند ربه تعالى في الآخرة شيئا من الدنيا،

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ١/ ٨٠، ١٨٩، ٣٣٣، ٣/ ١٢٤، ١١/ ٥٨٥، ٦١٧-٦١٨، ٢٢/ ١٨٨، ٢٤٣، ٢٨/ ٢٣، ومنهاج السنة ٥/ ٢٥٣، ٦/ ٢١٧، والداء والدواء ٣٠٣، وإعلام الموقعين ٢/ ١٦٢، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٩١، ٩/ ٢٠٥، وتجريد التوحيد المفيد ٧٩، وقرة عيون الموحدين ١٨٢، وحاشية كتاب التوحيد ٢٦٤.

(٢) في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:(كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف، إلى ما شاء الله، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به). رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند ١٥/ ٤٤٥ رقم ٩٧١٤، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وبنحوه عند مسلم ٤٦٩ رقم١١٥١/ ١٦٤/ ٢٧٠٣، وينظر: تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران) ٢/ ٢٦٩.

فيجمع في رجائه بين طلب الحظ الدنيوي، والجزاء الأخروي[1].

وغير هؤلاء من يقصر رجاءه على نيل شيء من متاع الدنيا وزينتها، فيطمع بعمله الصالح أن يجازى عليه في دنياه، من صحة، أو مال، أو حفظ، أو نحو ذلك من المقاصد الدنيوية.

وإذا كان الإنسان قلّ أن ينفك فعل من أفعاله من حظ من حظوظ النفس وشوائبها[2]، فكان من المهم أن تكون أحكام تلك الشوائب معلومة إذا اتصلت بالعبادات، خاصة وقد كثر في زماننا السؤال عن أحكامها، فتجد من الناس من يصلي، أو يصوم، أو يقرأ القرآن، أو يقرأ بعض سوره، أو يقرأ سورة معينة، أو يكررها، أو يستغفر ويكثر الاستغفار؛ رجاء حصول مطلوب له من مطالب الدنيا، من زواج، أو ولد، أو مال، ونحو ذلك.

ولأهمية ما تقدم، ولاتصاله بأعظم الأصول، وأساس العبادة، ورأس الإسلام: الإخلاص لله رب العالمين، وما يترتب على ذلك من قبول العمل أو رده، فقد جرى تحرير الكلام على ما يتصل بمسائل موضوع الدراسة، من خلال مقدمة، وتمهيد، وفصلين، في ضمنها خمسة مباحث، ثم خاتمة، وفهرس مراجع، وتفصيل ذلك على الرسم التالي:

مقدمة وفيها أهمية الدراسة، وخطتها، ومنهج إعدادها.

تمهيد في بيان أحوال إرادة الدنيا بعمل الآخرة.

---

(١) ينظر: الفروسية المحمدية ١٢٤.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين ٤/ ٣٣٥، ومختصر منهاج القاصدين ٣٩٣-٣٩٤.

الفصل الأول: إرادة الدنيا بالعمل الصالح. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: بطلان إرادة الدنيا بالعمل الصالح.

المبحث الثاني: العمل الصالح محبة وتلذذا.

الفصل الثاني: إرادة الدنيا والآخرة بالعمل الصالح. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القول بجواز إرادة الدنيا والآخرة بالعمل الصالح.

المبحث الثاني: القول بتحريم إرادة الدنيا والآخرة بالعمل الصالح.

المبحث الثالث: الارتزاق بأعمال البر.

خاتمة، ثم فهرس مراجع.

وقد نهجت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، مع بذل الوسع في تتبع النصوص الواردة في الموضوع، وكلام أهل العلم حيالها، وفي أثناء ذلك جرى عزو الآيات إلى سورها، وتخريج مختصر للأحاديث والآثار، وما كان مهملا من التخريج، فمعناه أنه سبق تخريجه، واكتفيت بهذا التنبيه لئلا أثقل الحواشي بتكرار هذه الجملة.

هذا ما أعان الله تعالى على إعداده، فما كان فيه من صواب فالفضل لله أولا وآخرا، وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان، والله أسأل العفو والعافية، لي وللمسلمين أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد :

في بيان أحوال إرادة الدنيا بعمل الآخرة

جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: « كيف أنتم إذا لبستم الفتنة، يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويتخذها الناس سنة، فإن غيّر منها شيء، قيل: غيّرت السنة؟!

قالوا: متى يكون ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كثرت قراؤكم، وقلت أمناؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت فقهاؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة » [١].

وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: « إن أقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة » [٢].

ومن فقه إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما ضمنه كتابه الفذ (كتاب التوحيد) من تراجم، وما علقه عليه من مسائل، ومن ذلك أنه عقد بابا ترجمه بقوله: «باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا»، ثم جعل المسألة الأولى من مسائله: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة[٣].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢١/ ٤٩ رقم ٣٨٣١١، وقال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٥٥ رقم ١١١.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٥٤.

(٣) ينظر: كتاب التوحيد ضمن مؤلفات الشيخ الإمام (القسم الأول) ١٠٠، ١٠١.

ومن قبله الإمام البغوي رحمه الله عقد بابا في كتابه شرح السنة ترجمه بقوله: « باب من يريد الدنيا بعمله »، وضمّنه نصوصا كثيرة في هذا المعنى[١].

وكل فاعل إما أن يريد بفعله الآخرة فقط، أو يريد العاجلة فقط، أو يريدهما معا، أو لا يريد شيئا[٢]، فصار عندنا أربعة أحوال:

الحال الأولى: إرادة الآخرة بالعمل الصالح.

الحال الثانية: إرادة الدنيا بالعمل الصالح.

الحال الثالثة: إرادة الدنيا والآخرة بالعمل الصالح.

الحال الرابعة: العمل الصالح محبة له وتلذذا.

فأما الحال الأولى، فهي عمل المتقين المفلحين، وهي باب النجاة والفوز يوم القيامة، وليست داخلة في دائرة هذه الدراسة.

ويبقى النظر في الأحوال الأخرى، وهي التي تدخل في دائرة إرادة الدنيا بعمل الآخرة، وعليها تقوم مباحث هذه الدراسة.

---

(١) ينظر: شرح السنة ١٤/ ٣٣٠-٣٣٥.

(٢) ينظر: روح المعاني ١٥/ ٦٥.

المبحث الأول:

بطلان إرادة الدنيا بعمل الآخرة.

مريد الدنيا بعمل الآخرة لا يخلو إما أن يفعل ذلك رياء وسمعة، وإما أن يفعله طلبا لدنيا يصيبها غير الجاه والمحمدة[١].

وكلا النوعين يدخلان في الشرك في النية، وهو البحر الذي لا ساحل له[٢]، لكن بين النوعين عموم وخصوص مطلق، فيجتمعان في مادة، وهو إذا أراد الإنسان بعمله التزين عند الناس والتصنع لهم والثناء، فهذا رياء، كحال المنافقين، وهو أيضا إرادة للدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام.

ويفارق الرياء بكونه عمل عملا صالحا أراد به عرضا من الدنيا، كمن يجاهد ليأخذ مالا، أو يجاهد للمغنم، أو غير ذلك من الأمور[٣].

فإرادة الدنيا أعم من حالة الرياء، إذ الرياء حالة واحدة من أحوال إرادة الإنسان الدنيا، وإرادة الإنسان الدنيا تأتي في أحوال أخرى أعم من حالة الرياء بخاصة[٤].

---

(١) يراجع: التمهيد من هذه الدراسة.

(٢) ينظر: الداء والدواء ٣١٢، وتجريد التوحيد المفيد ٥٨، وحاشية كتاب التوحيد ٢٦٤.

(٣) ينظر: فتح المجيد ٤٣٧، وحاشية كتاب التوحيد ٢٦٩.

(٤) ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٤٠٤.

وإن كان الذي يعمل لأجل الدنيا أعقل من المرائي؛ لأن ذلك عمل لدنيا يصيبها، ومصلحة يحصلها، والمرائي عمل لأجل المدح والجلالة في أعين الناس، لكن كلاهما خاسر، ولا يحصل لهما طائل[١].

وذلك لأن العمل لأجل الدنيا مثل الرياء شرك ينافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال.

وهو كالرياء في بطلان العمل إذا استرسل معه، لكن في الغالب أن العمل لأجل الدنيا أعظم من الرياء؛ لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرا من هذا وهذا[٢].

والمتقرر في الشرع المطهر أن كل من « أراد من الله تعالى الدنيا فقط بعمل الآخرة، أو نوى شيئا غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص أن يخلص العبد لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده »[٣].

---

(١) ينظر: الدرر السنية ١٣/ ٢٢١، وتيسير العزيز الحميد ٤٧٣، وحاشية كتاب التوحيد ٢٦٩.

(٢) ينظر: فتح المجيد ٤٣٧، وقرة عيون الموحدين ١٨٣، وحاشية كتاب التوحيد ٢٦٩، وإعانة المستفيد ٢/ ١٠٤.

(٣) فتح الحميد ٣/ ١٥٢٨، وينظر: الداء والدواء ٣١٢-٣١٣، وتجريد التوحيد المفيد ٥٨، وفتح الله الحميد المجيد ٣٧٣.

وأن كل ما لا يراد لأجل الله تعالى، ويقصد له، فإنه فاسد لا صلاح فيه، فكل عمل باطل، إلا ما أريد به وجهه تعالى[١].

وقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة الدالة على بطلان من عمل لغير الله تعالى، سواء كان رياء وسمعة، أو كان لتحصيل شيء من متاع الدنيا.

فمما جاء في بطلان ما كان رياء وسمعة قوله تعالى في رياء المنافقين ﴿ **وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا** ﴾[٢].

وكثيرا ما يطلق الرياء في كتاب الله ويراد به النفاق الأكبر الذي هو أعظم الكفر[٣]، وعلى هذا المعنى تكون إرادة الدنيا من الشرك الأكبر المخرج من الملة[٤].

وأما ما كان شركا أصغر من الرياء، فقد جاء فيه قول النبي ﷺ:((**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**))، **قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال** : ((**الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**))[٥].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :((**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري،**

---

(١) ينظر: المجموعة العلية ٢/ ١٥٩، ومجموع الفتاوى ٢٦/ ١٦.

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٢.

(٣) ينظر: معارج القبول ١/ ٣٦٨.

(٤) ينظر: فتح الحميد المجيد ٣٧٣.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٩/ ٣٩ رقم ٢٣٦٣٠، وقال محققوه: حديث حسن، وذكروا تتمة تخريجه، وقال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٢٠ رقم ٣٢.

تركته وشركه))[١]، وفي لفظ: ((**أنا خير الشركاء، فمن عمل عملا، فأشرك فيه غيري، فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك**))[٢].

وفي حديث شداد بن أوس ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((**من صام يرائي فقد أشرك، ومن صلى يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك**))[٣].

وقد ثبت أن أول من تسعر بهم النار -والعياذ بالله- ثلاثة قاموا في الظاهر بأعمال صالحة، لكنها رياء وسمعة، فأحدهم يقرأ القرآن؛ ليقال: فلان قارئ، والثاني يجاهد؛ ليقال: فلان شجاع، والثالث يتصدق بماله؛ ليقال فلان متصدق، فكلهم لم تكن أعمالهم خالصة لله[٤].

وأما ما جاء في بطلان من يريد بعمله الدنيا، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾[٥]، وقال تعالى ﴿ **مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ١٢٩٢ رقم٧٤٧٥/ ٢٩٨٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١٣/ ٣٧٧ رقم٧٩٩٩، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان ٩/ ١٦٥-١٦٦ رقم ٦٤٢٧، وقال المحقق: "إسناده صالح"، وروواه مطولا الإمام أحمد في المسند ٢٨/ ٣٦٢-٣٦٤ رقم١٧١٤٠.

(٤) ينظر: مدارج السالكين ١/ ٩٤، والحديث بطوله رواه مسلم في صحيحه ٨٥٢-٨٥٣ رقم٤٩٢٣/ ١٩٠٥.

(٥) سورة هود، الآيتان ١٥-١٦.

مَّدۡحُورٗا ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[٢].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فهذه ثلاثة مواضع من القرآن يشبه بعضها بعضا، ويصدق بعضها بعضا، وتجتمع على معنى واحد، وهو أن من كانت الدنيا مراده، ولها يعمل، وهي غاية كدحه، لم يكن له في الآخرة من نصيب، ومن كانت الآخرة مراده، ولها عمله، وهي غاية سعيه، فهي له»[٣].

فأما قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٤]، فقد اختلف فيمن نزلت هذه الآية، فقيل إنها في الكفار، وقيل في المؤمنين، وقيل في أهل الرياء[٥].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٨.

(٢) سورة الشورى، الآية ٢٠.

(٣) عدة الصابرين ٣٢١.

(٤) سورة هود، الآيتان ١٥-١٦.

(٥) يراجع في تأويل الآية: جامع البيان ١٢/ ١٦، ١٧-١٨، وتفسير ابن كثير ٧/ ٤٢٢-٤٢٣، وعدة الصابرين ٣١٦-٣٢٣، وزاد المسير ٤/ ٨٣-٨٤، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٣-٨٥، والمحرر الوجيز ٩٣٥، وتفسير الرازي ١٧/ ١٦٥-١٦٧، وروح المعاني ١٢/ ٣١٥-٣١٦، وفتح القدير ٢/ ٤٨٧-٤٨٨.

وقال الأكثرون إنها عامة في جميع الخلق كافرهم ومسلمهم[١]، فهي «عامة في كل من ينوي بعمله غير الله تعالى، كان معه أصل الإيمان، أو لم يكن »[٢].

وعلى هذا فإنه مما يدخل في معنى الآية ما قاله ابن عباس ﷺ أنه: « من عمل صالحا التماس الدنيا، صوما، أو صلاة، أو تهجدا بالليل، لا يعمله إلا لالتماس الدنيا، يقول الله تعالى: أوفِّيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين»[٣].

فإن كانت إرادة العبد كلها للدنيا، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة البتة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب، وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن الإيمان يستلزم إرادة العبد وجه الله والدار الآخرة بأعماله[٤].

وإذا كان المؤمن لابد أن يكون له في عمله إرادة الله والدار الآخرة، فإن أراد ببعض عمله الدنيا كان معنى دخوله في الآية أن قوما من أهل الإسلام يعملون العمل الحسن؛ لتستقيم لهم الدنيا، غير مفكرين في الآخرة، وما ينقلبون إليه، يعجل لهم جزاء حسناتهم في الدنيا، فإذا جاءت الآخرة كان

---

(١) ينظر: زاد المسير ٤/ ٨٤، وفتح القدير ٢/ ٤٨٧.

(٢) أحكام القرآن ٣/ ١٤، ونقله في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٥، وينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٤٠٩.

(٣) جامع البيان ١٢/ ١٦، وتفسير ابن كثير ٧/ ٤٢٢.

(٤) ينظر: عدة الصابرين ٣٢٢-٣٢٣، والقول السديد في مقاصد التوحيد ١٢٧-١٢٨.

جزاؤهم عليها النار؛ إذ لم يريدوا بها وجه الله، ولم يقصدوا التماس ثوابه وأجره[١].

وقوله تعالى ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا ﴾[٢] يدل على أنها في قوم لهم أعمال لم يريدوا بها وجه الله، وإنما أرادوا بها الدنيا، ولها عملوا، فوفاهم الله ثواب أعمالهم فيها من غير بخس، فأفضوا إلى الآخرة بغير عمل يستحقون عليه الثواب.

وهذا لا يقع ممن يؤمن بالآخرة إلا كما يقع منه كبائر الأعمال، وقوعا عارضا يتوب منه، ويراجع التوحيد.

فكون الآية تتناول أهل الإسلام، فإن ذلك لا يعني أنها تقتضي الخلود الأبدي في النار، وإنما تقتضي أن الذي يستحقونه في الآخرة النار، وأنهم ليس لهم عمل صالح يرجون به النجاة، فإذا كان مع أحدهم عمود التوحيد، فإنه يخرج به من النار مع من يخرج من أصحاب الكبائر الموحدين[٣].

يقول ابن القيم رحمه الله: « والآية بحمد الله لا إشكال فيها، والله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها، وهو النار، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه، فإذا حبط ما ينجو به وبطل لم يبق معه ما ينجيه، فإن كان معه إيمان لم يرد به الحياة الدنيا وزينتها، بل أراد الله ورسوله والدار

(١) ينظر: عدة الصابرين ٣١٩-٣٢٠.

(٢) سورة هود، الآية ١٥.

(٣) ينظر: عدة الصابرين ٣١٩، ٣٢٠.

الآخرة، لم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل، وأنجاه إيمانه من الخلود في النار، وإن دخلها بحبوط عمله الذي به النجاة المطلقة،..، فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد »[١].

ويقول إمام الدعوة رحمه الله في أثناء بيانه الأنواع التي تدخل في آية هود: « النوع الثالث: أن يعمل أعمالا صالحة يقصد بها مالا، مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر أيضا هذا النوع في تفسير هذه الآية، كما في الصحيح أن النبي ﷺ قال:(**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة)**[٢]، وكما يتعلم العلم لأجل مدارسة أهله، أو مكسبهم، أو رياستهم، أو يتعلم القرآن، أو يواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيرا »[٣].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن كثيرا من طلبة العلم ليس مقصودهم به إلا رياسة، أو مال، ولكل امرئ ما نوى[٤].

---

(١) عدة الصابرين ٣٢٠-٣٢١، وبمعناه في تيسير العزيز الحميد ٤٧٤-٤٧٥، وينظر: فتح الباري ١١/ ٢٦٦.

(٢) رواه البخاري ٤٧٧ رقم ٢٨٨٧.

(٣) الدرر السنية ١٣/ ٢٢٠، ونقله عنه في تيسير العزيز الحميد ٤٧٥-٤٧٧، وفتح المجيد ٤٣٩-٤٤١، وإبطال التنديد ٢٠٣-٢٠٥.

(٤) ينظر: منهاج السنة النبوية ٨/ ٢٠٩، ٢١٠.

وقال ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾(١).

"يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة ﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ ۖ ﴾، يقول: نزد له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشرا، إلى ما شاء ربنا من الزيادة، ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾، يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا، ولها يسعى، لا للآخرة، نؤته منها ما قسمنا له منها، ﴿ وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾، يقول: وليس لمن طلب بعمله الدنيا، ولم يرد الله به في ثواب الله لأهل الأعمال التي أرادوه بأعمالهم في الدنيا حظ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل"(٢).

وقد جاء في حديث أبي أمامة ﵁ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر، والذكر، ماله؟ فقال رسول الله ﷺ:(**لا شيء له**)، فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: (**لاشيء له**)، ثم

---

(١) سورة الشورى، الآية ٢٠.

(٢) جامع البيان ٢٥/ ٢٧، ويراجع: تفسير ابن كثير ١٢/ ٢٦٥-٢٦٦، وزاد المسير ٧/ ٢٨١، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٤٦٢-٤٦٣، والمحرر الوجيز ١٦٦٥، وروح المعاني ٢٥/ ٣٩، وفتح القدير ٤/ ٥٣٣.

قال ﷺ:(**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا، وابتغي به وجهه)**[١].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال النبي ﷺ :(**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله)**[٢].

فهذا الحديث يدل على اشتراط الإخلاص في الجهاد، كما هو شرط في جميع العبادات، ولا يتأتى الإخلاص إلا بأن يكون الباعث على العمل قصد التقرب إلى الله تعالى، وابتغاء ما عنده، فأما إن كان الباعث عليه غير ذلك من أغراض الدنيا ومقاصدها، بحيث لو فقد ذلك الغرض لترك العمل، فهو مصيبة موبقة لصاحبها[٣].

وقد بوب أبو داود رحمه الله في كتاب الجهاد من سننه، فقال: «باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا »[٤]، وذكر تحته حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال: **يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض**

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى ٤/ ٢٨٦ رقم ٤٣٣٣، والسنن الصغرى (المجتبى) ٤٣٢ رقم ٣١٤٢، وقال الشيخ الألباني: حسن. ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/ ٣٧٩ رقم ١٨٥٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٤٦٦رقم٢٨١٠ ومسلم في صحيحه ٨٥٢ رقم٤٩١٩/ ١٩٠٤.

(٣) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/ ٧٤٢-٧٤٣.

(٤) السنن: كتاب الجهاد ٣٦٤.

الدنيا؟ فقال النبي ﷺ :(لا أجر له)، فأعظم ذلك الناس، وقالوا للرجل: عد لرسول الله ﷺ فلعلك لم تفهمه، فقال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا؟ قال:(لا أجر له)، فقالوا للرجل عد لرسول الله ﷺ، فقال له الثالثة، فقال:(لا أجر له)(١).

وجاء في حديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**(فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)**(٢).

والمعنى أن من كانت هجرته إلى تحصيل الدنيا، فهجرته حاصلة لأجل الدنيا، غير مفيدة له في الآخرة(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:**(تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)**.

فهذا دعاء عليه بالتعس؛ « لأنه أوقف عمله على متاع الدنيا الفاني، وترك العمل لنعيم الآخرة الباقي »(٤)، وسماه عبدا له؛ لشدة شغفه وحرصه عليه، ولكونه هو المقصود بعمله، وكل من توجه بقصده لغير الله، فقد جعله شريكا له في عبوديته(٥).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١٣/ ٢٧٧ رقم٧٩٠٠، وأبو داود في السنن ٣٦٥رقم٢٥١٦، وقال الشيخ الألباني: حسن. ينظر: صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٧٨ رقم ٢١٩٦.

(٢) رواه البخاري ١ رقم ١، ومسلم ٨٥٣ رقم ٤٩٢٧.

(٣) ينظر: عمدة القاري ١/ ٥٥.

(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال ٥/ ٨٣.

(٥) ينظر: فتح المجيد ٤٤١، وحاشية كتاب التوحيد ٢٧٢.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(**من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**)[١].

وفي حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(**من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**)[٢].

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(**بشر هذه الأمة بالسناء، والرفعة، والدين، والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب**)[٣].

وعن يعلى بن أمية ﷺ قال: أذن رسول الله ﷺ بالغزو، وأنا شيخ كبير ليس لي خادم، فالتمست أجيرا يكفيني، وأجري له سهمه، فوجدت رجلا، فلما دنا الرحيل أتاني، فقال: ما أدري ما السهمان؟ وما يبلغ سهمي؟ فسم لي شيئا، كان السهم أو لم يكن، فسميت له ثلاثة دنانير، فلما حضرت غنيمته أردت أن أجري له سهمه، فذكرت الدنانير، فجئت النبي ﷺ، فذكرت له

---

(١) رواه أبو داود في السنن ٥٢٥-٥٢٦ رقم ٣٦٦٤، وابن ماجه في السنن ٣٩ رقم ٢٥٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢/ ٦٩٧ رقم٣١١٢.

(٢) رواه ابن ماجه في السنن ٥٩٩ رقم ٤١٠٥، وقال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٩٣ رقم٣٣١٣، وصحيح الجامع ٢/ ١١١٠-١١١١ رقم٦٥١٦.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٥/ ١٤٤-١٤٥ رقم ٢١٢٢٠، وقال محققوه: إسناده قوي.

أمره، فقال:(ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي سمى)[١].

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(**إذا كان يوم القيامة صارت أمتي ثلاث فرق: فرقة يعبدون الله عز وجل للدنيا، وفرقة يعبدونه رياء وسمعة، وفرقة يعبدونه لوجهه ولداره، فيقول للذين يعبدونه للدنيا: بعزتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي؟ فيقولون: بعزتك وجلالك ومكانك: الدنيا، فيقول: إني لم أقبل من ذلك شيئا، اذهبوا بهم إلى النار، ويقول: للذين كانوا يعبدونه رياء وسمعة: بعزتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي؟ فيقولون: بعزتك وجلالك ومكانك: رياء وسمعة، قال: إني لم أقبل من ذلك شيئا، اذهبوا بهم إلى النار، ويقول للذين يعبدونه لوجهه وداره: بعزتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي؟ فيقولون: بعزتك وجلالك ومكانك: وجهك ودارك، فيقول: صدقتم، اذهبوا بهم إلى الجنة**)[٢].

وإذ تمهد ما تقدم من كون إرادة الدنيا من مبطلات العمل الصالح، فإن هذا الحكم يجري حتى على قول من يقول بإمكان حصول إرادة الدنيا مع الإخلاص لله تعالى.

---

(١) رواه أبو داود ٣٦٦ رقم ٢٥٢٧، وقال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٨٠ رقم٢٢٠٤.

(٢) رواه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان ٩/ ١٣٨ رقم٦٣٨٩، وقال ابن القيم رحمه الله:"هذا حديث غني عن الإسناد، والقرآن والسنة شاهدان بصدقه". عدة الصابرين ٣١٩.

فقد ذكر بعض أهل العلم أنه يمكن أن ينشأ العبد عمله مخلصا لله تعالى، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، وإنما يريد الجزاء الدنيوي، من مال، وولد، وعافية، ونحو ذلك من مقاصد الدنيا.

يقول إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الأنواع التي تتضمنها آية هود ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾[1].

قال: « الأول من ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله، من صدقة، وصلاة، وصلة، وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان، أو يتركه؛ خالصا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ونحو ذلك، ولا همة له في طلب الجنة، ولا الهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب »[2].

ثم ذكر الشيخ أن هذا العمل وإن كان لا يسمى رياء، لكنه عمل حابط في الآخرة[3].

---

(١) سورة هود، الآيتان ١٥-١٦.

(٢) الدرر السنية ١٣/ ٢١٩، ونقله عنه مختصرا في: تيسير العزيز الحميد ٤٧٥، وفتح المجيد ٤٣٩، وإبطال التنديد ٢٠٣، وينظر: إعانة المستفيد ٢/ ١٠٤.

(٣) ينظر: الدرر السنية ١٣/ ٢٢٠.

ويقول العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أثناء شرحه لباب (من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا) ضمن (كتاب التوحيد) ذكر المقصود بهذا الباب:

«الإنسان في الباب السابق[1] يعمل رياء؛ يريد أن يمدح في العبادة، فيقال: هو عابد، ولا يريد النفع المادي، وفي هذا الباب لا يريد أن يمدح بعبادته، ولا يريد المراءاة، بل يعبد الله مخلصا له، ولكنه يريد شيئا من الدنيا، كالمال، والمرتبة، والصحة في نفسه، وأهله، وولده، وما أشبه ذلك، فهو يريد بعمله نفعا في الدنيا، غافلا عن ثواب الآخرة »[2]، ثم قال:

«فإن قيل: من أراد بعمله الدنيا كيف يقال إنه مخلص، مع أنه أراد المال مثلا؟

أجيب: أنه أخلص في العبادة، ولم يرد بها الخلق إطلاقا، فلم يقصد مراءاة الناس ومدحهم [على عبادته]، بل قصد أمرا ماديا [من ثمرات العبادة]، فإخلاصه ليس كاملا؛ لأن فيه شركا، ولكن ليس كشرك الرياء يريد أن يمدح بالتقرب إلى الله، وهذا لم يرد مدح الناس بذلك، بل أراد شيئا دنيئا غيره، [لكنه بإرادة هذا الأمر المادي نقص إخلاصه، فصار معه نوع من الشرك، وصارت منزلته دون منزلة من أراد الآخرة]، ولا مانع أن يدعو

---

(١) يعني (باب ما جاء في الرياء) ينظر: كتاب التوحيد ضمن مؤلفات الشيخ الإمام (القسم الأول) ٩٨.

(٢) القول المفيد ٢/ ١٣٦.

الإنسان في صلاته، ويطلب أن يرزقه الله المال، ولكن لا يصلي من أجل هذا الشيء، فهذه مرتبة دنيئة »[١].

وقوله تعالى ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾[٢] يدل على أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب[٣]، سواء كان العمل الذي عمله، واستحضر فيه ثواب الدنيا وأراده، ولم يرد ثواب الآخرة لم يرغّب الشرع فيه بذكر ثواب الدنيا، مثل: الصلاة والصيام ونحو ذلك من الأعمال والطاعات، فهذا لا يجوز له أن يريد به الدنيا، ولو أراد به الدنيا، فإنه مشرك ذلك الشرك.

أو كان العمل من الأعمال التي رتب عليها الشارع ثوابا في الدنيا، ورغب فيها بذكر ثواب لها في الدنيا، مثل: صلة الرحم، وبر الوالدين، ونحو ذلك، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **(من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أجله، فليصل رحمه)**[٤]، فهذا النوع إذا استحضر في عمله حين يعمل ذلك العمل، استحضر ذلك الثواب الدنيوي، وأخلص لله في العمل، ولم يستحضر الثواب الأخروي، فإنه داخل في الوعيد، فهو نوع من أنواع هذا الشرك[٥].

---

(١) القول المفيد ٢/ ١٣٨، ومثله في مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين ٢/ ٢٠٨، وما بين قوسين منه.

(٢) سورة هود، الآيتان ١٥-١٦.

(٣) ينظر: فتح المجيد ٤٣٧، وحاشية كتاب التوحيد ٢٦٩، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد ٤٠٥-٤٠٦.

(٤) رواه البخاري ١٠٤٨ رقم ٥٩٨٦، ومسلم ١١٢٢ رقم٢٥٥٧/ ٢١/ ٦٥٢٤.

(٥) ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٤٠٦-٤٠٧.

وقد سبق نقل ما جاء في آية هود، ومنه قول ابن عباس ﷺ: «من عمل صالحا التماس الدنيا، صوما، أو صلاة أو تهجدا بالليل، لا يعمله إلا لالتماس الدنيا، يقول الله تعالى: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين»[1].

وعلى هذا، فإن من عمل بهذه النية، وهذا المقصد، فإنه وإن جوزي على عمله في الدنيا، وأوتي حظا من حظوظها، فإنه ليس له في الآخرة من نصيب؛ لوقوعه في الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد.

ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يذهب إلى أن من عمل لغرض من أغراض الدنيا مدعيا الإخلاص فيه يعد متناقضا، وحقيقة أمره أنه لم يرد الله تعالى، وإنما جعل الله وسيلة إلى ذلك المطلوب الأدنى.

وقال معلقا على ما حكاه بعض الناس عن نفسه[2] أنه بلغه أن من أخلص لله أربعين يوما تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه[3].

قال: فأخلصت أربعين يوما، فلم يتفجر شيء، فذكرت ذلك لبعض العارفين، فقال لي: إنك إنما أخلصت للحكمة، ولم تخلص لله تعالى.

---

(١) جامع البيان ١٢/ ١٦، وتفسير ابن كثير ٧/ ٤٢٢.

(٢) في درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٦٦ ، والنبوات ١/ ٤٠٩ الحكاية منسوبة للغزالي، وفي الموافقات ٣/ ١٤٧-١٤٨ قال:" روي أن بعض الناس".

(٣) روي مرفوعا ومرسلا. ينظر: حلية الأولياء ٥/ ١٨٩، ويراجع في تخريجه مطولا حاشية التحقيق على الموافقات ٣/ ١٤٨-١٤٩، وحاشية التحقيق على المجموعة العلية ٢/ ١٨٢، وفي الكلام في معناه وتوقيته بالأربعين يوما ينظر: المجموعة العلية ٢/ ١٨٢-١٨٥، وجامع المسائل ٦/ ١٣٣- ١٣٥.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقا على هذه الحادثة، وما قاله هذا العارف: «هذا المعنى حق، وهو أن الواجب أن يكون الله هو المقصود والمراد بالقصد الأول، ثم الحكمة وغير ذلك يتبع ذلك، لا أن يكون غيره هو المقصود بالقصد الأول، ويجعل قصد الله وسيلة إلى ذلك »(١).

وقال: «وذلك لأن الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم والحكمة، أو نيل المكاشفات والتأثيرات، أو نيل تعظيم الناس له ومدحهم إياه، أو غير ذلك من المطالب.

وقد عرف أن ذلك لا يحصل إلا بالإخلاص لله، وإرادة وجهه، فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص لله وإرادة وجهه كان متناقضا؛ لأن من أراد شيئا لغيره، فالثاني هو المراد المقصود بذاته، والأول يراد لكونه وسيلة إليه، فإذا قصد أن يخلص لله؛ ليصير عالما، أو عارفا، أو ذا حكمة، أو متشرفا بالنسبة إليه، أو صاحب مكاشفات وتصرفات ونحو ذلك، فهو هنا لم يرد الله، بل جعل الله وسيلة له إلى ذلك المطلوب الأدنى، وإنما يريد الله ابتداء من ذاق حلاوة محبته وذكره »(٢).

وبما تقدم يتبين تتابع أهل العلم على تقرير ما دلت عليه النصوص في بطلان إرادة الدنيا بعمل الآخرة، وأنه من الشرك المحبط للعمل المصاحب له.

---

(١) المجموعة العلية ٢/ ١٨٦، وجامع المسائل ٦/ ١٣٦.

(٢) درء التعارض والنقل ٦/ ٦٦-٦٧، وينظر: الموافقات ٣/ ١٤٧-١٤٩.

وأما ما ذهب إليه بعض العلماء من صحة إرادة الدنيا بعمل الآخرة، فهو مخالف لمقتضى النصوص.

فقد ذكر القرافي رحمه الله أن من حج وكان مقصوده كله من الحج السفر للتجارة خاصة، ويكون الحج مقصودا أو غير مقصود، فهذا لا يقدح في صحة الحج، ولا يوجب إثما ولا معصية.

وكذلك من صام ليصح جسده، أو ليحصل له زوال مرض من الأمراض التي ينافيها الصيام، ويكون التداوي هو مقصوده، أو بعض مقصوده، والصوم مقصود مع ذلك، وأوقع الصوم مع هذه المقاصد، لا تقدح هذه المقاصد في صومه، بل أمر بها صاحب الشرع في قوله ﷺ :(**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**)[1]، أي قاطع، فأمر بالصوم لهذا الغرض، فلو كان ذلك قادحا لم يأمر به عليه الصلاة والسلام في العبادات وما معها، ومن ذلك أن يجدد وضوءه، وينوي التبرد أو التنظيف، وجميع هذه الأغراض لا يدخل فيها تعظيم الخلق، بل هي تشريك أمور من المصالح ليس لها إدراك، ولا تصلح للإدراك، ولا للتعظيم، فلا تقدح في العبادات[2].

---

(١) رواه البخاري ٩٠٧ رقم ٥٠٦٥، ومسلم ٥٨٦ رقم ١٤٠٠/ ٣٣٩٨.

(٢) ينظر: الفروق ٣/ ٤٤، ويلحظ أن القرافي جعل مطلق التشريك في العبادة يتناول حالين: الأولى: كمن جاهد لتحصيل طاعة الله بالجهاد، وتحصيل المال من الغنيمة، والثانية: كمن حج وجعل قصد التجارة كل مقصوده أو جله، وكان الحج تابعا أو غير مقصود، فكل ذلك عند القرافي جائز، وسياق كلامه هنا يراد منه بيان مذهبه في الحال الثانية، وأما رأيه في الحال الأولى، فسيأتي عرضه في المبحث الأول من الفصل الثاني بعون الله تعالى.

والصنعاني رحمه الله يرى أن المجاهد يصح منه في جهاده نيتان[١]:

الأولى: أن يقصد في جهاده إعلاء كلمة الله والغنيمة، فيكون له أجر الجهاد، وهي رتبة أدنى ممن لم يلاحظ إلا إعلاء كلمة الله فقط.

والثانية: أن يتجرد قصد المجاهد للغنيمة لا غير، فإنه مما أباحه الله تعالى، ولا يأثم إن صحبتها نية أنها كسب من الحلال، ويؤجر أجر كاسب الحلال، لأنه طلب ما أحل الله ووعد به في قوله تعالى ﴿ **وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا** ﴾[٢].

وهذا المذهب محجوج بصراحة الأدلة الدالة على بطلان إرادة الدنيا بعمل الآخرة، وتقدم جملة كبيرة منها.

وأما الاحتجاج بحديث (يا معشر الشباب)، وبجواز أخذ الغنيمة للمجاهد، فسيأتي تحقيق القول في ذلك، وأنه دليل على صحة طلب الدنيا ضمنا وتبعا، لا قصدا وأصلا[٣].

وختما لهذا المبحث فإن من تتمة البيان أن طلب الدنيا بعمل الآخرة مفسد للعمل، محبط للأجر في الآخرة، معرض صاحبه للوعيد.

هذا من حيث الجزاء في الآخرة، وأما الدنيا، فإن فاعل ذلك قد يحصل له شيء من مبتغاه الدنيوي، ويتحقق له مقصده من عمله، وقد لا يحصل له.

---

(١) ينظر: العدة على إحكام الأحكام ١/ ٣٢، ٣٤.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٠.

(٣) يراجع المبحث الأول من الفصل الثاني.

يقول الشنقيطي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1]

« صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أن من عمل عملا يريد به الحياة الدنيا أعطاه جزاء عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة إلا النار، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الشورى ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[2]، ولكنه بيّن تعالى في سورة بني إسرائيل تعليق ذلك على مشيئته جل وعلا بقوله: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾[3] الآية »[4].

فالإطلاق الذي دلت عليه آية هود، وآية الشورى، وكذلك في آية آل عمران في قوله تعالى ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾[5]، فإن هذا الإطلاق مقيد بما دلت عليه آية الإسراء، فصار "من كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة همة البتة بالكلية حرمه الله الآخرة،

---

(١) سورة هود، الآيتان ١٥-١٦.

(٢) سورة الشورى، الآية ٢٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية ١٨.

(٤) أضواء البيان ٣/ ١٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٤٥.

والدنيا إن شاء أعطاه منها، وإن لم يشأ لم يحصل له لا هذه ولا هذه، وفاز الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة »[١].

فانظر إلى هذه النية الفاسدة، والصفقة الخاسرة: إرادة الدنيا بعمل الآخرة، وما أنتجته من الحرمان والإثم والوعيد على هذا العمل الذي أشرك فيه صاحبه، وهو لا يدري هل يحصل له مبتغاه الدنيوي، أو يخسر الدنيا والآخرة، مع أنه إذا أراد الآخرة أعانه الله على أمور الدنيا ويسرها له[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير ١٢/ ٢٦٥-٢٦٦، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٥، ودفع إيهام الاضطراب ١٢١-١٢٢، وفتح الباري ١١/ ٢٦٦.

(٢) ينظر: إعانة المستفيد ٢/ ١٠٤.

المبحث الثاني:

العمل الصالح محبة له وتلذذا.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه، فهو يفعله لما فيه من المحبة له، لا لله، ولا لغيره من الشركاء، مثل أن يحب الإحسان إلى ذوي الحاجات، ويحب العفو عن أهل الجنايات، ويحب العلم والمعرفة وإدراك الحقائق، ويحب الصدق، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والجود والعطاء، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق التي تكون في بني آدم.

فهذه الأمور الحسنة لو أن العبد فعلها؛ لما فيه من المحبة لها، لا لله، ولا لغيره من الشركاء، بل لأجل هذه المحبة، لم يكن مذموما، ولا معاقبا.

ولا يقال إن هذا عمله لغير الله، فيكون بمنزلة المرائي والمشرك، فذاك هو الشرك المذموم، وأما من فعلها؛ لمجرد المحبة الفطرية، فليس بمشرك.

ولا هو أيضا متقربا بها إلى الله حتى يستحق عليها ثواب من عمل لله وعبده، بل قد يثيبه عليها بأنواع من الثواب، إما بزيادة فيها، وفي أمثالها، فيتنعم بذلك في الدنيا.

ولهذا كان الكافر يجزى على حسناته في الدنيا، وإن لم يتقرب بها إلى الله، كما جاء في حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(**إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يعطي بها في الدنيا، ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة**

يجزى بها)[١]، ولو كان فعل كل حسن إذا لم يفعل لله مذموما، يستحق به صاحبه العقاب؛ لما أطعم الكافر بحسناته في الدنيا؛ إذاً تكون سيئات لا حسنات.

وإذا كان قد يتنعم بها في الدنيا، ويطعم بها في الدنيا، فقد يكون من فوائد هذه الحسنات، ونتيجتها، وثوابها في الدنيا أن يهديه الله إلى أن يتقرب بها إليه، فيكون له عليها أعظم الثواب في الآخرة.

وهذا معنى قول بعض السلف: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله.

وقول الآخر لما قيل له: إنهم يطلبون الحديث بغير نية؟ فقال: طلبهم له نية، يعني نفس طلبهم حسن ينفعهم.

وهذا قيل في العلم لخصوصيته؛ لأن العلم هو الدليل المرشد، فإذا طلبه بالمحبة وحصله عرّفه الإخلاص لله والعمل له، فلو كان طلب علم الإخلاص لا يكون إلا بالإخلاص؛ للزم الدور.

وعلى هذا فما حكاه الإمام أحمد عن نفسه لما قيل له: طلبت أو جمعت العلم لله؟ قال: لله عزيز، ولكن حبب إلي أمر ففعلته.

فما ذكره الإمام أحمد رحمه الله عن نفسه هو حسن، وهو حال النفوس المحمودة المستقيم حالها[٢]، ومن هذا قول خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ :

---

(١) رواه مسلم ١٢٢٢رقم ٧٠٨٩، وتقدم في المسألة الثانية من المبحث الأول من هذا الفصل بيان أن ما جاء في النصوص من إطلاق إثابة العامل على عمله في الدنيا مقيد بمشيئة الله لذلك.

(٢) ويمكن حمل كلام الإمام قدس الله روحه على هضمه لنفسه وتجنب تزكيتها.

إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق.

فهذه الأمور كان يفعلها محبة لها، خلق على ذلك، وفطر عليه، فعلمت أن النفوس المطبوعة على محبة الأمور المحمودة وفعلها لا يوقعها الله فيما يضاد ذلك من الأمور المذمومة، لما قال لها:(قد خشيت على نفسي)، قالت: كلا والله لا يخزيك الله أبدا[١]، الحديث[٢].

وعلى هذا التحقيق، فإن من فعل ما تقدم ذكره من الأمور المحمودة محبة لها وتلذذا، لا لله تعالى، ولا لغيره من الشركاء، ، ولا طلبا لمنفعة دنيوية خاصة، من رياء وسمعة ومحمدة، أو رزق ومال وولد وعافية، ونحو ذلك، بل هو يفعلها حبا فطريا لها، وتلذذا بها، فهو داخل في عمل المباحات، والتي يرجى أن تكون سببا لهدايته وسعادته، والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه البخاري ١ رقم ٣، ومسلم ٨٠ رقم ٢٥٢/ ١٦٠/ ٤٠٣.

(٢) ينظر: جامع المسائل ٥/ ١٩١-١٩٢، ١٩٦-١٩٨، وبعضه في فتح الحميد ٣/ ١٥٤٢-١٥٤٣.

الفصل الثاني : إرادة الدنيا والاخرة بالعمل الصالح

المبحث الأول:

القول بجواز العمل الصالح طلبا للدنيا والآخرة.

القائلون بذلك منهم من يطلق القول بالصحة، ومنهم من يقيده بالنظر في أصل الباعث عليه.

فممن جاء عنه إطلاق القول بالجواز، بل وحكاية الإجماع عليه القرافي رحمه الله، فهو يقول:« الفرق بين قاعدة الرياء في العبادات، وقاعدة التشريك في العبادات.

اعلم أن الرياء في العبادات شرك وتشريك مع الله تعالى في طاعته، وهو موجب للمعصية والإثم والبطلان في تلك العبادة،..، وأما مطلق التشريك، كمن جاهد ليحصل طاعة الله بالجهاد، وليحصل المال من الغنيمة، فهذا لا يضره، ولا يحرم عليه بالإجماع؛ لأن الله تعالى جعل له هذا في العبادة، ففرق بين جهاده ليقول الناس إنه شجاع، أو ليعظمه الإمام فيكثر عطاؤه من بيت المال، فهذا ونحوه رياء حرام، وبين أن يجاهد ليحصل السبايا والكراع والسلاح من جهة أموال العدو، فهذا لا يضره، مع أنه قد شرك.

ولا يقال لهذا رياء؛ بسبب أن الرياء ليعمل أن يراه غير الله تعالى من خلقه، والرؤية لا تصح من الخلق، فمن لا يرى ولا يبصر لا يقال في العمل

بالنسبة إليه رياء، والمال المأخوذ من الغنيمة ونحوه لا يقال إنه يرى ويبصر، فلا يصدق على هذه الأغراض لفظ الرياء؛ لعدم الرؤية فيها.

وكذلك من حج، وشرك في حجه غرض المتجر بأن يكون جل مقصوده أو كله السفر للتجارة خاصة، ويكون الحج إما مقصودا مع ذلك أو غير مقصود، ويقع تابعا اتفاقا، فهذا لا يقدح في صحة الحج، ولا يوجب إثما ولا معصية.

وكذلك من صام ليصح جسده، أو ليحصل له زوال مرض من الأمراض التي ينافيها الصيام، ويكون التداوي هو مقصوده، أو بعض مقصوده، والصوم مقصود مع ذلك، وأوقع الصوم مع هذه المقاصد، لا تقدح هذه المقاصد في صومه، بل أمر بها صاحب الشرع في قوله ﷺ :(**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**)، أي قاطع، فأمر بالصوم لهذا الغرض، فلو كان ذلك قادحا لم يأمر به عليه الصلاة والسلام في العبادات وما معها.

ومن ذلك أن يجدد وضوءه وينوي التبرد أو التنظيف، وجميع هذه الأغراض لا يدخل فيها تعظيم الخلق، بل هي تشريك أمور من المصالح ليس لها إدراك، ولا تصلح للإدراك، ولا للتعظيم، فلا تقدح في العبادات.

فظهر الفرق بين قاعدة الرياء في العبادات، وقاعدة التشريك في العبادات غرضا آخر غير الخلق، مع أن الجميع تشريك.

نعم، لا يمنع أن هذه الأغراض المخالطة للعبادة قد تـنقص الأجـر، وأن العبادة إذا تجردت عنها زاد الأجر وعظم الثواب، أما الإثم والـبطلان، فـلا سبيل إليه، ومن جهته حصل الفرق، لا من جهة كثرة الثواب وقلته »[١].

وعند بيان العز بن عبد السلام رحمه الله أن الإعانة عـلى الأديـان وطاعـة الرحمن ليس شركا في عبادة الديان وطاعـة الـرحمن، قـال: « إن قيـل: هـل يكون انتظار الإمام المسبوق؛ ليدركه في الركوع إشراكا في العبادة أم لا؟

قلت: قد ظن بعض العلماء ذلك، وليس كما ظن، بل هو جمع بين قربتين؛ لما فيه من الإعانة عـلى إدراك الركـوع، وهـو قربـة أخـرى، والإعانـة عـلى الطاعات والقربات من أفضل الوسائل عند الله عز وجل،...، وليس لأحـد أن يقول إن هذا شرك في العبادة بين الخـالق والمخلـوق، فـإن الإعانـة عـلى الخير والطاعة لو كانت رياء أو شركا، لكان تبليغ الرسالة، وتعلـيم العلـم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رياء وشركا، وهذا لا يقولـه أحـد؛ لأن الرياء والشرك أن يقصد بإظهار عمله ما لا قربة فيـه إلى الله عـز وجـل مـن نيل أغراض نفسه الدنية، وهذا قد أعان على القرب إلى الله سبحانه، وأرشد عباده إليه، ولو كان هذا شركا؛ لكان الأذان، وتعليم القرآن شركا.

وقـد جـاء في الحـديث الـصحيح: **أن رجـلا صـلى منفـردا، فقـال عليـه السلام:(من يتجر على هذا)، وروي:(من يتصدق على هذا)**[٢]**؟ فقـام رجـل**

---

(١) الفروق ٣/ ٤٢-٤٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١٧/ ٦٣ رقم١١٠١٩، وقال محققوه: حديث صحيح، وذكـروا تمـام تخريجه.

فصلى وراءه؛ ليفيده فضيلة الاقتداء، ولم يجعله عليه الصلاة والسلام رياء ولا شركا؛ لما فيه من إفادة الجماعة المقربة إلى الله عز وجل.

فإذا أحس الإمام بداخل وهو راكع، فالمستحب أن ينتظره؛ لينيله فضيلة إدراك الركوع، ولا يكون ذلك شركا ولا رياء؛ لأن رسول الله ﷺ جعل مثله صدقة واتجارا، وأمر به في جميع الصلاة، فكيف يكون رياء وشركا، وهذا شأنه في الشريعة، ولا وجه لكراهية ذلك.

ومن أبطل الصلاة به، فقد أبعد غاية الإبعاد، وليت شعري ما ذا يقول في الانتظار المشروع في صلاة الخوف، هل كان شركا ورياء، أو عملا صالحا لله عز وجل؟ »[١].

وذكر أبو النجا الحجاوي الحنبلي رحمه الله تعالى أنه لا يضر مع نية الصلاة قصد تعليمها، أو خلاص من خصم، أو إدمان سهر، وإن كانت تنقص الثواب.

ومثله لو قصد مع نية الصوم هضم الطعام، أو قصد مع نية الحج رؤية البلاد النائية، ونحو ذلك، كنية التبرد أو النظافة مع نية رفع الحدث[٢].

والشوكاني رحمه الله لما جاء عند شرح حديث خارجة بن زيد قال: رأيت رجلا سأل أبي – زيد بن ثابت – عن الرجل يغزو ويشتري ويبيع ويتجر في

---

(١) قواعد الأحكام في إصلاح الأنام (القواعد الكبرى) ١/ ٢١٢-٢١٣، وكلامه رحمه الله في صحة تشريك عبادة بعبادة، وسيأتي في الوجه الثالث من أدلة المجيزين وجه الاستدلال بذلك.

(٢) ينظر: الإقناع لطالب الانتفاع ١/ ١٦١، وينظر منه ١/ ٣٨، وفتح الحميد ٣/ ١٥٢٥.

غزوه، فقال له: إنا كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك نشتري ونبيع، وهو يرانا ولا ينهانا[١].

وحديث أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ قال: لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي، فجعل الناس يتبايعون غنائمهم، فجاء رجل حين صلى رسول الله ﷺ، فقال: **يا رسول الله لقد ربحت ربحا ما ربح اليوم مثله أحد من أهل هذا الوادي، قال:(ويحك وما ربحت؟)، قال: ما زلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية، فقال رسول الله ﷺ :(أنا أنبئك بخبر رجل ربح)، قال: ما هو يا رسول الله؟ قال:(ركعتين بعد الصلاة)**[٢].

قال الشوكاني رحمه الله شارحا: «فهذا الحديث، وحديث خارجة المذكور فيهما دليل على جواز التجارة في الغزو، وعلى أن الغازي مع ذلك يستحق نصيبه من المغنم، وله الثواب الكامل بلا نقص، ولو كانت التجارة في الغزو موجبة لنقصان أجر الغازي لبينه النبي ﷺ ، فلما لم يبين ذلك، بل قرره دل على عدم النقصان »[٣].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الإنسان إذا أراد بعمله الحسنيين – حسنى الدنيا، وحسنى الآخرة– فلا شيء عليه؛ لأن الله يقول ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ**﴾[٤]، فرغبه في التقوى بذكر

---

(١) رواه ابن ماجه ٤٠٨ رقم ٢٨٢٣.

(٢) رواه أبو داود ٤٠٦ رقم٢٧٨٥، وسكت عنه أبو داود.

(٣) نيل الأوطار ٨/ ١٢١.

(٤) سورة الطلاق، الآيتان ٢، ٣.

المخرج من كل ضيق، والرزق من حيث لا يحتسب، [وهذا ترغيب في التقوى بأمر دنيوي] »[١].

وعلى هذا القول يتبين أن من « استحضر الثواب الدنيوي والثواب الأخروي معا، له رغبة فيما عند الله في الآخرة، ويطمع في الجنة، ويهرب من النار، واستحضر ثواب هذا العمل في الدنيا، فإنه لا بأس بذلك؛ لأن الشرع ما رغب فيه بذكر الثواب في الدنيا إلا للحض عليه، كما قال عليه الصلاة والسلام:(**من قتل قتيلا، فله سلبه**)[٢]، فمن قتل حربيا في الجهاد؛ لكي يحصل على السلب، ولكن قصده من الجهاد الرغبة فيما عند الله جل وعلا، مخلصا فيه لوجه الله، لكن أتى هذا من زيادة الترغيب له، ولم يقتصر على هذه الدنيا، بل قلبه معلق أيضا بالآخرة، فهذا النوع لا بأس به »[٣].

هذا بعض ما جاء من إطلاق القول بجواز هذه الحال من أحوال إرادة الدنيا بعمل الآخرة[٤].

---

(١) القول المفيد ٢/ ١٣٨، ومثله في مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين ٢/ ٢٠٨، وما بين قوسين منه.

(٢) رواه البخاري ٥٢٢ رقم ٣١٤٢، ومسلم ٧٧٤ رقم ١٧٥١/ ٤٥٦٦.

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٤٠٧.

(٤) ليس المقصود أن من أطلق يخالف من قيد، فهذا ليس بلازم، ولكن هذا ظاهر قوله، وقد يكون مراده النظر إلى الباعث، حاشا القرافي، فإنه يجزم بصحة العمل حتى لو كان الباعث لأجل الدنيا ما دام خالصا لله تعالى.

وأما المنسوب إلى الجمهور، وإلى المحققين منهم، فهو أن الحكم بالجواز مبني على أصل الباعث على العمل، فإن كان أصل الباعث على العمل هو الباعث الأخروي، فإنه لا يضره ما عرض له بعد ذلك إذا حصل تبعا وضمنا، لا أصلا وقصدا(١).

وذلك أن الذي يريد بعمله الدنيا والآخرة ينقسم ثلاثة أقسام؛ لأنه إما أن تكون إرادة الآخرة أرجح، أو تكون مرجوحة وتكون إرادة الدنيا أرجح، أو تكون الإرادتان متعادلتين(٢).

فالجمهور يقولون إنه إن كان المحرك الأصلي هو طلب الأجر، وجاء حظ الدنيا تبعا، فمن البعيد أن يقال إنه لا ثواب له البتة، لكن يكون تأثيرها في نقصان الثواب، لا إحباطه(٣).

والشاطبي رحمه الله عند كلامه عن الحظ المطلوب من العبادات المتقرب بها إلى الله تعالى ذكر أن منه ما يكون حظا دنيويا يرجع إلى ما يخص الإنسان في نفسه، لا رياء وسمعة(٤)، ثم ضرب أمثلة على ذلك، فقال:

---

(١) ينظر: فتح الباري ٦/ ٣٤-٣٥، وسبل السلام ٤/ ٨٧.

(٢) ينظر: روح المعاني ١٥/ ٦٥.

(٣) ينظر: شرح صحيح البخاري ٥/ ٢٨٥، وإحياء علوم الدين ٤/ ٣٣٤-٣٣٥، ومختصر منهاج القاصدين ٣٩٤-٣٩٥، والفروع ١/ ٤٩٨-٤٩٩، والموافقات ٢/ ٣٧٢، وفتح الباري ٦/ ٣٤-٣٥، ٢٦٠-٢٦١، وروح المعاني ١٥/ ٦٥.

(٤) ينظر: الموافقات ٢/ ٣٥٧، ٣٦٠.

«أحدها: الصلاة في المسجد للأنس بالجيران، أو الصلاة بالليل لمراقبة أو مراصدة أو مطالعة أحوال، والثاني: الصوم توفيرا للمال، أو استراحة من عمل الطعام وطبخه، أو احتماء لألم يجده، أو مرض يتوقعه، أو بطنة تقدمت به، والثالث: الصدقة للذة السخاء، والتفضل على الناس، والرابع: الحج لرؤية البلاد، والاستراحة من الأنكاد، أو للتجارة، أو لتبرمه بأهله وولده، أو إلحاح الفقر، والخامس: الهجرة مخافة الضرر في النفس، أو الأهل، أو المال، والسادس: تعلم العلم؛ ليحتمي عن الظلم، والسابع: الوضوء تبردا. والثامن: الاعتكاف فرارا من الكراء، والتاسع: عيادة المرضى والصلاة على الجنائز؛ ليفعل به ذلك، والعاشر: تعليم العلم؛ ليتخلص به من كرب الصمت، ويتفرج بلذة الحديث. والحادي عشر: الحج ماشيا؛ ليتوفر له الكراء»[1].

وحكم ذلك كله عند الشاطبي أنه إن كان قصد العبادة هو الأصل، وقصد الحظ الدنيوي تبعا لقصد العبادة، فإن مجال النظر في المسألة يلتفت إلى انفكاك القصدين أو عدم انفكاكهما.

والمتجه عنده أن الأوجه القول بصحة الانفكاك بين القصدين فيما يصح الانفكاك[2].

ثم ساق الأدلة على ذلك، ومنها قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾[3]، وحديث (**يا معشر الشباب من استطاع منكم**

---

(١) الموافقات ٢/ ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) ينظر: الموافقات ٢/ ٣٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٩٨.

الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء)، وقد بعث النبي ﷺ رجلا ليكون له رصدا في شعب، فقام يصلي، ولم يكن قصده بالإقامة في الشعب إلا الحراسة والرصد[١].

قال الشاطبي: « والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ويكفي من ذلك ما يراعيه الإمام في صلاته من أمر الجماعة، كانتظار الداخل ليدرك الركوع معه،..، وكالتخفيف لأجل الشيخ والضعيف وذي الحاجة، وقوله عليه الصلاة والسلام:(إني لأسمع بكاء الصبي) الحديث[٢]، وكرد السلام في الصلاة، وحكاية المؤذن، وما أشبه ذلك مما هو عمل خارج حقيقة الصلاة، مفعول فيها مقصود يشرك قصد الصلاة، ومع ذلك فلا يقدح في حقيقة إخلاصها.

بل لو كان شأن العبادة أن يقدح في قصدها شيء آخر سواها؛ لقدح فيها مشاركة القصد إلى عبادة أخرى، كما إذا جاء المسجد قاصدا للتنفل فيه وانتظار الصلاة، والكف عن إذاية الناس، واستغفار الملائكة له، فإن كل قصد منها شاب غيره، وأخرجه عن إخلاصه عن غيره، وهذا غير صحيح باتفاق، بل كل قصد منها صحيح في نفسه، وإن كان العمل واحدا؛ لأن الجميع محمود شرعا، فكذلك ما كان غير عبادة من المأذون فيه؛ لاشتراكهما في الإذن الشرعي، غير أنه لا ينازع في أن إفراد قصد العبادة عن قصد

---

(١) رواه أبو داود في السنن ٣٨ رقم١٩٨.

(٢) رواه البخاري ١١٦ رقم ٧٠٩، ومسلم ١٠٥٦/ ١٩٢.

الأمور الدنيوية أولى، ولذلك إذا غلب قصد الدنيا على قصد العبادة كان الحكم للغالب، فلم يعتد بالعبادة، فإن غلب قصد العبادة، فالحكم له »[1].

ويقول الحافظ ابن رجب رحمه الله أثناء حديثه عن حكم العمل إذا كان لله وشاركه نية غير الرياء قال: « فإن خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال:(**إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم، فإن لم يغنموا شيئا تم لهم أجرهم**)[2].

وقد ذكرنا فيما مضى أحاديث تدل على أن من أراد بجهاده عرضا من الدنيا أنه لا أجر له، وهي محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا.

وقال الإمام أحمد: التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزاتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

وقال أيضا فيمن يأخذ جعلا على الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم، فلا بأس أن يأخذ، كأنه خرج لدينه، فإن أعطي شيئا أخذه.

---

(١) الموافقات ٢/ ٣٦٩-٣٧٣.

(٢) رواه مسلم ٨٥٣ رقم ٤٩٢٥/ ١٥٣/ ١٩٠٦.

وكذا روي عن عبد الله بن عمرو قال: إذا أجمع أحدكم على الغزو، فعوضه الله رزقا، فلا بأس بذلك، وأما إن أحدكم إن أعطي درهما غزا، وإن منع درهما مكث، فلا خير في ذلك.

وكذا قال الأوزاعي: إذا كانت نية الغازي على الغزو، فلا أرى بأسا.

وهكذا يقال فيمن أخذ شيئا في الحج؛ ليحج به، إما عن نفسه، أو عن غيره.

وقد روي عن مجاهد أنه قال في حج الجمال، وحج الأجير، وحج التاجر: هو تمام لا ينقص من أجورهم شيء.

وهو محمول على أن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب »[١].

وقد جاء في كلام الإمام ابن القيم رحمه الله عند بحثه للأقوال في قوله تعالى ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾[٢].

قال ابن القيم: «بقي أن يقال: فما حكم من يريد الدنيا والآخرة، فإنه داخل في حكم الإرادتين –يعني إرادة الدنيا، وإرادة الآخرة–، فبأيهما يلحق؟

---

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٧٩-٨٢.

(٢) سورة هود، الآيتان ١٥-١٦.

قيل: من هاهنا نشأ الإشكال، وظن من ظن من المفسرين أن الآية في حق الكافر، فإنه هو الذي يريد الدنيا دون الآخرة[١]، وهذا غير لازم طردا، ولا عكسا، فإن بعض الكفار قد يريد الآخرة، وبعض المسلمين قد لا يكون مراده إلا الدنيا، والله تعالى قد علق السعادة بإرادة الآخرة، والشقاوة بإرادة الدنيا، فإذا تجردت الإرادتان تجرد موجبها ومقتضاهما، وإن اجتمعتا، فحكم اجتماعهما حكم اجتماع البر والفجور، والطاعة والمعصية، والإيمان والشرك في العبد »[٢].

وفي أثناء شرح الحافظ ابن حجر لقول النبي ﷺ :(**فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**).

قال: « وإنما أشعر السياق بذم من فعل ذلك بالنسبة إلى من طلب المرأة بصورة الهجرة الخالصة، فأما من طلبها مضمومة إلى الهجرة، فإنه يثاب على قصد الهجرة، لكن دون ثواب من أخلص، وكذا من طلب التزويج فقط لا على صورة الهجرة إلى الله؛ لأنه من الأمر المباح الذي قد يثاب فاعله إذا قصد به القربة كالإعفاف.

ومن أمثلة ذلك ما وقع في قصة إسلام أبي طلحة فيما رواه النسائي عن أنس قال: تزوج أبو طلحة أم سليم، فكان صداق ما بينهما الإسلام، أسلمت أم سليم قبل أبي طلحة، فخطبها، فقالت: إني قد أسلمت، فإن أسلمت تزوجتك، فأسلم، فتزوجته[٣].

---

(١) تقدم الكلام على الآية الكريمة في المبحث الأول من الفصل الأول.

(٢) عدة الصابرين ٣٢١-٣٢٢.

(٣) رواه النسائي في السنن الصغرى ٤٦٢ رقم٣٣٤٢.

وهو محمول على أنه رغب في الإسلام، ودخله من وجهه، وضم إلى ذلك إرادة التزويج المباح، فصار كمن نوى بصومه العبادة والحمية، أو بطوافه العبادة وملازمة الغريم »[١].

وعلى هذا القول، فإن النصوص الدالة على بطلان ما أريد به الدنيا محمولة على ما لو كان الباعث الدنيوي هو المقصود بذاته، أو كان قصد الباعث الدنيوي صرفا، والأخروي ضمنا، بحيث لم يرد بعمله إلا الدنيا، وكان ذلك هو الأغلب على همه، فيغلب قصد الدنيا على قصد العبادة، فيكون الحكم للغالب، فلم يعتد بالعبادة[٢].

وقد حكُي الاتفاق على عدم قبول ما ترجح فيه باعث الدنيا[٣]، ثم وقع الخلاف بعد ذلك فيما إذا تساوى القصدان قصد الدنيا وقصد الآخرة:

فبعضهم يقول إنه إذا قصد الأمرين معا على حد واحد، أو تقاربا، فيلحق في البطلان بما لو كان الباعث الدنيوي أقوى[٤]، ومنهم من يحكي الاتفاق على عدم قبول ما كان الباعثان الدنيا والآخرة فيه متساويين[٥].

---

(١) فتح الباري ١/ ٢٤-٢٥.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين ٤/ ٣٣٤-٣٣٥، ومختصر منهاج القاصدين ٣٩٤-٣٩٥، والفروع ١/ ٤٩٩، والموافقات ٢/ ٣٧٢-٣٧٣، وفتح الباري ١/ ٢٥، ٦/ ٣٤، ٣٥، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/ ٧٤٣، وروح المعاني ١٥/ ٦٥، وحاشية ابن عابدين ٦/ ١٩٢.

(٣) ينظر: روح المعاني ١٥/ ٦٥.

(٤) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/ ٧٤٣، والفروع ١/ ٤٩٩، وفتح الباري ٦/ ٣٤، ٣٥، والأشباه والنظائر ٦٢، وسبل السلام ٤/ ٨٧.

(٥) ينظر: روح المعاني ١٥/ ٦٥.

وعند آخرين أنهما يتقاومان، فلا يكون له ولا عليه، مع أن الإنسان عند الشركة أبدا في خطر، فإنه لا يدري أي الأمرين أغلب على قصده، فربما يكون عليه وبالا[١].

وقيل: إن كان القصدان متساويين، أو متقاربين، فهو نقص في الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص؛ لفقده كمال الإخلاص[٢].

وبعد العرض المتقدم للقول الأول وتفاصيله يمكن سياق الأدلة عليه في الوجوه التالية:

الوجه الأول: النصوص الدالة على حصول صلاح الدنيا والآخرة بفعل الطاعات.

فقد جاء في عدة آيات أن طاعة الله تعالى تجلب نعيم الدنيا، وسعادة الآخرة، ومما جاء في هذا المعنى[٣]:

قوله تعالى ﴿ **وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ** ﴾[٤]، وقال تعالى ﴿ **وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ**

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ٤/ ٣٣٤-٣٣٥، ومختصر منهاج القاصدين ٣٩٤-٣٩٥، وفتح الباري ١/ ٢٥، والأشباه والنظائر ٦٢-٦٣.

(٢) ينظر: القول السديد في مقاصد التوحيد ١٢٨، وسبل السلام ٤/ ٨٧.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٣-٥٤، وأضواء البيان ٣/ ٨، ومعارج الصعود إلى تفسير سورة هود ١٣٩-١٤٠.

(٤) سورة هود، الآية ٣.

تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ ﴾(١)، وقال تعالى ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾(٣)، وقال تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾(٤)، وقال تعالى ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ۝١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ ﴾(٥)، وقال تعالى ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(٦)، وقال تبارك وتعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾(٧)، وقال تعالى ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِم ﴾(٨)، وقال تعالى ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾(٩).

---

(١) سورة هود، الآية ٥٢.

(٢) سورة نوح، الآيات ١٠-١٣.

(٣) سورة الطلاق، الآيتان ٢، ٣.

(٤) سورة الطلاق، الآية ٤.

(٥) سورة الجن، الآيتان ١٦-١٧.

(٦) سورة النحل، الآية ٩٧.

(٧) سورة النحل، الآية ٣٠.

(٨) سورة المائدة، الآية ٦٦.

(٩) سورة الأعراف، الآية ٩٦.

فهذه الآيات وما جاء في معناها تدل على أن طاعة الله تعالى فيها درك الدنيا والآخرة، وهذا نقلٌ لبعض ما جاء عن أهل التفسير في تأويل بعض ما تقدم من آيات.

ففي قوله تعالى ﴿ **وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ** ﴾[(١)].

قال ابن جرير رحمه الله: «يقول الله تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات استغفروا ربكم، ثم توبوا إليه، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا، ورزقكم من زينتها، وأنسأ لكم في آجالكم »[(٢)].

وقال تعالى ﴿ **وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ** ﴾[(٣)].

قال ابن جرير رحمه الله: « يقول فإنكم إن آمنتم بالله، وتبتم من كفركم به، أرسل قطر السماء عليكم، يدر لكم الغيث في وقت حاجتكم إليه، وتحيا بلادكم من الجدب والقحط »[(٤)].

---

(١) سورة هود، الآية ٣.

(٢) جامع البيان ١١/ ٢٠٩، ويراجع: معالم التنزيل ٢/ ٣٨٥، وتفسير ابن كثير ٧/ ٤١١، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٦٧، وزاد المسير ٤/ ٧٥، وأضواء البيان ٣/ ٨، وفتح القدير ٢/ ٤٨١.

(٣) سورة هود، الآية ٥٢.

(٤) جامع البيان ١٢/ ٧٠، ويراجع: تفسير ابن كثير ٧/ ٤٤٧، وزاد المسير ٤/ ١١٧، وأضواء البيان ٣/ ٨، ومعارج الصعود إلى تفسير سورة هود ١٣٩، ، وفتح القدير ٢/ ٥٠٥.

وقال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾[١].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي إذا تبتم إلى الله، واستغفرتموه، وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها الثمار، وخللها بالأنهار الجارية »[٢].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: « والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن به وعمل صالحا، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣]، فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة، وبالحسنى يوم القيامة، فلهم أطيب الحياتين، وهم أحياء في الدارين، ونظير هذا قوله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٤]، ونظيرها قوله تعالى ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ

---

(١) سورة نوح، الآيات ١٠-١٢.

(٢) تفسير ابن كثير ١٤/ ١٤٠، ويراجع: جامع البيان ٢٩/ ١١١-١١٢، والواضح في تفسير القرآن الكريم ٢/ ٤٤١، وتفسير القرآن العزيز ٤/ ٢١٤، والجامع لأحكام القرآن ٢١/ ٢٥٤، وزاد المسير ٨/ ٣٧٠، وفتح القدير ٥/ ٢٩٨.

(٣) سورة النحل، الآية ٩٧.

(٤) سورة النحل، الآية ٣٠.

ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾[١]، ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة، وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين »[٢].

ومن الأحاديث الواردة في هذا المعنى، وهو أن طاعة الله تعالى فيها درك الدنيا والآخرة:

حديث أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(**من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه**).

وفي ترجمة البخاري رحمه الله على هذا الحديث قال: «باب من بسط له في رزقه؛ لصلة الرحم »[٣]، والمعنى أي هذا باب في بيان من بسط له في الرزق بسبب صلة الرحم[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها:(**إنه من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار**)[٥]، وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(**من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب**)[٦].

---

(١) سورة هود، الآية ٣.

(٢) الداء والدواء ٢٨٠.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، ١٠٤٨.

(٤) ينظر: عمدة القاري ١٥/ ١٥٤، وفتح الباري ٤/ ٣٥٣، ١٠/ ٤٢٩، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٧٢.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند٤٢/ ١٥٣ رقم ٢٥٢٥٩، وقال محققوه: إسناده صحيح، وذكروا تمام تخريجه، وقال ابن حجر: رجاله ثقات. فتح الباري ١٠/ ٤٢٩.

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٠٤ رقم ٢٢٣٤، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. المسند ٤/ ٥٥ رقم٢٢٣٤.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(**قال الله عز وجل: ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا، ولم أسد فقرك**)(١).

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:(**إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة، ويعقبه رزقا في الدنيا على طاعته**)(٢).

وفي حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:(**تابعوا بين الحج العمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة**)(٣).

وفي حديث سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(**داووا مرضاكم بالصدقة**)(٤)، وفي حديث بلال ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:(**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد**)(٥).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١٤/ ٣٢١ رقم٨٦٩٦، وذكروا تمام تخريجه، وقال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: سنن ابن ماجه ٢/ ٣٩٣ رقم٣٣١٥.

(٢) رواه مسلم ١٢٢٢ رقم ٢٨٠٨/ ٥٢/ ٧٠٩٠.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ١٨٥ رقم ٣٦٦٩، وقال محققوه: صحيح لغيره، وذكروا تمام تخريجه.

(٤) رواه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان ٥/ ١٨٤-١٨٥ الأرقام ٣٢٧٨-٢٢٨٠، وفيه تمام تخريجه، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٤٥٨ رقم ٧٤٤، وفي صحيح الجامع الصغير ١/ ٦٣٤ رقم ٣٣٥٨.

(٥) رواه الترمذي في الجامع ٨٠٩ رقم٣٥٤٩، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان ٤/ ٤٦٧ رقم٢٨٢٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/ ٧٥٢ رقم ٤٠٧٩، وضعفه في ضعيف الترغيب والترهيب ١/ ١٨٣ رقم ٣٥٧.

وقد جاء عن ابن عمر ﵄ أنه قال: من اتقى ربه، ووصل رحمه، نسئ له في أجله، وثرا ماله، وأحبه أهله[١].

فهذه النصوص وأمثالها تدل على أن طاعة الله وتقواه فيها صلاح الدنيا والآخرة، وأنها سبب لحصول نعيم الدنيا وسعادة الآخرة[٢].

الوجه الثاني: النصوص التي دلت على جواز طلب الدنيا مع أداء الطاعات.

فقد جاء في بعض النصوص الشرعية ما يدل على هذا المعنى، ومنها قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾[٣].

فقد دلت الآثار الواردة في نزول الآية على أنهم كانوا يتجرون في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم، فنزلت الآية[٤].

يقول الأمين الشنقيطي رحمه الله: «ولا خلاف بين العلماء أن المراد بالفضل المذكور في الآية ربح التجارة»[٥].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (مع شرحه فضل الله الصمد) ١/ ١٤٠ رقم٥٨، وقال الشيخ الألباني: حسن. ينظر: صحيح الأدب المفرد ٥١ رقم٤٣/ ٥٨.

(٢) ينظر: معارج الصعود إلى تفسير سورة هود ١٤٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٩٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٧٦٨ رقم ٤٥١٩. وقد ساق ابن جرير وابن كثير آثارا كثيرة في هذا المعنى عند تأويل الآية. يراجع: جامع البيان ٢/ ٣٤٠-٣٤٤، وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٠-٢٥٣.

(٥) أضواء البيان ١/ ١٢١.

وقال: «وقد أطبق علماء التفسير على أن معنى قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، أنه ليس على الحاج إثم ولا حرج إذا ابتغى ربحا بتجارة في أيام الحج، إن كان ذلك لا يشغله عن شيء من أداء مناسكه »(١).

إذا تبين هذا، ففي الآية دليل على جواز التجارة في الحج للحاج مع أداء العبادة، وأن القصد إلى ذلك لا يكون شركا، ولا يخرج به المكلف عن رسم الإخلاص المفترض عليه، وإن كان الحج دون التجارة أفضل؛ لعروها عن شوائب الدنيا، وتعلق القلب بغيرها(٢).

وقد حكي الإجماع على صحة حج التاجر وإثابته، مع أنه قد امتزج به حظ من حظوظ النفس، إلا أن المحرك الأصلي هو قصد الحج، وكذا من قصد الغزو، وقصد الغنيمة تبعا(٣).

وقال تعالى ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾(٤).

---

(١) أضواء البيان ٥/ ٤٨٩، وإن كان ثمة قول حاصله حمل الآية على ما بعد الحج، فيكون التقدير: فاتقون في كل أفعال الحج، ثم بعد ذلك ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم. يراجع في هذا القول، وبيان وجوه ضعفه: تفسير الرازي ٥/ ١٥٥، وروح المعاني ٢/ ٦٥٨، ٦٥٩، وتفسير المنار ٢/ ١٩٦.

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ١/ ١٥٢، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٣٣١، والموافقات ٢/ ٣٦٦، ٣٧٣، وتفسير المنار ٢/ ١٩٧.

(٣) ينظر: مختصر منهاج القاصدين ٣٩٤-٣٩٥، والفروع ١/ ٤٩٨-٤٩٩.

(٤) سورة الحج، الآيتان ٢٧-٢٨.

وقد اختلف المفسرون في تفسير المنافع في قوله تعالى ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ على أقوال:

فقيل: إنها التجارة، ومنافع الدنيا، وقيل: إنها منافع الآخرة، وقيل: إنها منافع الدنيا والآخرة[١].

والقول الأخير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله[٢].

واختاره جمع من المفسرين[٣]، واقتصر آخرون منهم على ذكره في تفسير الآية[٤].

ويقول ابن الجوزي رحمه الله فيه: « وهو أصح؛ لأنه لا يكون القصد للتجارة خاصة، وإنما الأصل قصد الحج، والتجارة تبع »[٥].

---

(١) يراجع: جامع البيان ١٧/ ١٧٢-١٧٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٨٨، ومعالم التنزيل ٣/ ٢١٣-٢١٤، وزاد المسير ٥/ ٤٢٤-٤٢٥، والمحرر الوجيز ١٣٠٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٢٣٥-٢٣٦، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٣٦٦، والدر المنثور ٦/ ٣٧، وفتح القدير ٣/ ٤٤٨.

(٢) يراجع: جامع البيان ١٧/ ١٧٢-١٧٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٨٨.

(٣) منهم ابن جرير في جامع البيان ١٧/ ١٧٣، وابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ٢٣٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٢٥.

(٤) منهم ابن وهب في الواضح في تفسير القرآن الكريم ٢/ ٣٨، وابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز ٣/ ٧٧، وابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٤، والشنقيطي في أضواء البيان ٥/ ٤٨٩، والسعدي في تيسير الكريم المنان ٤٨٦.

(٥) زاد المسير ٥/ ٤٢٥، وينظر: الفروع ١/ ٤٩٩.

ومن الأحاديث الواردة في هذا المعنى، وهو جواز طلب الدنيا مع أداء الطاعات:

حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ أنه قال:(**من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانه**)[1].

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله : « جعل الجهاد مما يصح أن يتخذ للمعاش، ومن ضرورة ذلك أن يكون مقصودا، لكن لما كان باعث الدين على الجهاد هو الأقوى والأغلب كان ذلك الغرض ملغى، فيكون معفوا عنه، كما لو توضأ قاصدا رفع الحدث والتبرد »[2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: **إني تزوجت امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ :(هل نظرت إليها؟ فإن في عيون الأنصار شيئا)، قال: قد نظرت إليها، قال:(على كم تزوجتها؟)، قال: على أربع أواق.**

قال ﷺ:(**على أربع أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه**)[3].

---

(١) رواه مسلم ٨٤٦ رقم ١٨٨٩/ ٤٨٨٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/ ٧٤٣.

(٣) رواه مسلم ٥٩٨ رقم ١٤٢٤/ ٧٥/ ٣٤٨٦.

وعن عبد الله بن حوالة الأزدي ﷺ قال: بعثنا رسول الله ﷺ؛ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا، فقال: (**اللهم لا تكلهم إلي فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم**)[١].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ويدل على أن دخول غير الإعلاء ضمنا لا يقدح في الإعلاء إذا كان الإعلاء هو الباعث الأصلي ما رواه أبو داود »[٢]، ثم ذكر حديث ابن حوالة المتقدم.

وقد صح أن سلمة بن الأكوع ﷺ كان أجيرا لطلحة حين أدركه عبد الرحمن بن عيينة لما أغار على سرح رسول الله ﷺ ، فأعطاه النبي ﷺ سهم الفارس والراجل[٣].

وهذا محمول كما يقول المجد ابن تيمية رحمه الله على أجير يقصد مع الخدمة الجهاد[٤].

وقد دعا سعد بن أبي وقاص ﷺ يوم أحد فقال: اللهم إذا لقيت العدو غدا، فلقني رجلا شديدا بأسه، أقاتله فيك، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وآخذ سلبه[٥].

---

(١) رواه أبو داود في السنن ٣٦٧-٣٦٨ رقم ٢٥٣٥، وقال ابن حجر: إسناده حسن. ينظر: فتح الباري ٦/ ٣٥.

(٢) فتح الباري ٦/ ٣٥.

(٣) رواه مسلم ٨٠٧، ٨٠٩ رقم١٨٠٧/ ١٣٢/ ٤٦٧٨.

(٤) ينظر: منتقى الأخبار مع شرحه نيل الأوطار ٨/ ١٢١.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/ ٩٤، وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الصنعاني: إسناده صحيح. سبل السلام ٤/ ٨٨ وفيه أن القائل هو عبد الله بن جحش، وهذا

يقول الصنعاني رحمه الله: « هذا يدل على أن طلب العرض من الدنيا مع الجهاد كان أمرا معلوما جوازه للصحابة، فيدعون الله بنيله »[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:(**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**).

وقد تقدم كلام من استدل به، ومنهم القرافي، والشاطبي، ومما قاله القرافي: « فأمر بالصوم لهذا الغرض، فلو كان ذلك قادحا لم يأمر به عليه الصلاة والسلام في العبادات وما معها »[٢].

لكن تعقبه الحافظ ابن حجر رحمه الله، فقال: « إن أراد تشريك عبادة بعبادة أخرى، فهو كذلك، وليس محل النزاع، وإن أراد تشريك العبادة بأمر مباح، فليس في الحديث ما يساعده »[٣].

ووجه ذلك أن الحديث أمر بعبادة الصوم؛ لتحصيل مصلحة شرعية، وهي تضمن القصد بالعبادة إلى التعفف، وهو واجب شرعي، فصار طاعة لله تعالى[٤]، فتحصل من هذا العمل عبادتين: الصوم، وحفظ النفس من المعصية.

وهم، فالقائل هو سعد رضي الله عنهما. ينظر مع المستدرك على الصحيحين: أسد الغابة ٢/ ٥٦٥، والإصابة ٦/ ٥٨-٥٩.

(١) سبل السلام ٤/ ٨٨.

(٢) الفروق ٣/ ٤٤.

(٣) فتح الباري ٩/ ١٤، وينظر: سبل السلام ٣/ ٢٣٥.

(٤) ينظر: فتح الباري ١/ ٢٥، وسبل السلام ٣/ ٢٣٥.

وعلى هذا فإن هذا الحديث لا يتم الاستدلال به على صحة قصد الدنيا مع قصد الآخرة.

وعن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(من قتل قتيلا، له عليه بينة، فله سلبه)**[١].

فذكر السلب في هذا المقام ترغيب للجهاد بأمر دنيوي، والشرع ما رغب فيه بذكر الثواب في الدنيا إلا للحض عليه، والاجتهاد في قتال المشركين[٢].

لكنّ الإمام مالكا رحمه الله يرى أنه يكره للإمام أن يقول: من قاتل فله كذا؛ لئلا تفسد وتضعف نيات المجاهدين، وإنما نفل النبي ﷺ بعد القتال[٣].

ويدل على أن هذا القول كان بعد انتهاء الحرب سياق الحديث، ففيه أن أبا قتادة ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، ثم قال: ثم إن الناس رجعوا، وجلس رسول الله ﷺ، فقال: **(من قتل قتيلا، له عليه بينة، فله سلبه)**، قال: فقمت، فقلت: من يشهد لي، الحديث.

فقوله: وجلس رسول الله ﷺ، فقال: **(من قتل قتيلا، له عليه بينة، فله سلبه)**، «دليل على أن هذا القول منه ﷺ كان بعد أن برد القتال »[٤].

---

(١) رواه البخاري ٥٢٢ رقم ٣١٤٢، ومسلم ٧٧٤ رقم ١٧٥١/ ٤٥٦٦.

(٢) ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٤٠٧، وسبل السلام ٤/ ٨٨.

(٣) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٠/ ٨٨، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/ ٥٤١، وفتح الباري ٦/ ٢٨٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/ ٥٤١، وينظر: فتح الباري ٦/ ٢٨٥.

وإذ الأمر كذلك، فإن الاحتجاج بهذا الحديث على المطلوب لا يتم، ومثله في ذلك قوله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[1]، فليس فيها أن من أرادوا الدنيا هنا إنما جاهدوا لذلك، أو أن الدنيا كانت من نيتهم ضمنا وتبعا لما أرادوا الجهاد؛ لأن إرادة الدنيا المذكورة في الآية كانت بعد انتهاء القتال، فقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه وسائر المفسرين[2] أن المراد بهذا الصنف هم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا هزيمة المشركين، فتركوا مقعدهم الذي أقعدهم فيه الرسول ﷺ، ولحقوا بمعسكر المسلمين طلبا للغنيمة[3].

وهذا المعنى هو الذي دل عليه سياق خبر القصة، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه[4].

وهذا التصرف منهم رضي الله عنهم كان عن اجتهاد، إذ كانوا قالوا إن رسول الله ﷺ أمرنا بالثبات هنا لحماية ظهور المسلمين، فلما نصر الله المسلمين، فما لنا وللوقوف هنا حتى تفوتنا الغنائم، فكانوا متأولين[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٣٦٩.

(٣) يراجع: جامع البيان ٤/ ١٦٤-١٦٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧٨٨-٧٨٩، ومعالم التنزيل ١/ ٤٣٣، وزاد المسير ١/ ٤٧٦، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٦٣، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٩، وتفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران) ٢/ ٣٠٨.

(٤) رواه البخاري في مواضع من صحيحه ٥٠١-٥٠٢ رقم ٣٠٣٩، وفيه الإحالة إلى الأرقام ٣٩٨٦، ٤٠٤٣، ٤٠٦٧، ٤٥٦١، وشرحه الحافظ ابن حجر عند رقم ٤٠٤٣. ينظر: فتح الباري ٧/ ٤٠٦.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٢/ ٢/ ١٢٩.

والمقصود أن إرادة هؤلاء الذين هم من خيار المسلمين- وليس فيهم منافق- إرادة عارضة حملتهم على ترك المركز، والإقبال على كسب الغنائم، بخلاف من كان مراده بعمله الدنيا وعاجلها، فهذه الإرادة لون، وإرادة هؤلاء لون[1].

ومن الأحاديث التي يستدل بها على صحة تشريك النية حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(**ما من غازية تغزو في سبيل الله، فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم**)[2].

وفي رواية:(**ما من غازية أو سرية تغزو، فتغنم وتسلم، إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجورهم**)[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:(**انتدب الله لمن خرج في سبيله؛ لا يخرجه إلا إيمان بي، وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر، أو غنيمة، أو أدخله الجنة**)[4].

وقد سبق استدلال الحافظ ابن رجب رحمه الله بهذه الأحاديث، وقوله: «فإن خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ

---

(١) ينظر: عدة الصابرين ٣٢٢.

(٢) رواه مسلم ٨٥٣ رقم ٤٩٢٥/ ١٥٣/ ١٩٠٦.

(٣) رواه مسلم ٨٥٣ رقم ٤٩٢٦/ ١٥٤/ ١٩٠٦.

(٤) رواه البخاري ٩ رقم٣٦.

شيء من الغنيمة أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية»، ثم ساق الحديث[١].

«فهؤلاء بنص الحديث خارجون بنية خالصة، فقد صرح بأنهم غازون في سبيل الله، وأخبر أن الذين نالوا شيئا من الغنيمة ينقص أجرهم وثوابهم، ولا يبطل مطلقا، ذلك أن ما نالوه من غنيمة يعد ثوابا دنيويا عاجلا »[٢].

لكن يقال إن هذه النصوص ليس فيها حكم من أراد بجهاده شيئا من الدنيا، بل فيها حكم من جاهد فأصاب المغنم أو لم يصبه، من حيث تمام الأجر ونقصه[٣].

الوجه الثالث: أنه «لو كان شأن العبادة أن يقدح في قصدها شيء آخر سواها؛ لقدح فيها مشاركة القصد إلى عبادة أخرى، كما إذا جاء المسجد قاصدا للتنفل فيه وانتظار الصلاة، والكف عن إذاية الناس، واستغفار الملائكة له، فإن كل قصد منها شاب غيره، وأخرجه عن إخلاصه عن غيره، وهذا غير صحيح باتفاق، بل كل قصد منها صحيح في نفسه، وإن كان العمل واحدا؛ لأن الجميع محمود شرعا، فكذلك ما كان غير عبادة من المأذون فيه؛ لاشتراكهما في الإذن الشرعي »[٤].

---

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٨١-٨٢، ويراجع أول هذا المبحث.

(٢) مقاصد المكلفين ٤٥٧-٤٥٨، وينظر: سبل السلام ٤/ ٨٨.

(٣) ينظر: تيسير العزيز الحميد ٤٦٨.

(٤) الموافقات ٢/ ٣٧٢.

ومن هنا استدل من قال بذلك بما جاء في انتظار المأموم، والتخفيف لأجل ذي الحاجة، وأنه مثل تبليغ الرسالة، وتعليم العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأذان، وتعليم القرآن، وأنه مثل الانتظار في صلاة الخوف[١].

قالوا: قد كان الرسول ﷺ يقصر الصلاة إذا سمع بكاء صبي مع عزمه في أولها على التطويل، ففي حديث قال رسول الله ﷺ :**(إني لأدخل الصلاة، وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه)**[٢].

وكان مالك بن الحويرث رضي الله عنه يصلي بالناس؛ ما يريد بصلاته إلا أن يعلم الناس[٣].

وفي تبويب المجد ابن تيمية رحمه الله قال: «باب إطالة الإمام الركعة الأولى، وانتظار من أحس به داخلا؛ ليدرك الركعة »[٤].

وذكر حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يطول في الركعة الأولى ما لا يطيل في الثانية، فظننا أنه يريد بذلك أن يدرك الناس الركعة الأولى[٥].

---

(١) ينظر: قواعد الأحكام ١/ ٢١٢-٢١٣، والموافقات ٢/ ٣٦٩-٣٧٢.

(٢) رواه البخاري ١١٦ رقم ٧٠٩، ومسلم ١٠٥٦/ ١٩٢.

(٣) رواه البخاري ١١٠ رقم ٦٧٧.

(٤) ينظر: المنتقى مع شرحه نيل الأوطار ٢/ ٣/ ١٦٩.

(٥) رواه البخاري ١٢٦ رقم ٧٧٦، ومسلم ٤٥١/ ١٥٤/ ١٠١٢، دون قوله (فظننا أنه يريد بذلك أن يدرك الناس الركعة الأولى)، وهي عند أبي داود ١٢٤ رقم ٨٠٠، وصححها الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/ ١٥١-١٥٢ رقم ٧١٨.

وحديث أبي سعيد الخدري ﵁ قال: لقد كانت الصلاة تقام، فيذهب الذاهب إلى البقيع فيقضي حاجته، ثم يتوضأ، ثم يأتي ورسول الله ﷺ في الركعة الأولى؛ مما يطولها[١].

وحديث ابن أبي أوفى ﵁ أن النبي ﷺ كان يقوم في الركعة الأولى من صلاة الظهر حتى لا يسمع وقع قدم[٢].

هذا ما قرره من استدل بهذه النصوص على صحة القصد الدنيوي تبعا وضمنا[٣]، ولا يخفى أن هذه الأعمال لا تدخل في باب إرادة الإنسان بعمله الصالح الدنيا، بل هي من القربات إلى الله تعالى.

فهذه النصوص وما تضمنته يتم الاستدلال بها من جهة أنه إن كان شأن العبادة أن يقدح في قصدها شيء آخر سواها، لقدح فيها مشاركة القصد إلى عبادة أخرى[٤].

وهذا المنزع يتجه إذا صح قياس تشريك العبادة بأمر مباح على تشريكها بعبادة أخرى، فإن الأمر يحتمل صحة القياس، ويحتمل عدم صحته[٥]، والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم ١٩١ رقم ٤٥٤/ ١٦١/ ١٠٢٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٣١/ ٤٨٤ رقم ١٩١٤٦، وقال محققوه: إسناده ضعيف.

(٣) ينظر: الموافقات ٢/ ٣٦٩-٣٧٢، ومقاصد المكلفين ٤٥٦-٤٥٧.

(٤) ينظر: الموافقات ٢/ ٣٧٢، وتقدم نص كلامه.

(٥) ينظر: سبل السلام ٣/ ٢٣٥.

الوجه الرابع: أن أمثال هذه الشوائب التابعة قد لا ينفك الإنسان عنها إلا على الندور، فمن البعيد أن يقال إنه لا ثواب له البتة، لكن يكون تأثيرها في نقصان الثواب، لا إحباطه[١].

وعلى هذا يقال إن حظوظ النفس المختصة بالإنسان لا يمنع اجتماعها مع العبادات، إلا ما كان بوضعه منافيا لها، كالحديث، والأكل، والشرب، والنوم، والرياء، وما أشبه ذلك، أما ما لا منافاة فيه، فلا يقدح في العبادة[٢].

---

(١) ينظر: شرح صحيح البخاري ٥/ ٢٨٥، وإحياء علوم الدين ٤/ ٣٣٤-٣٣٥، ومختصر منهاج القاصدين ٣٩٤-٣٩٥، والفروع ١/ ٤٩٨-٤٩٩، والموافقات ٢/ ٣٧٢، وفتح الباري ٦/ ٣٤-٣٥، ٢٦٠-٢٦١.

(٢) ينظر: الموافقات ٢/ ٣٧٢.

المبحث الثاني:

القول بتحريم العمل الصالح؛ طلبا للدنيا والآخرة.

يقرر جمع من أهل العلم أن العمل الصالح لا يصح فيه إرادة الدنيا والآخرة، فلا يجوز عندهم الجمع بين نية التقرب إلى الله تعالى بهذا العمل وبين نية تحصيل منفعة دنيوية من جرائه.

فعند هؤلاء أن "من تطهر تبردا، أو صام مجما لمعدته، ونوى مع ذلك التقرب، لم يجزه؛ لأنه مزج في نية التقرب نية دناوية، وليس لله إلا العمل الخالص، كما قال تعالى﴿ **أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ** ﴾(١)، وقال ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ** ﴾(٢). وكذلك إذا أحس الرجل بداخل في الركوع وهو إمام، لم ينتظره؛ لأنه يخرج ركوعه بانتظاره عن كونه خالصا لله تعالى، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)**"(٣).

ويقول ابن حزم رحمه الله: «إن خلط بنية الطهارة للصلاة نية لتبرد أو لغير ذلك، لم تجز الصلاة بذلك الوضوء، برهان ذلك قول الله تعالى ﴿ **وَمَآ**

---

(١) سورة الزمر، الآية ٣.

(٢) سورة البينة، الآية ٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٩٨، وينظر: الأشباه والنظائر ٦١-٦٢، ونيل الأوطار ٢/ ١٧٠.

أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[١]، فمن مزج بالنية التي أمر بها نية لم يؤمر بها، فلم يخلص لله تعالى العبادة بدينه ذلك، وإذا لم يخلص، فلم يأت بالوضوء الذي أمره الله تعالى به »[٢].

ويقول أبو عبد الله القرطبي رحمه الله استدلالا بقوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٣].

قال:"وتدلك هذه الآية على أن من توضأ للتبرد والتنظف لا يقع قربة عن جهة الصلاة، وهكذا كل ما كان في معناه »[٤].

ويدل على هذا المعنى أيضا قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[٥].

يقول ابن العربي رحمه الله: «فإن فريضة الوضوء من حرث الآخرة، والتبرد من حرث الدنيا، فلا يدخل أحدهما على الآخر، ولا تجزي نيته عنه بظاهر هذه الآية »[٦].

---

(١) سورة البينة، الآية ٥.

(٢) المحلى ١/ ٩٤، وينظر منه ١/ ٩٠.

(٣) سورة هود، الآيتان ١٥-١٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٥.

(٥) سورة الشورى، الآية ١٠.

(٦) أحكام القرآن ٤/ ٨١، ونقله مقرا له القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٤٦٣.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله متعقبا ابن رجب في قوله: «فإن خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال:(**إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم، فإن لم يغنموا شيئا تم لهم أجرهم**) »[(١)].

قال الشيخ سليمان: « هذا لا يدل على أنهم غزوا لأجلها، فلا يدل على ثبوت الأجر لمن غزا يلتمس عرضا »[(٢)].

ولما قال الحافظ ابن رجب تتمة كلامه المتقدم: «وقد ذكرنا فيما مضى أحاديث تدل على أن من أراد بجهاده عرضا من الدنيا أنه لا أجر له، وهي محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا »[(٣)].

قال الشيخ سليمان معلقا: « ظاهر حديث أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله: رجل يريد الجهاد، وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا؟ فقال رسول الله ﷺ :(لا أجر له)، فأعاد عليه ثلاثا، والنبي ﷺ يقول:(لا أجر له). رواه أبو داود[(٤)].

---

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٨١-٨٢.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٤٦٨.

(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ٨٢، وتقدم قريبا نقله مطولا.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ١٣/ ٢٧٧ رقم ٧٩٠٠، ورواه أبو داود ٣٦٥ رقم ٢٥١٦، وقال الشيخ الألباني: حسن. ينظر: صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٧٨ رقم ٢١٩٦.

يدل على أن نية الجهاد إذا خالطها نية أجر الخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة لم يكن له أجر، ويحتمل أن يكون معنى الجهاد أي: يريد سفر الجهاد، ولم ينو الجهاد إنما نوى عرض الدنيا »[١].

والذي يراه الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله هو التفريق بين ما كانت نية الدنيا مخالطة له من أول مرة، بحيث تكون هي الباعث له على العمل، أو من جملة ما يبعث عليه، كالذي يلتمس الأجر والذكر، فهذا لا أجر له، وبين ما كانت النية خالصة لله من أول مرة، ثم عرض له أمر من الدنيا لا يبالي به، سواء حصل له أو لم يحصل، كالذي أجمع الغزو سواء أعطي أو لم يعط، فهذا لا يضره ونحوه التجارة في الحج، كما قال تعالى ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾[٢].[٣]

ويدل على صحة هذا القول ما جاء في حديث عبادة بن الصامت ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:(**من غزا في سبيل الله، وهو لا ينوي في غزاته إلا عقالا، فله ما نوى**)[٤].

والمعنى أن من أراد الجهاد، ولم ينو إلا تحصيل العقال، وهو الحبل الصغير الذي تشد به ركبة البعير؛ لئلا يفر، (فله ما نوى)، أي لا أجر له،

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٤٦٨-٤٦٩، وينظر: فتح الباري ٦/ ٣٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٨.

(٣) ينظر: تيسير العزيز الحميد ٤٦٩، وينظر: روح المعاني ٢/ ٦٥٩.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٧/ ٣٦٥ رقم ٢٢٦٩٢، وقال محققوه: حسن لغيره، وذكروا تمام تخريجه.

وهذا مبالغة في قطع الطمع عن الغنيمة، وأنه ينبغي أن يكون خالصا لله تعالى غير مشوب بأغراض دنيوية[١].

وفي قصة أجير يعلى بن منية رضي الله عنه الذي استأجره ليجاهد عنه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال:(**ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا والآخرة، إلا دنانيره التي سمى**).

وعلى هذا القول فإن حكم من حج بأجرة أنه لا يجوز الاشتراك في العبادة، فمتى فعله من أجل أخذ الأجرة خرج عن كونه عبادة، فلم يصح[٢].

وإنما صح حج التاجر وإثابته؛ لأن الإحرام به تجرد لله تعالى، ولم يقارنه مفسد[٣].

ويتبين مما سبق نقله أن جماع حجة أصحاب هذا المذهب هي النصوص الدالة على وجوب الإخلاص لله تعالى، وبطلان كل عمل أشرك مع الله تعالى فيه، أو أريد به شيء من عرض الدنيا[٤].

فالنصوص تدل على اشتراط الإخلاص في جميع العبادات، ولا يتأتى الإخلاص إلا بأن يكون الباعث على العمل قصد التقرب إلى الله تعالى، وابتغاء ما عنده، فأما إن كان الباعث عليه غير ذلك من أغراض الدنيا

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح ٧/ ٤١٢، وحاشية السندي على سنن النسائي ٦/ ٢٥.

(٢) ينظر: الفروع ١/ ٤٩٧.

(٣) ينظر: الفروع ١/ ٤٩٨.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٩٧-٢٩٨، وجامع العلوم والحكم ١/ ٨٢.

ومقاصدها، بحيث لو فقد ذلك الغرض لترك العمل، فهو مصيبة موبقة لصاحبها[١].

لكن كما مر في كلام المجيزين، ومنهم المجد ابن تيمية وابن رجب رحمهما الله أن ذلك محمول على أنه لم يكن لهم غرض بهذا العمل إلا الدنيا، فيكون الباعث الأصلي هو مجرد الدنيا، وأما إن كان ضمنا، فيصح عندهم، والله أعلم[٢].

ومن يمنع ذلك يقول إن حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال النبي ﷺ :(**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله**) يحتمل أن يكون المراد أنه لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط، بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سببا غيره لأخل بذلك[٣].

ومن خلال العرض المتقدم يقال إن الأصل أن يكون قصد العبد من عمله ابتغاء ما عند الله تعالى، فإن غلبته نفسه وأراد شيئا من متاع الدنيا بعمله الصالح مع ما عند الله تعالى من الأجر، فليكن همه أن يكون ذلك ضمنا وتبعا لا قصدا وأصلا، ولعله بهذا تجتمع النصوص وتأتلف، ولعل الله تعالى يلطف بعباده ويمن عليهم، فيتحقق لهم مرادهم، وينالون ثواب الدنيا والآخرة.

---

(١) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/ ٧٤٢.

(٢) ينظر: منتقى الأخبار مع شرحه نيل الأوطار، وجامع العلوم والحكم ١/ ٨٢، ويراجع ما تقدم نقله عنه في أثناء عرض القول الأول.

(٣) ينظر: فتح الباري ٦/ ٣٤.

المبحث الثالث:

الارتزاق على أعمال البر.

الارتزاق على أعمال البر له صور متعددة، منها أخذ الأجرة، أو الجعالة على الأعمال الصالحة[1].

وقد جاءت أحاديث في المنع من ذلك منها:

حديث أبي هريرة ﵁ أن رجلا قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا؟ فقال النبي ﷺ :**(لا أجر له)، فأعظم ذلك الناس، وقالوا للرجل: عد لرسول الله ﷺ فلعلك لم تفهمه، فقال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا؟ قال:(لا أجر له)، فقالوا للرجل عد لرسول الله ﷺ، فقال له الثالثة، فقال:(لا أجر له).**

ومنها حديث يعلى بن أمية ﵁ قال: أذن رسول الله ﷺ بالغزو، وأنا شيخ كبير ليس لي خادم، فالتمست أجيرا يكفيني، وأجري له سهمه، فوجدت رجلا، فلما دنا الرحيل أتاني، فقال: ما أدري ما السهمان؟ وما يبلغ سهمي؟ فسم لي شيئا، كان السهم أو لم يكن، فسميت له ثلاثة دنانير، فلما حضرت

---

(١) الإجارة هي العوض، أو تمليك المنافع بعوض، وأما الجعالة فهي ما يجعل للعامل على ما يعمله من أجر ينظر: المطلع على أبواب المقنع ٢٦٤، ٢٨١، وعون المعبود ٤/ ١٤٣، ومعجم لغة الفقهاء ٤٣، ١٦٤، وفي المغني ٨/ ٣٢٧، والشرح الكبير ١٤/ ١٦٩ وجوه الاتفاق والاختلاف بين الإجارة والجعالة.

غنيمته أردت أن أجري له سهمه، فذكرت الدنانير، فجئت النبي ﷺ، فذكرت له أمره، فقال:(**ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي سمى**).

كما جاءت أحاديث أخر تدل على الجواز منها[1]:

حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(**للغازي أجره، وللجاعل أجره وأجر الغازي**)[2].

وحديث جبير بن نفير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(**مثل الذين يغزون من أمتي، ويأخذون الجعل، ويتقوون به على عدوهم، مثل أم موسى، ترضع ولدها، وتأخذ أجرها**)[3].

ومن هنا اختلف أهل العلم في حكم الارتزاق بأعمال البر:

فذهب بعضهم إلى أنه لا تصح الإجارة لأجل الطاعات، والأصل أن كل طاعة يختص بها المسلم، ولا تقع إلا قربة لفاعلها، لا يجوز الاستئجار عليها[4].

---

(١) ينظر: المغني ١٣/ ١٦٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١١/ ١٩٧ رقم٦٦٢٤، وقال محققوه: إسناده صحيح، وذكروا تمام تخريجه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٣٥٤ رقم ١٩٨٨١.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ٣١/ ٥٢، والشرح الكبير ١٤/ ٣٧٨، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ١٤/ ٣٧٨، وحاشية ابن عابدين ٩/ ٩٣، ٩٦.

قالوا: والعبادة إنما تكون عبادة إذا ما قصد بها وجه الله، فأما ما يقع مستحقا بعقد إجارة أو جعالة، فلا يكون قربة[١].

وخالف آخرون في ذلك، ورأوا أن "من عمل لله وحده، وأخلص في عمله إخلاصا تاما، ولكنه يأخذ على عمله جعلا ومعلوما يستعين به على العمل والدين، كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضره أخذه في إيمان العبد وتوحيده؛ لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين، وقصد أن يكون ما حصل له معينا على قيام الدين، ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية، كالزكوات، وأموال الفيء، وغيرها جزءا كبيرا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة"[٢].

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: «لا بأس بالإجارة على الحج، وعلى العمرة، وعلى الخير كله، وهي على عمل الخير أجوز منها على ما ليس بخير ولا بر من المباح »[٣].

وقد بوّب أبو داود رحمه الله على حديث (للغازي أجره، وللجاعل أجره وأجر الغازي)، بقوله: «باب الرخصة في أخذ الجعائل »[٤].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٦/ ١٦-١٧، والفروع ٤/ ٤٣٥.

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد ١٢٨، وينظر: مجموع الفتاوى ٢٦/ ١٤، والمغني ١٣/ ١٦٥، وأخذ الأجرة على أعمال الطاعات والمعاصي ٨٥-٨٦.

(٣) الأم ٣/ ٣١٨، وينظر: المغني ٨/ ١٣٦-١٣٧، والفروع ٤/ ٤٣٥-٤٣٦، والمقنع ١٤/ ٣٧٨، والشرح الكبير ١٤/ ٣٧٨-٣٨٤، والإنصاف ١٤/ ٣٧٨-٣٨٠.

(٤) ينظر: سنن أبي داود: كتاب الجهاد ٣٦٦.

وقال الخطابي رحمه الله تعالى: « في هذا ترغيب للجاعل، ورخصة للمجعول له »[١].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الارتزاق بأعمال البر ليس من شأن الصالحين[٢].

وقال: « من اشتغل بصورة العمل الصالح؛ لأن يرتزق، فهذا من أعمال الدنيا.

ففرق بين من يكون الدين مقصوده والدنيا وسيلة، ومن تكون الدنيا مقصوده والدين وسيلة، والأشبه أن هذا ليس له في الآخرة من خلاق، كما دلت عليه نصوص ليس هذا موضعها »[٣].

وقال رحمه الله بعد ذكره للخلاف في حكم الحج بإجارة، أو بالجعالة: «إذا كان قصده الاكتساب بذلك، وهو أن يستفضل مالا، فهذا صورة الإجارة، والجعالة.

والصواب: أن هذا لا يستحب، وإن قيل بجوازه؛ لأن العمل المعمول للدنيا ليس بعمل صالح في نفسه، إذا لم يقصد به إلا المال، فيكون من نوع المباحات، ومن أراد الدنيا بعمل الآخرة، فليس له في الآخرة من خلاق.

---

(١) معالم السنن ٢/ ٢١١.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٦/ ١٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٦/ ٢٠.

ونحن إذا جوزنا الإجارة والجعالة على أعمال البر التي يختص أن يكون فاعلها من أهل القرب لم نجعلها في هذه الحال إلا بمنزلة المباحات، لا نجعلها من باب القرب.

فإن الأعمال ثلاثة بهذه النية: إما أن يعاقب على العمل بهذه النية، أو يثاب، أو لا يثاب ولا يعاقب »[١].

ومن العرض المتقدم يتبين أنه إن قيل إن الارتزاق بأعمال البر من المباحات، فإن الآخذ يناله نصيبه في الدنيا، ولا أجر له في الآخرة.

وإن قيل بصحة الأخذ، فهو محمول على أن المقصود الأول، والباعث المحرك هو ما عند الله تعالى، وأن ما يأتي من الدنيا فهو تبع وضمن ، لا أصل وقصد ، وهذه الحال تصح عند جماهير أهل العلم كما سلف تحريره وتحقيق القول فيه[٢].

ومثل هذا يقال لو كان الأخذ من باب الرزق من بيت المال[٣]، فإن «كل رزق أخذ على عمل صالح، يفرق بين من يقصد الدين فقط، والدنيا وسيلة، وعكسه، فالأشبه أن عكسه ليس له في الآخرة من خلاق »[٤].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٦/ ١٦-١٧.

(٢) في الفصل الثاني من الدراسة.

(٣) الرزق -بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم- هو العطاء. ينظر: معجم لغة الفقهاء ٢٢٢، ولسان العرب ١٠/ ١١٥، والقاموس المحيط ١١٤٤.

(٤) الفروع ٤/ ٤٣٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ١٤/ ٣٨٠ نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

لكن ما يؤخذ من بيت المال، ليس عوضا وأجرة، بل رزق للإعانـة عـلى الطاعة، فمن عمـل لله أثيـب عـلى عملـه، ومـا يأخـذه رزق للإعانـة عـلى الطاعة[1].

والرزق ليس في مقابلة العمل، وإنما يأخذه لأن لـه حقـا في بيـت المـال، ولهذا يستحقه الغني والفقير، ولا يختص بزمن معلوم، وأجرة معلومة[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيميـة رحمـه الله: «هـذه الأرزاق المـأخوذة عـلى الأعمال الدينية إنما هي أرزاق ومعاون على الدين، بمنزلة ما يرتزقـه المقاتلـة والعلـماء مـن الفـيء، والواجبـات الـشرعية تـسقط بالعـذر، وليـست كالجعالات على عمل دنيوي، ولا بمنزلة الإجارة عليها »[3].

ويقول رحمه الله: « الجند ليسوا كالأجراء، وإنما هم جنـد الله يقـاتلون في سبيل الله عباده، ويأخذون هذه الأرزاق من بيت المال؛ ليـستعينوا بهـا عـلى الجهاد، وما يأخذونه ليس ملكا للسلطان، وإنـما هـو مـال الله يقـسمه ولي الأمر بين المستحقين، فمن جعلهم كالأجراء جعل جهادهم لغـير الله، وقـد جاء في الحديث:(مثل الذين يغزون من أمتي ويأخذون مـا يعطـون مثـل أم موسى ترضع ابنها وتأخذ أجرها) »[4].

---

(١) ينظر: الفروع ٤/ ٤٣٦.

(٢) ينظر: الفروع ٤/ ٤٣٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٣١/ ١٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٥/ ٢٧، وينظر: ٣١/ ٢٨٧.

وإذ تمهد ما تقدم، فإن مما يلحق به مسألة المسابقة[١] على حفظ القرآن، والحديث، والفقه، وغيره من العلوم النافعة، وأخذ العوض عليها.

والخلاف واقع في منع ذلك وتجويزه، ولكن جمع من المحققين، كشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام المحقق ابن قيم الجوزية يذهبون إلى جواز ذلك[٢]، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(**لا سبق إلا في خف، أو حافر، أو نصل**)[٣]، وإذا جازت المراهنة على آلات الجهاد، فهي في باب العلم أولى بالجواز[٤].

وحاصل القول في مسائل الأخذ على الأعمال الصالحة وجوب نظر الآخذ في نيته وقصده؛ لكي يخرج من دائرة إرادة الدنيا، وعليه أن يستحضر أن يكون المقصود الأول، والباعث المحرك هو ما عند الله تعالى، وأن ما يأتي من الدنيا فهو تبع وضمن ، لا أصل وقصد ، والله تعالى أعلم.

---

(١) المسابقة والسبق -بفتح الباء- هو المال المشروط للسابق على سبقه. ينظر: شرح السنة ١٠/ ٣٩٤، ويراجع: المسابقات وأحكامها في الشريعة الإسلامية ١٦-١٧، والفقهاء يتبعون باب السبق ببابي الإجارة والجعالة. ينظر: الفروع ٤/ ٤٢٠، ٤٥٥، ٤٥٨، والمقنع والشرح الكبير والإنصاف: المقنع والشرح الكبير والإنصاف ١٤/ ٢٥٩، ١٥/ ٥.

(٢) ينظر: الفروع ٤/ ٤٦٢، والفروسية المحمدية ٢٥٧.

(٣)رواه الإمام أحمد في المسند ١٦/ ١٢٩ رقم ١٠١٣٨، وقال محققوه: إسناده صحيح، وذكروا تمام تخريجه.

(٤) ينظر: الفروع ٤/ ٤٦٢، والفروسية المحمدية ٢٥٧، والإنصاف ١٥/ ٨-١١.

الخاتمة

الحمد لله على ما يسر من إعداد هذه الدراسة، وهـذا عـرض لجملـة من أهم ما انتهت إليه:

أولا: أهمية دراسة مسائل إرادة الدنيا؛ لصلتها بأصل الـدين الذي هـو الإخلاص لرب العالمين، ولحاجة الناس لمعرفة أحكامهـا في قبـول الأعـمال وبطلانها.

ثانيا: أن أحكام إرادة الدنيا مبنية على أحوالها، ولكل حال حكمها.

ثالثا: أن الارتزاق على العمل الصالح محـل خـلاف بـين أهـل العلـم في كون ذلك من إرادة الدنيا، والسلامة ترك ذلك، ولو استغني عنه بـالأرزاق الواجب بذلها ممن هي في يده لكان فيه غنية، وسـلامة لـدين المـرء وأجـره، ومن أخذ فليكن مقصوده الدين، وأن الدنيا وسيلة، والله المستعان.

رابعا: الرياء وإرادة الدنيا يجتمعان في كونهما شركا في النية والإرادة، وفي إبطال العمل وإفساده، ويفترقان في كـون الريـاء حـالا مـن أحـوال إرادة الدنيا.

خامسا: أن من أراد الدنيا بعمل الآخرة فليس له في الآخرة من نـصيب، وأما مكافأته على عمله في الدنيا فتحت مشيئة الله تعالى وإرادته.

سادسا: من عمل لله طلبا للدنيا قيل بـبطلان عملـه وأنـه شرك ، وقيـل بصحته فيؤجر أو أنه مباح، وقيل بعدم وقوع هذه الصورة، وحقيقـة الأمـر

أنه جعل الدين وسيلة، والدنيا هي المقصود، والنصوص المتكاثرة دالة على بطلان من أراد الدنيا وحدها في عمله.

سابعا: أن العمل المحمود الذي يعمله العبد لا لله تعالى، ولا لغيره من الشركاء لا يكون صاحبه مذموما ولا معاقبا، كما لا يكون مثابا مأجورا، لكن يرجى أن يكون عمله هذا سببا لتوفيق الله له.

تاسعا: الجمع بين طلب الأجر في الآخرة وتحصيل شيء من متاع الدنيا إنما يصح عند القائلين به حال كون الدين هو الأصل، والدنيا تابعة، وبهذا تجتمع النصوص وتأتلف.

هذا بعض ما يمكن تقييده في خاتمة هذه الدراسة، والله أسأل أن يكون الصواب محتفا بها، والحمد لله حمدا كثيرا.

فهرس المراجع

١- **إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد**، للشيخ حمد بن عتيق، اعتنى به سالم القحطاني، ط١، ١٤١٤هـ، رمادي للنشر.

٢- **أحكام القرآن**، لأبي بكر بن العربي، تحقيق علي البجاوي، ط١، ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٣- **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد الغزالي، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية ببيروت.

٤- **أخذ الأجرة على أعمال الطاعات والمعاصي**، للدكتور عبد الله الطريقي، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة المعارف الرياض.

٥- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير، تحقيق خليل شيحا، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار المعرفة ببيروت.

٦- **الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية**، للجلال السيوطي، تحقيق محمد المعتصم البغدادي، ط١، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي ببيروت.

٧- **الإصابة في تمييز الصحابة**، للحافظ ابن حجر العسقلاني ،تحقيق د. عبد الله التركي، ط١، ١٤٢٩هـ، دار هجر بمصر.

٨- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشيخ الأمين الشنقيطي، طبعة سنة ١٤١٣هـ، مكتبة ابن تيمية بمصر.

٩- **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**، للشيخ صالح الفوزان، ط٢، ١٤٢٢هـ، مؤسسة الرسالة ببيروت.

١٠- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن قيم الجوزية، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، طبعة سنة ١٤٠٧هـ، المكتبة العصرية ببيروت.

١١- **الإقناع لطالب الانتفاع**، لموسى الحجاوي، تحقيق د عبدالله التركي، ط١، ١٤١٨هـ، دار هجر بمصر.

١٢- **الأم**، للإمام الشافعي، تحقيق د. رفعت فوزي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الوفاء بمصر.

١٣- **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف** (مع المقنع، والشرح الكبير)، لأبي الحسن المرداوي، تحقيق د.عبد الله التركي، ط١، ١٤١٧هـ، دار هجر بمصر.

١٤- **تجريد التوحيد المفيد**، لأحمد المقريزي، اعتنى به علي العمران، ط٢، ١٤٢٤هـ، دار عالم الفوائد بمكة المكرمة.

١٥- **التحرير والتنوير**، للطاهر بن عاشور، دار سحنون بتونس، دون بيانات أخرى.

١٦- **تفسير القرآن العزيز**، لابن أبي زمنين، تحقيق حسين عكاشة ومحمد الكنز، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ، دار الفاروق الحديثة في مصر.

١٧- **تفسير الرازي** (ينظر: مفاتيح الغيب).

١٨- **تفسير القرآن العظيم**، لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، ط٢، ١٤٢٧هـ، مكتبة نزار الباز بمكة المكرمة.

١٩- **تفسير القرآن العظيم**، للحافظ ابن كثير، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرين، ط١، ١٤٢٥هـ، دار عالم الكتب بالرياض.

٢٠- **تفسير القرآن العظيم (تفسير المنار)**، لمحمد رشيد رضا، تعليق سمير رباب، ط١، ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٢١- **تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)**، للشيخ محمد بن عثيمين، ط١، ١٤٢٦هـ، دار ابن الجوزي بالدمام.

٢٢- **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**، للشيخ صالح آل الشيخ، ط١، ١٤٢٤هـ، دار التوحيد بالرياض.

٢٣- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لابن عبد البر، تحقيق أسامة إبراهيم، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ، دار الفاروق الحديثة بمصر.

٢٤- **التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبد العزيز السعيد وأحمد كحيل ولبيب السعيد، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لم يذكر تاريخ النشر.

٢٥- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، للشيخ سليمان بن عبد الله، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، دون بيانات أخرى.

٢٦- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، للشيخ عبد الرحمن السعدي، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة في بيروت.

٢٧- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابن جرير الطبري، تعليق محمود شاكر الحرستاني، ط١، ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٢٨- **جامع العلوم والحكم**، لابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، الطبعة السابعة ١٤٢٣هـ، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٢٩- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق د.عبد الله التركي، ط١، ١٤٢٧هـ، مؤسسة الرسالة في بيروت.

٣٠- **الجامع لشعب الإيمان**، للحافظ البيهقي، أشرف على تحقيقه مختار الندوي، ط٢ ١٤٢٥هـ، مكتبة الرشد بالرياض.

٣١- **جامع المسائل**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد عزير شمس، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار عالم الفوائد في مكة المكرمة.

٣٢- **حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار)**، لابن عابدين، تحقيق عبد المجيد حلبي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، دار المعرفة ببيروت.

٣٣- **حاشية السندي على سنن النسائي الصغرى**، لأبي الحسن السندي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٣، ١٤٠٩هـ، دار البشائر الإسلامية ببيروت.

٣٤- **حاشية كتاب التوحيد**، للشيخ عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

٣٥- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية في بيروت.

٣٦- **الداء والدواء**، للإمام ابن القيم، حققه محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه زائد النشيري، ط١، ١٤٢٩هـ، دار عالم الفوائد بمكة المكرمة.

٣٧- **درء تعارض العقل والنقل**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور رشاد سالم، ط٢، ١٤١١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٨- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، لمجموعة من علماء نجد الأعلام، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الخامسة عام ١٤١٣هـ.

٣٩- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لجلال الدين السيوطي، طبعة سنة ١٤١٤هـ، دار الفكر ببيروت.

٤٠- **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**، للشيخ الأمين الشنقيطي، اعتنى به عمر السلامي، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة التاريخ العربي ببيروت.

٤١- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لمحمود الألوسي، تحقيق محمد الأمد وعمر السلامي، ط١، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي في بيروت.

٤٢- **زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزي، ط٤، ١٤٠٧هـ،

المكتب الإسلامي ببيروت.

٤٣- **السبك الفريد شرح كتاب التوحيد**، للشيخ عبد الله بن جبرين، اعتنى به علي أبو لوز، ط١، ١٤٢٥هـ، مدار الوطن بالرياض.

٤٤- **سبل السلام شرح بلوغ المرام**، للصنعاني، صححه وعلق عليه فواز زمزلي وإبراهيم الجمل، ط٤، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي ببيروت.

٤٥- **السنن**، للإمام أبي داود السجستاني، تعليق عزت الدعاس وعادل السيد، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ، دار الحديث في بيروت.

٤٦- **السنن**، للإمام أبي داود، ط١، ١٤٢٠هـ، دار السلام بالرياض.

٤٧- **السنن**، للإمام ابن ماجه، ط١، ١٤٢٠هـ، دار السلام بالرياض.

٤٨- **السنن الصغرى (المجتبى)**، للحافظ النسائي، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، ط٣، ١٤٠٩هـ، دار البشائر في بيروت.

٤٩- **السنن الكبرى**، للحافظ النسائي، حققه حسن شلبي، ط١، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٥٠- **شرح السنة**، للبغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي في بيروت.

٥١- **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال، ضبط نصه وعلق عليه ياسر بن إبراهيم، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ، مكتبة الرشد بالرياض.

٥٢- **الشرح الكبير** (مع المقنع، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف)، لأبي الفرج المقدسي، تحقيق د.عبد الله التركي، ط١، ١٤١٧هـ، دار هجر بمصر.

٥٣- **صحيح الأدب المفرد**، بقلم الشيخ الألباني، ط١، ١٤١٤هـ، دار الصديق بالجبيل.

٥٤- **صحيح البخاري**، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ط٢، ١٤١٩هـ، دار السلام بالرياض.

٥٥- **صحيح الترغيب والترهيب**، للشيخ الألباني، ط١، ١٤٢١هـ، مكتبة المعارف بالرياض.

٥٦- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، للشيخ الألباني، ط٢، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي ببيروت.

٥٧- **صحيح سنن أبي داود**، للشيخ الألباني، ط١، ١٤٠٩هـ، المكتب الإسلامي ببيروت.

٥٨- **صحيح سنن ابن ماجه**، للشيخ الألباني، ط٣، ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي ببيروت.

٥٩- **صحيح مسلم**، للإمام مسلم بن الحجاج، ط١، ١٤١٩هـ، دار السلام بالرياض.

٦٠- **صحيح مسلم بشرح النووي**، للحافظ النووي، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٢هـ.

٦١- **العدة حاشية الصنعاني على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق علي عبد الموجود وعلي معوض، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية ببيروت.

٦٢- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق إسماعيل مرحبا، ط١، ١٤٢٩هـ، دار عالم الفوائد بمكة المكرمة.

٦٣- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لمحمود العيني، مراجعة صدقي العطار، دار الفكر ببيروت، طبعة سنة ١٤٢٢هـ.

٦٤- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق محي الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، ١٤٠٩هـ، دار الريان بمصر ومكتبة ابن تيمية بمصر.

٦٥- **فتح الحميد في شرح التوحيد**، للشيخ عثمان ابن منصور، تحقيق سعود العريفي وحسين السعيد، ط ١، ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد بمكة المكرمة.

٦٦- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للشيخ الشوكاني ، طبعة سنة ١٤٢٤هـ، دار عالم الكتب بالرياض.

٦٧- **فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد**، للشيخ عبد الرحمن بن حسن، تحقيق د.الوليد الفريان، نشر وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية.

٦٨- **الفروسية المحمدية**، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق زائد النشيري، ط١، ١٤٢٨هـ، دار عالم الفوائد بمكة المكرمة.

٦٩- **الفروع**، لابن مفلح الحنبلي، مراجعة عبد الستار فراج، ط٤، ١٤٠٤هـ، عالم الكتب ببيروت.

٧٠- **الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)**، للقرافي، ضبط نصه خليل المنصور، ط١، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية ببيروت.

٧١- **فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد**، لفضل الله الجيلاني، ط٣، ١٤٠٧هـ. دار المطبعة السلفية بمصر.

٧٢- **القاموس المحيط**، للفيروزأبادي، تحقيق مكتب التحقيق بمؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٧٣- **قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين**، للشيخ عبد الرحمن بن حسن، تعليق إسماعيل الأنصاري، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.

٧٤- **قواعد الأحكام في مصالح الأنام** (القواعد الكبرى)، للعز بن عبد السلام، تحقيق د.نزيه حماد وعثمان ضميرية، ط٢، ١٤٢٨هـ، دار القلم بدمشق.

٧٥- **القول السديد في مقاصد التوحيد**، للشيخ عبد الرحمن السعدي، ط٢، ١٤٢٣هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية الإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٧٦- **القول المفيد على كتاب التوحيد**، للشيخ محمد ابن عثيمين، ط٢، ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي بالدمام.

٧٧- **لسان العرب**، لابن منظور، ط١، ١٤١٠هـ، دار صادر ببيروت.

٧٨- **مؤلفات الشيخ الإمام**، أعدها للطبع عبد العزيز الرومي وأحمد كحيل وسيد حجاب، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٧٩- **المجموعة العلية من كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وتحقيق د. هشام الصيني، ط١، ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي بالدمام.

٨٠- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخين عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، نشر وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، سنة ١٤١٦هـ.

٨١- **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين**، جمع فهد السليمان، ط٢، ١٤٢٦هـ، دار الثريا بالرياض.

٨٢- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية الأندلسي، ط١، ١٤٢٣هـ، دار ابن حزم ببيروت.

٨٣- **مختصر منهاج القاصدين**، لابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط٤، ١٤٢٢هـ، دار الكتاب العربي ببيروت.

٨٤- **مدارج السالكين بين منازل إياك وإياك نستعين**، للإمام ابن قيم الجوزية، دار الحديث بمصر، دون بيانات أخرى.

٨٥- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المفاتيح**، للملا علي القاري، تحقيق صدقي العطار، طبعة سنة ١٤١٤هـ، دار الفكر ببيروت.

٨٦- **المسابقات وأحكامها في الشريعة الإسلامية**، للدكتور سعد الشثري، ط١، ١٤١٨هـ، دار العاصمة بالرياض.

٨٧- **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله الحاكم، تعليق الشيخ مقبل الوادعي ، ط١، ١٤١٧هـ، دار الحرمين بمصر.

٨٨- **المسند**، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط٢، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة ببيروت.

طبعة أخرى بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، نشر دار المعارف بمصر.

٨٩- **المصنف**، للحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة، تحقيق محمد عوامة، ط١، ١٤٢٧هـ، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت.

٩٠- **المطلع على أبواب المقنع**، لأبي عبد الله البعلي، ط١ ١٣٨٥هـ، المكتب الإسلامي ببيروت.

٩١- **معارج الصعود إلى تفسير سورة هود**، للشيخ الأمين الشنقيطي، جمع عبد الله قادري، ط١، ١٤٠٨هـ، دار المجتمع بجدة.

٩٢- **معارج القبول**، للشيخ حافظ حكمي، دار الكتب العليمة ببيروت.

٩٣- **معالم التنزيل**، للبغوي، تحقيق محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، دار طيبة في الرياض.

٩٤- **معالم السنن**، لأبي سليمان الخطابي ، ط٣، ١٤٢٦هـ، دار الكتب العلمية ببيروت.

٩٥- **معجم لغة الفقهاء**، للدكتور محمد رواس قلعه جي والدكتور حامد قنيبي، ط٢، ١٤٠٨هـ، دار النفائس ببيروت.

٩٦- **المغني**، لابن قدامة المقدسي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، دار هجر في مصر.

٩٧- **مفاتيح الغيب** (تفسير الرازي)، للفخر الرازي، حققه عماد البارودي، المكتبة التوفيقية بمصر.

٩٨- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، لأبي العباس القرطبي، تحقيق محيي الدين مستو وزملائه، ط٢، ١٤٢٠هـ، دار ابن كثير ببيروت.

٩٩- **مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين**، للدكتور عمر الأشقر، ط٢، ١٤١١هـ، دارالنفائس ومكتبة الفلاح.

١٠٠- **المقنع** (مع الشرح الكبير، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف)، لابن قدامة المقدسي، تحقيق د.عبد الله التركي، ط١، ١٤١٧هـ، دار هجر بمصر.

١٠١- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور رشاد سالم، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٠٣- **الموافقات،** لأبي إسحاق الشاطبي، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه، مشهور آل سلمان.

١٠٤- **النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية،** تحقيق الدكتور عبد العزيز الطويان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، دار أضواء السلف في الرياض.

١٠٥- **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار،** للقاضي الشوكاني، دار المعرفة ببيروت.

١٠٦- **الواضح في تفسير القرآن الكريم،** لابن وهب الدينوري، تحقيق أحمد فريد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية في بيروت.

فهرس الموضوعات

حديث « أفلح وأبيه إن صدق »

دراسة حديثية عقدية

إعداد الدكتور:

ياسر بن عبد الرحمن بن عبد القادر الأحمدي

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد في كلية الآداب

في جامعة الملك عبد العزيز

خلاصة البحث

ورد عن النبي ﷺ أنّه قال: «**أفلح وأبيه إن صدق**»، وقد أشكل هذا مع ورود النهي -في أحاديث أخرى صحيحة- عن الحلف بغير الله تعالى، كقوله ﷺ: «**ألا من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله، فكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: لا تحلفوا بآبائكم**»[(١)].

ومن هنا فقد اختلف العلماء في موقفهم من لفظة: «وأبيه» الواردة في صحيح مسلم، وتبيّن من خلال البحث أنّهم وقفوا موقفين:

الموقف الأول: ذهب أصحابه إلى أنها لفظة منكرة، وزيادة شاذة، لا يجوز الأخذ بها.

الموقف الثاني: ذهب أصحابه إلى أنها لفظة صحيحة.

ثم إن هؤلاء القائلين بصحتها انقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول: أخذوا بظاهر اللفظة، فقالوا بكراهة الحلف بغير الله، جمعاً بين النصوص.

والفريق الثاني: قالوا: بتحريم الحلف بغير الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري: في كتاب المناقب باب أيام الجاهلية، ح٣٨٣٦، ومسلم: في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، ح١٦٤٦

وعند تفسير الفريق الثاني لامتناعهم عن الأخذ بظاهر اللفظة رغم تصحيحهم لها، انقسموا إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: قالت بأن الرواية التي تضمنت الحلف بغير الله تعالى، رواية منسوخة.

والطائفة الثانية: ردت النسخ، وقالت بالجمع بين الروايات، فاجتهدت في توجيه اللفظة بما يزيل التعارض بين النصوص.

وهذا بحثٌ في أيّ هذه المواقف أرجح.

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠، ٧١.

أمّا بعد: فإنّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

وبعد: فإن الله تعالى هو الإله المستحق -سبحانه- دون سواه للعبادة والتعظيم، ومن تعظيم الله تعالى إفراده بالحلف سبحانه، ولذلك قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ألا من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله»(١).

وقد أشكل على هذا الأصل الثابت المحكم ما ورد عن النبي ﷺ أنّه قال: «أفلح وأبيه إن صدق»، مما ظاهره الحلف بغير الله؛ فكان هذا البحث الذي يهدف إلى بيان حكم هذا الحديث الأخير، والتوجيه الصحيح للفظة «وأبيه» الواردة فيه.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بالمراجع،وقائمة بالمحتويات على النحو الآتي:

المقدمة.

المبحث الأول: تخريج الحديث من الكتب التسعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الروايات الواردة بلفظ: «أفلح إن صدق».

المطلب الثاني: الروايات الواردة بلفظ «أفلح وأبيه».

---

(١) رواه البخاري: في كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية، ح٣٨٣٦، ومسلم: في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، ح١٦٤٨، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

المبحث الثاني: مواقف العلماء من لفظة «وأبيه» في هذا الحديث، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

وأخيراً فإنني أحمد الله تعالى وأشكره، وهو أهلٌ للحمد والشكر والثناء الحسن، على ما منّ به من كتابة هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يجعله خالصاً صائباً نافعاً، إنّه حميد مجيد.

ثم إنّني أشكر كل من قدّم معروفاً للبحث وباحثه، وأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: تخريج الحديث من الكتب التسعة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الروايات الواردة بلفظ: «أفلح إن صدق»:

ورد الحديث بلفظ «أفلح إن صدق» في تسع روايات، سبع منها من طريق مالك بن أنس، واثنتين من طريق إسماعيل بن جعفر، وفيما يأتي ذكر الحديث بهذا اللفظ ورواياته:

أولاً: لفظ الحديث:

قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا إسماعيل، قال: حدثني مالك بن أنس، عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه سمع طلحة بن عبيد الله، يقول: جاء رجل[1] إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد[2] ثائرَ الرأسِ[3] يُسمعُ

(١) اختلف في الرجل من هو؟ فقيل: إنه ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد، وقيل غيره. انظر: الاستذكار: ٦/ ٣٦٥، وفتح الباري: ١/ ١٣١، وعمدة القاري: ١/ ٤١٧، وعون المعبود: ٢/ ٣٩.

(٢) النجد يطلق في الأصل على ما ارتفع من الأرض، والنجد ضد تهامة، وسميت به الأرض الواقعة بين تهامة والعراق. انظر: عمدة القاري: ١/ ٤١٥، وعون المعبود: ٢/ ٣٩.

(٣) المراد انتفاش شعره وتفرقه، وعدم ترجيله له، كناية عن تركه للرفاهية، وقرب عهده بالوفادة، وأطلق الرأس على الشعر إما مبالغة أو لأن الشعر منه ينبت. انظر: شرح مسلم للنووي: ١/ ١٦٦، وفتح الباري: ١/ ١٣١، و عمدة القاري: ١/ ٤١٥، ١٠/ ٣٦٤، وعون المعبود: ٢/ ٣٩.

دَوِيُّ[(١)] صوته ولا يُفقهُ ما يقول حتى دنا، فإذا هو يسأُلُ عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة»، فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلاّ أن تطّوع»[(٢)]، قال رسول الله ﷺ: «وصيام رمضان»، قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «لا، إلا أن تطوع»، قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطّوع» قال: فأدبر الرجلُ، وهو يقول: والله لا أزيد على هذا، ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»[(٣)].

ثانياً: الروايات التي من طريق مالك بن أنس:

الرواية الأولى: للبخاري وهي الرواية السابقة.

قال ابن حجر: «رجال إسناد هذا الحديث كلهم مدنيون، ومالك والد أبي سهيل هو ابن أبي عامر الأصبحي حليف طلحة بن عبيد الله، وإسماعيل هو ابن أبي أويس ابن أخت الإمام مالك، فهو من رواية إسماعيل عن خاله

---

(١) الدوي: صوت مرتفع متكرر لا يُفهم، لأنه نادى من بُعد. انظر: شرح مسلم للنووي: ١/ ١٦٦، وفتح الباري: ١/ ١٣١.

(٢) استثناء منقطع ومعناه لكن يستحب لك أن تطوع. انظر: شرح مسلم للنووي: ١/ ١٦٧.

(٣) رواه في كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، ح٤٦.

عن عمه عن أبيه عن حليفه، فهو مسلسل بالأقارب كما هو مسلسل بالبلد»[١].

الرواية الثانية: لمسلم قال في صحيحه: حدثنا قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفي عن مالك بن أنس فيما قرئ عليه عن أبي سهيل عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل... –بنحو حديث البخاري إلى أن قال:– فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»[٢].

الرواية الثالثة: لأبي داود قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عمه أبي سهيل ابن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول جاء رجل –بنحو حديث البخاري إلى أن قال:– فقال رسول الله ﷺ:«أفلح إن صدق»[٣].

الرواية الرابعة: للنسائي قال: أخبرنا قتيبة عن مالك عن أبي سهيل عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل –بنحو حديث البخاري إلى أن قال:– قال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»[٤].

---

(١) فتح الباري: ١/ ١٣١.

(٢) رواه في كتاب الإيمان باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، ح١١.

(٣) رواه في كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة، ح٣٩١

(٤) رواه في كتاب الصلاة، باب كم فرضت في اليوم والليلة، ح٤٥٨.

الرواية الخامسة: للنسائي قال: أخبرنا محمد بن سلمة قال: حدثنا ابن القاسم عن مالك قال: حدثني أبو سهيل عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول جاء رجل –بنحو حديث البخاري إلى أن قال:– فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»[(١)].

الرواية السادسة: لأحمد قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا مالك عن عمه عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول جاء أعرابي – بنحو حديث البخاري إلى أن قال:– فقال رسول الله ﷺ: «قد أفلح إن صدق»[(٢)].

الرواية السابعة: جاءت في موطأ الإمام مالك: قال عبد الله بن يحيى: حدثني يحيى عن مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل –بنحو حديث البخاري إلى أن قال:– فقال رسول الله ﷺ: «أفلح الرجل إن صدق»[(٣)].

---

(١) رواه في كتاب الإيمان وشرائعه، باب الزكاة، ح٥٠٢٨.

(٢) رواه في المسند،ح١٣٩٠.

(٣) في كتاب قصر الصلاة في السفر باب جامع الترغيب في الصلاة ح ٩٤.

ثالثاً: الروايات التي من طريق إسماعيل بن جعفر:

الرواية الأولى: قال البخاري في صحيحه: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله أنّ أعرابياً جاء -بنحو حديث البخاري إلى أن قال:- فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق»[1].

الرواية الثانية: قال النسائي: أخبرنا علي بن حجر قال حدثنا إسماعيل وهو ابن جعفر قال: حدثنا أبو سهيل عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابيا جاء -بنحو حديث البخاري إلى أن قال:- فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق»[2].

وبعد دراسة كلام النقاد في جميع رواة الطريقين، تبين أنهم ثقات، وقد خرّجه الشيخان وغيرهما كما تقدّم.

المطلب الثاني: الروايات الواردة بلفظ «أفلح وأبيه»:

ورد الحديث بلفظ «أفلح وأبيه إن صدق» في أربع روايات، اثنتان عند مسلم، والثالثة عند أبي داود، والرابعة عند الدارمي، وكلها تلتقي في

---

(١) رواه في كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان، ح١٨٩١.

(٢) رواه في كتاب الصيام، باب وجوب الصيام، ح٢٠٩٠.

إسماعيل بن جعفر عن نافع عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله، وهي على النحو الآتي:

الروايتان الأولى والثانية: لمسلم قال: **حدثني يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد جميعاً** عن إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله عن النبي ﷺ بهذا الحديث نحو حديث مالك غير أنه قال: فقال رسول الله ﷺ: «أفلح وأبيه إن صدق أو دخل الجنة وأبيه إن صدق»[١].

الرواية الثالثة: لأبي داود قال: حدثنا سليمان بن داود العتكي قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر المدني عن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يعني في حديث قصة الأعرابي قال النبي ﷺ: «أفلح وأبيه إن صدق دخل الجنة وأبيه إن صدق»[٢].

الرواية الرابعة: للدارمي قال: أخبرنا يحيى بن حسان قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل نافع بن مالك عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ - إلى أن قال:- فقال رسول الله ﷺ: «أفلح وأبيه إن صدق أو دخل الجنة وأبيه إن صدق»[٣].

فهذه أربع روايات رجال جميعها ثقات.

---

(١) رواه في كتاب الإيمان باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، ح١١.

(٢) رواه في كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، ح٣٢٥٢.

(٣) رواه في كتاب الصلاة، باب في الوتر، ح١٥٧٨.

المبحث الثاني: توجيه الحديث.

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد:

أشكل وجود لفظة «وأبيه» في هذا الحديث عند جمعٍ من أهل العلم؛ لأنّ ظاهرها أن النبي ﷺ حلف بغير الله، وهذا مخالفٌ للأصل العام المحكم الذي قرره النبي ﷺ في أحاديث كثيرة تؤكد النهي عن الحلف بغير الله، ومن ذلك قوله ﷺ: «ألا من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله، فكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: لا تحلفوا بآبائكم»[١].

ومن هنا فقد تباينت مواقف العلماء من لفظة «وأبيه» في هذا الحديث، واختلفوا في إثباتها، وتوجيهها على ما سيأتي تفصيله في المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول: القول بنكارة هذه اللفظة، والحكم بشذوذها:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: القائلون بهذا القول وأهم الأدلة التي استدلوا بها:

(١) رواه البخاري: في كتاب المناقب باب أيام الجاهلية، ح٣٨٣٦، ومسلم: في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، ح١٦٤٦.

ذهب الإمام ابن عبد البر رحمه الله إلى أنّ لفظة «وأبيه» منكرة غير محفوظة[١]، ومنعها الإمام القرافي رحمه الله [٢]، ونص الشيخان عبد العزيز بن باز، والألباني رحمهما الله على أنّها لفظة شاذة[٣].

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: «هذه لفظة غير محفوظة في هذا الحديث من حديث من يحتج به، وقد روى هذا الحديث مالك وغيره عن أبي سهيل لم يقولوا ذلك فيه، وقد روي عن إسماعيل بن جعفر هذا الحديث، وفيه «أفلح والله إن صدق أو دخل الجنة والله إن صدق»، وهذا أولى من رواية من روى «وأبيه»؛ لأنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح»[٤].

وقال الإمام القرافي رحمه الله: «قد اختلف في صحة هذه اللفظة في الحديث، فإنها ليست في الموطأ، بل «أفلح إن صدق»، فلنا: منعها على الخلاف في زيادة العدل في روايته»[٥].

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر: ١٤/ ٣٦٧.

(٢) انظر: الفروق: ٣/ ٢٩، وفتح الباري: ١/ ١٣٣، وعمدة القاري: ١/ ٤٢٠.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ومقالات ابن باز:٣/ ١٤٣، ومختصر صحيح مسلم: ح ٦١، ص٢١، حاشية: ٢، وسلسلة الأحاديث الضعيفة: ١٠/ ٢/ ٧٥٠ وما بعدها.

(٤) التمهيد لابن عبد البر: ١٤/ ٣٦٧، وانظر: فتح الباري: ١١/ ٥٤٢.

(٥) الفروق:٣/ ٢٩.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «هذه رواية شاذة مخالفة للأحاديث الصحيحة، لا يجوز أن يُتعلق بها، وهذا حكم الشاذ عند أهل العلم، وهو ما خالف فيه الفرد جماعة الثقات... وبكل حال فهي رواية فردة شاذة لا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتشبث بها، ويخالف الأحاديث الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم الحلف بغير الله، وأنه من المحرمات الشركية»[١].

وقال العلامة الألباني رحمه الله: «شاذ عندي في هذا الحديث وغيره[٢]، فإن صح، فهو محمول على أنه كان قبل النهي عن الحلف بغير الله»[٣].

وقد استدلوا على ما ذهبوا إليه بالأدلة الآتية:

الدليل الأول: أنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح الواردة بدونها، والنصوص الصحيحة الناهية عن الحلف بغير الله تعالى[٤].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز: ٣/ ١٤٣.

(٢) يلاحظ أن هذا آخر ما استقر عليه رأي الشيخ، في الطبعة الجديدة لمختصر صحيح مسلم-١٤١٦هـ-، وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة، وذلك لأنه قال في الطبعة السادسة لمختصر صحيح مسلم-١٤٠٧هـ «الأرجح عندي أن هذا كان قبل النهي عن الحلف بغيرالله عز وجل».

(٣) مختصر صحيح مسلم، ح ٦١، ص٢١، حاشية: ٢ «الطبعة الجديدة»، وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة:١٠/ ٢/ ٧٦٤.

(٤) انظر :التمهيد لابن عبد البر: ١٤/ ٣٦٧.

الدليل الثاني: أنّ إسماعيل بن جعفر الذي وردت عنه هذه اللفظة، له روايات أخرى ليس فيها هذه اللفظة، ومن ثمّ فهو متردد في روايته، مضطرب فيها[1].

الدليل الثالث: أن الروايات الواردة عن إسماعيل بن جعفر سواء التي فيها «أفلح إن صدق أو أفلح وأبيه إن صدق»، كلها بصيغة الشك، يقول: «أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق»، وفي الرواية الثانية يقول: «أفلح وأبيه إن صدق، أو دخل الجنة وأبيه إن صدق»، بينما جميع الروايات الواردة عن الإمام مالك كلها بصيغة الجزم: «أفلح إن صدق»[2].

الدليل الرابع: أنّ الإمام مسلما رحمه الله بدأ برواية مالك بلفظ «أفلح إن صدق»، ثم أعقبها برواية إسماعيل بن جعفر، والقاعدة التي ذكرها الإمام مسلم في مقدمة صحيحه أنه يقدّم الروايات التي هي أسلم من العيوب عن غيرها، وأهلها أهل إتقان، ثم يُتبعها بأخبار يقع في أسانيدها من ليس موصوفاً بالحفظ والإتقان كالصنف الذي قبله، لكنه يشمله اسم الستر والصدق وتعاطي العلم[3].

---

(١) انظر: المرويات الواردة في الحلف بالله أو بغيره: ٥٧، ٥٨.

(٢) انظر: ص٣-٥ من هذا البحث، وسلسلة الأحاديث الضعيفة: ١٠/ ٢/ ٧٥٩.

(٣) انظر: صحيح مسلم: ٦٧٣.

الدليل الخامس: أنها ليست محفوظة عن الإمام مالك رحمه الله، رغم روايته للحديث نفسه، قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: «ومالك لا يقاس به مثل إسماعيل بن جعفر في حفظه وإتقانه»[(١)].

وأيضاً: فإنّ مالكا وإسماعيل بن جعفر، إنّما يرويان الحديث عن أبي سهيل عمّ مالك، فلعل الوهم وقع من إسماعيل بن جعفر[(٢)].

فلو قال قائل: إن لفظة «وأبيه» الواردة من طريق إسماعيل بن جعفر، زيادة ثقة، وزيادة الثقة مقبولة. فجوابه: أن محل قبولها فيما لو تساويا في الثقة والضبط، أما إذا اختلفا فتكون مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه شاذة مردودة[(٣)].

الدليل السادس: أنّه لا يُعقل أن يحلف الأعرابي بالله تعالى، ويحلف النبي ﷺ بغيره!!

قال العلامة الألباني رحمه الله: «ثم إنه قد بدا لي شيء آخر أكد لي نكارة الزيادة في حديث طلحة خاصة، ألا وهو أنه بينما نرى الأعرابي السائل

---

(١) الاستذكار: ١٥/ ٩٩، وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة: ١٠/ ٢/ ٧٥٩.

(٢) انظر: الاستذكار: ١٥/ ٩٩، ٩٨، والمرويات الواردة في الحلف: ٦١، وأحاديث العقيدة: ١/ ٢٠٢.

(٣) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة: ١٠/ ٢/ ٧٥٨.

لرسول الله ﷺ عن الإسلام، يحلف بالله دون سواه، إذ بالرسول ﷺ يحلف بأبيه كما تقول الزيادة!، فهذه المقابلة مستنكرة عندي مهما قيل في تأويل الزيادة»[١].

ثم قال: وعلى افتراض صحة هذه اللفظة فالجواب عنها معروف من وجوه، ذكرها الحافظ ابن حجر وغيره رحمهم الله، ويكفي لمنع الأخذ بها، قاعدة: القول مقدم على الفعل عند التعارض، أي إنّ نهي النبي ﷺ عن الحلف بغير الله مُقدّم على حلفه بغيره لو ثبت[٢].

الفرع الثاني: أهم الاعتراضات التي وجهت إلى هذا القول:

ذهب بعض أهل العلم إلى الاعتراض على القول بإنكار لفظة «وأبيه» أو شذوذها، ومن هؤلاء العلماء: الإمامان: ابن حجر[٣]، والعيني[٤]، والشيخان: سليمان آل الشيخ[٥]، وابن عثيمين[٦]، رحمهم الله.

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني:١٠/ ٢/ ٧٦٤.

(٢) انظر: المرجع نفسه:١٠/ ٢/ ٧٥٥.

(٣) انظر: فتح الباري:١/ ١٣٣.

(٤) انظر: عمدة القاري: ١/ ٤٢٠.

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد: ٥٢٧.

(٦) انظر: القول المفيد: ٢/ ٢١٦.

وأهم ما اعترضوا به على هذا القول أمران هما:

الاعتراض الأول: أنّ الحديث بهذه الزيادة صحيح لا مرية فيه[١]، ونصّ الشيخ ابن عثيمين رحمه الله على أنّه «ما دام يمكن حمله على وجه صحيح فإنّه لا يجوز إنكاره»[٢].

الاعتراض الثاني: أنّ «هذا جواب عن هذا الحديث الواحد فقط، ولا يمكن أن يجاب به عن غيره»[٣] من الأحاديث التي ورد فيها حلف النبي ﷺ بغير الله، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه -الصحيح- أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً فقال: «**أما وأبيك لتُنَبأنه** أن تَصدَّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قُلتَ لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»[٤].

وسيأتي الجواب على هذا الحديث في المطلب الآتي والذي يليه.

---

(١) انظر: فتح الباري:١/ ١٣٣، وعمدة القاري: ١/ ٤٢٠.

(٢) القول المفيد: ٢/ ٢١٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد: ٥٩١.

(٤) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، ح١٠٣٢.

المطلب الثاني: القول بتصحيح لفظة «وأبيه».

وفيه فرعان:

ذهب جمع من أهل العلم إلى تصحيح لفظة «وأبيه»، ولكنهم اختلفوا في أثرها على حكم الحلف بغير الله، فبعضهم اختاروا كراهة الحلف بغير الله جمعاً بين النصوص، وبعضهم قالوا بتحريمه، وأجابوا عن هذه اللفظة التي قالوا بصحتها بعددٍ من الأجوبة، على ما سيأتي بيانه في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: الذين صححوها واستدلوا بها على كراهة الحلف بغير الله:

ذهب بعض أهل العلم إلى صحة لفظة «وأبيه»؛ لورودها في الصحيح، واستدلوا بها على كراهة الحلف بغير الله تعالى، إذا اعتُقد بالمحلوف به تعظيماً لا يصل إلى درجة تعظيم الله تعالى، جمعاً بينها وبين النصوص التي تنهى عن الحلف بغير الله.

وقال بهذا القول بعض الأحناف[(١)]، وهو المشهور عن المالكية[(٢)]، وهو قول جمهور الشافعية[(٣)]، وقال به بعض الحنابلة[(٤)].

---

(١) انظر: حاشية بن عابدين: ٣/ ٧٠٥.

(٢) انظر: إحكام الأحكام: ٦٠٣، وفتح الباري: ١١/ ٥٤٠، وسبل السلام: ٤/ ١٨٨.

(٣) انظر: الأم: ٧/ ٦١، وشرح مسلم للنووي: ١١/ ١٠٦، وفتح الباري:١١/ ٥٤٠، وسبل السلام: ٤/ ١٨٨.

(٤) انظر: المغني: ١١/ ١٦٣، والفروع:٦/ ٣٤٠، وفتح الباري: ١١/ ٥٤٠.

الفرع الثاني: الذين صححوها ولكنهم قالوا بتحريم الحلف بغير الله، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تحريمهم للحلف بغير الله، واستدلالهم عليه:

رجّح بعض أهل العلم صحة لفظة «وأبيه»؛ لورودها في الصحيح، ولكنّهم قالوا بتحريم الحلف بغير الله، ومنعوا من الاستدلال بها على القول بالجواز أو الكراهة.

واستدلوا فيما ذهبوا إليه بعددٍ من الأدلة، منها:

الدليل الأول: ما صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب ﷺ وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو فليصمت»[(١)].

الدليل الثاني: ما ثبت عن عمر بن الخطاب ﷺ أنّه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم» قال عمر ﷺ: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكراً ولا آثراً[(٢)].

---

(١) رواه البخاري: في كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، ح٦٢٧٠، ومسلم: في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، ح١٦٤٦.

(٢) رواه البخاري: في كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، ح٦٢٧١، ومسلم: في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، ح١٦٤٦.

الدليل الثالث: ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه سمع رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يُحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[(١)].

وهذا القول هو المشهور عند الأحناف[(٢)]، وهو قول عند المالكية[(٣)]، والشافعية[(٤)]، والمشهور عند الحنابلة[(٥)]، وجزم به بعض الظاهرية[(٦)]، وعليه المحققون من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية[(٧)] وغيره[(٨)]، رحم الله الجميع.

---

(١) رواه أحمد في المسند: ح ٦٠٧٢، والترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، ح١٥٣٥، وقال: حديث حسن، وأبوداود: في كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء، ٣٢٥١،وصححه الحاكم وقال إنه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي: ح٧٨١٤، وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل: ح٢٥٦١.

(٢) انظر: بدائع الصنائع: ٤/ ١٣، والمبسوط للسرخسي:٨/ ١٤٣، ومجموع الفتاوى: ١/ ٢٠٤.

(٣) انظر: إحكام الأحكام: ٦٠٣، وفتح الباري: ١١/ ٥٤٠.

(٤) انظر: روضة الطالبين: ١١/ ٦، ٧، ومجموع الفتاوى: ١/ ٢٠٤، وفتح الباري: ١١/ ٥٤٠.

(٥) انظر: المغني: ١١/ ١٦٢، والفروع: ٦/ ٣٤٠، ومجموع الفتاوى: ١/ ٢٠٤، وفتح الباري: ١١/ ٥٤٠، وسبل السلام: ٤/ ١٨٨.

(٦) انظر: المحلى: ٦/ ٢٨١، ٢٨٤، وفتح الباري: ١١/ ٥٤٠، وسبل السلام: ٤/ ١٨٨.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى: ١/ ٣٣٥.

(٨) انظر: سبل السلام: ٤/ ١٨٨، و تيسير العزيز الحميد: ٥٩٠.

المسألة الثانية: تعليلهم لامتناعهم من الأخذ بظاهر لفظة «وأبيه» رغم تصحيحهم لها:

انقسم أصحاب هذا القول في تعليلهم لامتناعهم عن الأخذ بظاهر لفظة «وأبيه» رغم تصحيحهم لها، إلى فريقين:

الفريق الأول: قالوا بأنها منسوخة.

ذهب جمع من أهل العلم إلى أنّ **هذا الحديث كان قبل النهي، بمعنى أنّ الحلف بالآباء ونحوهم كان جائزاً ثم نُسخ**[١].

ورجح هذا القول: الإمام الطحاوي[٢]، والإمام الماوردي[٣]، والإمام ابن العربي[٤]،

وقال الإمام السبكي: «أكثر الشراح عليه»[٥]، وقوّاه الإمام ابن حجر[٦]،

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي: ١٠/ ٥٢، والمفهم: ١/ ١٦٠، وشرح مسلم للنووي: ١/ ١٦٨، وفتح الباري: ١/ ١٣٢، وعمدة القاري: ١/ ٤٢٠، والديباج للسيوطي: ١/ ١٢، و معالم السنن: ١/ ١٠٥، و الفروق:٣/ ٢٩، وعون المعبود: ٢/ ٤٠، وتحفة الأحوذي: ٥/ ١١٣.

(٢) انظر: شرح مشكل الآثار: ٢/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٣) نقله عنه الحافظ في فتح الباري: ١١/ ٥٤٣.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) انظر: المرجع السابق: ١/ ١٣٢، ١٣٣.

والشيخ سليمان آل الشيخ[١]، والشيخ محمد بن عثيمين[٢] رحمهم الله، وهو ترجيح اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[٣].

وقد استدل هذا الفريق على النسخ بأدلة منها:

١- ما صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو فليصمت»[٤].

٢- وما جاء عن **قُتَيْلَةَ** امرأة من جهينة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، ويقولون: ما شاء الله ثم شئت[٥].

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد:٥٩٢.

(٢) انظر: القول المفيد: ٢ / ٢١٥

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة: ١/ ٢٢٧.

(٤) تقدم تخريجه قريباً.

(٥) رواه النسائي: في كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، ح٣٧٧٣، وأحمد في المسند: ح ٢٧٠٩٣، والطحاوي في مشكل الآثار: ح٨٣٨، والحاكم في المستدرك: ح٧٨١٥، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح١١٦٦.

قالوا: «فما ورد فيه ذكر الحلف بغير الله، فهو جار على العادة قبل النهي، لأن ذلك هو الأصل حتى ورد النهي عن ذلك»[١]، كما هو ظاهر من الحديثين السابقين.

وقد اعترض بعض أهل العلم على هذا التعليل، فضعّفه الإمام السهيلي رحمه الله، وقال:«وهذا قول لا يصح لأنه لم يثبت بأن النبي ﷺ كان يحلف قبل النسخ بغير الله ويقسم بقوم كفار وما أبعد هذا من شيمته ﷺ تالله ما فعل هذا قط، ولا كان له بخلق»[٢].

وقال الإمام المنذري رحمه الله: «دعوى النسخ ضعيفة؛ لإمكان الجمع، ولعدم تحقق التاريخ»[٣].

الفريق الثاني: ردوا النسخ، وقالوا بالجمع بين النصوص.

ذهب جمع من أهل العلم إلى قبول لفظة «وأبيه» وردِّ النسخ، مع تحريمهم للحلف بغير الله، ومن ثمّ فقد اجتهدوا في توجيه هذه اللفظة بما يرونه مزيلاً للتعارض بينها وبين الأحاديث الناهية عن الحلف بغير الله تعالى.

---

(١) تيسير العزيز الحميد:٥٩٣.

(٢) الروض الأنف:٦/ ٥٤٨، ٥٤٩، وانظر: فتح الباري: ١١/ ٥٤٣.

(٣) نقله عنه الحافظ في الفتح: ١١/ ٥٤٣.

وفيما يأتي ذكر أهم التوجيهات التي ذهبوا إليها:

التوجيه الأول: أنها كلمة جارية على اللسان لا يقصد بها الحلف[١].

قال بعض العلماء: إن لفظة «وأبيه»، «كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها غير قاصدة بها حقيقة الحلف، والنهي إنما ورد فيمن قصد حقيقة الحلف، لما فيه من إعظام المحلوف به، ومضاهاته بِهِ اللهَ سبحانه وتعالى»[٢].

قالوا: ومن أمثلة ذلك قولهم: تربت يمينك، بمعنى التصقت يدك بالأرض من الفقر، فهذه كلمة جرت على ألسنتهم لكنهم لا يقصدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر به[٣].

ورجح هذا التوجيه: الإمام النووي[٤]، وقوّاه الإمام ابن حجر[٥]، ورجحه الإمام العيني[٦] رحمهم الله تعالى.

---

(١) انظر: فتح الباري: ١/ ١٣٢، والمفهم: ١/ ١٦٠، ١٦١، والديباج: ١/ ١٢، والسنن الكبرى للبيهقي:١٠/ ٥٢، والفروق: ٣/ ٢٩، ومعالم السنن: ١/ ١٠٤، وعون المعبود: ٢/ ٤٠، وتحفة الأحوذي: ٥/ ١١٣.

(٢) شرح مسلم للنووي: ١/ ١٦٨، وانظر: ١١/ ١٠٥.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ١٨٤، ولسان العرب: مادة: ترب، ٢/ ٢١٧، ٢١٨، والفروق:٣/ ٢٩.

(٤) انظر: شرح مسلم للنووي: ١/ ١٦٨، و فتح الباري: ١١/ ٥٤٣.

(٥) انظر: فتح الباري: ١/ ١٣٢، ١٣٣.

(٦) انظر: عمدة القاري: ١/ ٤٢٠

وقد اعترض بعض العلماء على هذا التوجيه، فقال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله: «هذا جواب فاسد، بل أحاديث النهي عامة مطلقة ليس فيها تفريق بين من قصد القسم وبين من لم يقصد، ويؤيد ذلك أن سعد بن أبي وقاص ﷺ حلف مرة باللات والعزّى، ويبعد أن يكون أراد حقيقة الحلف بهما، ولكنه جرى على لسانه من غير قصد على ما كانوا يعتادونه قبل ذلك، ومع هذا نهاه النبي ﷺ[1]، غاية ما يقال أن من جرى ذلك على لسانه من غير قصد معفو عنه، أما أن يكون ذلك أمراً جائزاً للمسلم أن يعتاده فكلاّ ، وأيضاً فهذا يحتاج إلى نقل أن ذلك كان يجري على ألسنتهم من غير قصد للقسم، وأن النهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف، وأنَّى يوجد ذلك؟»[2].

---

(١) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه حلف باللات والعزى فقال له أصحابه: قد قلت هُجراً فأتى النبي ﷺ فقال: إنّ العهد كان حديثاً وإني حلفت باللات والعزّى؟ فقال له النبي ﷺ قل: (لا إله إلا الله وحده ثلاثاً واتفل عن شمالك ثلاثا وتعوّذ بالله من الشيطان ولا تعد) رواه أحمد في مسنده: ح ١٦٢٢، وابن ماجة في كتاب الكفارات، باب النهي أن يحلف بغير الله: ح٢٠٩٧، وغيرهما وضعفه الألباني في إرواء الغليل: ٨/ ٢٨٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد: ٥٩١، ٥٩٢.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ولو صح هذا لصح أن يُقال لمن فعل شركاً اعتاده لا ينهى؛ لأن هذا من عادته، وهذا باطل»[(١)].

ومما يؤيد ما ذهبا إليه «أن من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك بالله في الألفاظ وإن لم يقصد المتكلم بها معنى لا يجوز»[(٢)].

التوجيه الثاني: أن فيه إضمار اسم الرب كأنه قال: أفلح ورب أبيه[(٣)].

حمل بعض العلماء أحاديث النهي عن الحلف بغير الله فيمن لم يضمر، وأما من أضمر فلا تثريب عليه[(٤)].

وقد ذكر هذا التوجيه الإمام الخطابي[(٥)]، وأجازه الإمام البيهقي[(٦)] رحمهما الله.

وقد ضعف الشيخ ابن عثيمين رحمه الله هذا القول؛ فقال: «الأصل عدم الحذف، ولأن الحذف هنا يستلزم فهماً باطلاً ولا يمكن أن يتكلم الرسول - ﷺ - بما يستلزم ذلك بدون بيان المراد»[(٧)].

---

(١) القول المفيد:٢/ ٢١٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد: ٥٨٦.

(٣) انظر: فتح الباري: ١/ ١٣٢، وعمدة القاري: ١/ ٤٢٠، وعون المعبود: ٢/ ٤٠، وتحفة الأحوذي: ٥/ ١١٣.

(٤) انظر: معالم السنن: ١/ ١٠٥.

(٥) انظر: نفس المصدر: ١/ ١٠٥.

(٦) انظر: السنن الكبرى: ١٠/ ٥٢.

(٧) القول المفيد:٢/ ٢١٧.

قال الشيخ سليمان الدبيخي: «فلا يخفى ما فيه من البعد؛ لأن معناه جواز الحلف بغير الله تعالى مع الإضمار، وهذا كاف في بيان ضعفه، كما أن هذا المسلك عار من الدليل القائم على أن الرسول ﷺ أراد الإضمار، وأن النهي في حق من لم يضمر اسم الله تعالى»[(١)].

التوجيه الثالث: أن ذلك خاص بالنبي ﷺ دون غيره من الناس[(٢)].

نسبه الإمام ابن حجر رحمه الله لبعض العلماء، وذكر أنه تُعُقب «بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال»[(٣)]، وبأن ادعاء الخصائص «يحتاج إلى دليل»[(٤)].

التوجيه الرابع: أنه تصحيف وإنما كان «والله» فقصرت اللامان[(٥)].

حكاه الإمام السهيلي عن بعض مشايخه[(٦)] رحمهم الله.

---

(١) أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين: ١/ ٢٠٩.

(٢) انظر: فتح الباري: ١/ ١٣٣.

(٣) نفس المصدر: ١١/ ٥٤٣.

(٤) نفس المصدر: ١/ ١٣٣، وانظر: عمدة القاري: ١/ ٤٢٠، وتحفة الأحوذي: ٥/ ١١٣، والقول المفيد: ٢/ ٢١٧.

(٥) انظر: فتح الباري: ١/ ١٣٣، و ١١/ ٥٤٢.

(٦) انظر: الروض الأنف:٦/ ٥٤٩، وفتح الباري: ١/ ١٣٣، و ١١/ ٥٤٢.

واستنكره الإمام القرطبي رحمه الله لصحة الروايات فيه[١]، فقال: «وهذا لا يُلتفت إليه؛ لأنه يخرِمُ الثقة برواية الثقات الأثبات»[٢].

التوجيه الخامس: أن المقصود من قوله وأبيه تأكيد الكلام، لا القسم أو التعظيم[٣].

قالوا: إن العرب تطلق هذا اللفظ على وجهين:

«أحدهما: للتعظيم.

والآخر: للتأكيد.

والنهي إنما وقع عن الأول.

ومن أمثلة ما وقع في كلامهم للتأكيد لا للتعظيم قول الشاعر:

لعمر أبي الواشين إني أحبها

فهذا لم يقصد تعظيم والد من وشى به، فدل على أن القصد بذلك تأكيد الكلام لا التعظيم»[٤].

---

(١) انظر: المفهم: ١/ ١٦٠، وفتح الباري: ١/ ١/ ١٣٣، و ١١/ ٥٤٢، و تحفة الأحوذي: ٥/ ١١٣.

(٢) المفهم: ١/ ١٦٠.

(٣) انظر: فتح الباري: ١١/ ٥٤٢، ٥٤٣، ومعالم السنن للخطابي: ١/ ١٠٥، والسنن الكبرى للبيهقي: ١٠/ ٥٢، وعون المعبود: ٢/ ٤٠.

(٤) فتح الباري: ١١/ ٥٤٢، ٥٤٣ "بتصرف".

وممن قال بهذا التوجيه: الإمام البيضاوي[١]، وأجازه الإمام الخطابي[٢]، والإمام البيهقي[٣] رحمهم الله.

وقد تُعُقب بأن النصوص جاءت بصيغة الحلف، وقد مر ذكر حلف عمر بأبيه، ونهي النبي ﷺ عن ذلك، « فلولا أنه أتى بصيغة الحلف ما صادف النهي محلاً»[٤].

قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله: «وأيضاً فالأحاديث مطلقة ليس فيها تفريق، وأيضاً فهذا يحتاج إلى نقل أن ذلك جائز للتأكيد دون التعظيم، وذلك معدوم»[٥].

التوجيه السادس: أنه جار مجرى التعجب وليس الحلف[٦].

قالوا: «ويدل عليه أنه لم يرد بلفظ «أبي» وإنما ورد بلفظ «وأبيه» أو «وأبيك» بالإضافة إلى ضمير المخاطب حاضراً أو غائباً»[٧].

---

(١) نقله عنه الحافظ في الفتح: ١١/ ٥٤٣.

(٢) انظر: معالم السنن: ١/ ١٠٥.

(٣) انظر: السنن الكبرى للبيهقي: ١٠/ ٥٢.

(٤) فتح الباري: ١١/ ٥٤٣.

(٥) تيسير العزيز الحميد:٥٩٢.

(٦) انظر: فتح الباري: ١١/ ٥٤٣.

(٧) نفس المرجع: ١١/ ٥٤٣.

وقال بهذا التوجيه الإمام السهيلي[1] رحمه الله.

وقد تُعقب بأنّه: «على فرض صحته لم يخرج عن كونه قسماً بغير الله تعالى، فالإشكال لم يزل قائماً، إلا إذا ادُّعي جواز القسم بغير الله تعالى إذا كان فيه معنى التعجب»[2].

وهذه الأوجه السابقة سلك أصحابها طريقة الجمع بين النصوص، وجميع هذه المسالك تنطبق على حديث « وأبيك لتنبأن»، عدا التوجيه الرابع فإنه لا يحتمله[3].

المسألة الثالثة: ردهم على القائلين بكراهة الحلف بغير الله:

وقد ردّ أصحاب هذا القول على القائلين بالكراهة بما يلي:

١- إنّ لفظة «وأبيه» وأمثالها هي من قبيل المتشابه الذي يجب رده إلى الأمر المحكم وهو تحريم الحلف بغير الله[4].

٢- إجماع الصحابة ﷺ على تحريم الحلف بغير الله تعالى[5].

---

(١) انظر: الروض الأنف: ٦/ ٥٤٨، ٥٤٩، وفتح الباري: ١١/ ٥٤٣.

(٢) أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين: ١/ ٢١٠.

(٣) انظر: نفس المرجع:١/ ١٩٩.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد العثيمين: ٢/ ٢١٦، ٢١٧.

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٠٤، وشرح مسلم للنووي: ١١/ ١٠٥.

المطلب الثالث: القول المختار.

تبين مما سبق تضافر الأدلة الشرعية القاضية بتحريم الحلف بغير الله تعالى ، والنهي الصحيح الصريح المحكم من النبي ﷺ عن الحلف بالآباء وبكلِّ ما هو غير الله تعالى، إضافةً إلى ما علم من قواعد الشريعة في إفراد الله تعالى بالتعظيم، وسدِّ أبواب الشرك في الأقوال والأعمال، حيث إنّ «الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى به غيره»[1].

قال الإمام البخاري رحمه الله: «وليس لأحدٍ أن يحلف بالمخلوقين، ولا بأعمارهم، ولا بكلامهم»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب أبى حنيفة ... وأحمد وقد حكى إجماع الصحابة على ذلك ...حتى قال عبد الله ابن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر: لأَن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغير الله صادقاً[3]،

---

(١) شرح مسلم للنووي: ١١/ ١٠٥، وانظر: فتح الباري ١١/ ٥٤٠، وتحفة الأحوذي: ٥/ ١١١.

(٢) خلق أفعال العباد: ١٤٤.

(٣) وجدته مروياً عن ابن مسعود رضي الله عنه عند الطبراني في المعجم الكبير: ح٨٩٠٢، ورواه بعضهم بالشك عن ابن مسعود أو ابن عمر رضي الله عنهم كما عند عبد الرزاق في مصنفه: ح ١٥٩٢٩، وقال الهيثمي: (رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح) مجمع الزوائد: ٤/ ١٧٧، وصححه الألباني في إرواء الغليل: ٤/ ١٧٧.

وذلك لأن الحلف بغير الله شرك، والشرك أعظم من الكذب»[١].

ومن هنا فإن الأظهر -والله تعالى أعلم-: أن لفظة «وأبيه» شاذة ومنكرة، لمخالفة إسماعيل بن جعفر راوي هذه اللفظة لمن هو أوثق منه، ولاضطراب الرواية عنه فتارةً يذكرها، وتارةً لا يذكرها، رغم أنّ القصة واحدة.

وقد تقدم أنّ الإمام مسلما رحمه الله ذكر رواية مالك بلفظ «أفلح إن صدق» أولاً، ثم أعقبها برواية إسماعيل بن جعفر «أفلح وأبيه إن صدق»، وهذا يعني على منهجه رحمه الله، أنّ رواية مالك أسلم من العيوب، وأهلها أهل إتقان.

*** ومثل ذلك يُقال في لفظة «نعم وأبيك»:**

ومثل ذلك يُقال في لفظة «نعم وأبيك» الواردة في حديث أبي هريرة ﵁ أنّ رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ وفيه أنه ﷺ قال: «نعم وأبيك لتنبأن» رواه مسلم[٢] وابن ماجة[٣].

---

(١) فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٠٤، وانظر: شرح مسلم للنووي: ١١/ ١٠٥.

(٢) رواه: في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ح٢٥٤٨.

(٣) رواه: في كتاب: الوصايا، باب النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت، ح٢٧٠٦.

فإنّ هذا الحديث نفسه رواه البخاري[(١)] ومسلم[(٢)] وابن ماجة[(٣)] وأحمد[(٤)]، بدون الحلف بغير الله!!.

وذكر الإمام مسلم رحمه الله رواية الحلف بغير الله بعد الرواية التي بدونه، وهذا على قاعدته التي سبق الإشارة إليها، يعني أن الرواية التي بدون الحلف بغير الله أصح.

والحديث بلفظ «نعم وأبيك» يدور حول شَريك، ومع ذلك مرة يرويه بلفظ «والله لتنبأن»[(٥)]، ومرَّة «وأبيك لتنبأن»[(٦)].

وقد خالف فيه رواية ستة من الثقات: سفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك ووهيب بن خالد ومحمد بن طلحة وجرير بن عبد الله وفضيل بن غزوان، فكلهم رووه بدون الحلف بغير الله[(٧)].

---

(١) رواه :في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ح ٥٩٧١.

(٢) رواه :في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ح٢٥٤٨.

(٣) رواه : في كتاب الأدب، باب بر الوالدين، ح٣٦٥٨.

(٤) المسند ح: ٩٠٨١.

(٥) كما عند أحمد في المسند: ح ٩٠٨١.

(٦) كما في الحديث السابق، وانظر: المرويات الواردة في الحلف:٧٦.

(٧) انظر: المرجع السابق.

وقد قال ابن معين: «شَريك صدوق ثقة إلا إذا خالف فغيره أحب إلينا منه»[١].

وقال ابن حجر:« صدوق يخطئ كثيراً»[٢].

وذهب الألباني رحمه الله إلى أن زيادة وأبيك: منكرة[٣]، قال: «وهذا من أوهام شريك عندي»[٤].

وعليه فالرواية التي وافق شريك فيها الثقات هي الرواية الراجحة.

*** ومثل ذلك يُقال في حديث «أما وأبيك لتنبأنه»:**

ومثله أيضاً ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيُّ الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «**أما وأبيك لتنبأنه** أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قُلتَ لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان » رواه مسلم[٥] وأحمد[٦].

---

(١) تهذيب الكمال:١٢/ ٤٦٩.

(٢) تقريب التهذيب:٢٦٦.

(٣) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة:١٠/ ٢/ ٧٥٠.

(٤) المرجع السابق:١٠/ ٢/ ٧٥٢.

(٥) رواه :في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، ح١٠٣٢.

(٦) المسند : ح٧١٥٩.

فإنه رواه أيضاً البخاري[١] ومسلم[٢] وأبو داود[٣] والنسائي[٤] وابن ماجة[٥] وأحمد[٦] بدون الحلف بغير الله.

وأيضاً فإنّ الإمام مسلما رحمه الله ذكر رواية الحلف بغير الله بعد الرواية التي بدونه، وهذا يعني أن الرواية التي بدون الحلف بغير الله أصح.

ثم إنّ مدار هذا الحديث على محمد بن فضيل وهو «صدوق عارف رمي بالتشيع»[٧]، وقد رواه مرة بدون حلف، فوافق في ذلك الثقات، ورواه مرة بالحلف بغير الله، فخالف فيه سفيان بن عيينة وعبد الواحد وجرير وشريك، فإن شريكاً رواه مرة بدون حلف والأخرى فيها الحلف بالله[٨].

وقال الألباني رحمه الله بعد أن ذكر رواية جرير وعبد الواحد وسفيان للحديث: «والقلب يطمئن لروايتهم، لأنهم أكثر وأحفظ»[٩].

---

(١) رواه :في كتاب الزكاة، باب فضل صدقة الصحيح الشحيح، ح١٤١٩.

(٢) رواه :في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، ح١٠٣٢.

(٣) رواه :في كتاب الوصايا، باب ماجاء في كراهية الإضرار في الوصية، ح: ٢٨٦٥.

(٤) رواه :في كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل، ح٢٥٤٢.

(٥) رواه :في كتاب: الوصايا، باب النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت، ح٢٧٠٦.

(٦) المسند : ح ٧٤٠٧، و٩٣٧٨.

(٧) تقريب التهذيب:٥٠٢.

(٨) انظر: المرويات الواردة في الحلف: ٧٩.

(٩) سلسلة الأحاديث الضعيفة:١٠/ ٢/ ٧٥٤.

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١- أنّ الرواية الصحيحة لهذا الحديث هي الرواية الواردة من طريق الإمام مالك رحمه الله، والتي لا تشتمل على لفظة «وأبيه»، وقد خرّجها البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد وغيرهم.

٢- أن لفظ «وأبيه» زيادة شاذة ومنكرة، وردت من طريق إسماعيل بن جعفر، ووردت عنه روايات بدونها، وقد خالفَ الإمامَ مالكا وهو أوثق منه.

٣- أنّ الحلف بغير الله محرم على أصح قولي العلماء.

٤- لم يصح عن النبي ﷺ أنّه حلف بغير الله مطلقاً، وما ورد عن بعض الصحابة من الحلف بغير الله فقد ورد نهيه ﷺ لهم عن ذلك في حينه.

٥- تبيّن من خلال البحث ضعف التوجيهات التي قيلت في الجمع بين لفظة «وأبيه» وبين الأحاديث الناهية عن الحلف بغير الله تعالى.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المراجع

١. أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح، سليمان بن محمد الدبيخي، ط١، الطائف: دار البيان الحديثة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢. إحكام الأحكام، محمد بن علي ابن النقاش المغربي، ط١، تحقيق: رفعت فوزي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٣. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، إشراف: محمد زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤. الاستذكار، ابن عبد البر، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دمشق: دار ابن قتيبة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٥. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، ط١، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

٦. بدائع الصنائع، الكاساني، ط١، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٨. تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، قدم له واعتنى به: محمد عوَّامة، ط٤، حلب: دار الرشيد، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٩. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، بدون ط، تحقيق: مصطفى أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري وآخرون، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، طبع المملكة المغربية.

١٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، ط١، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١١. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط٨،بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٢. الجامع المختصر من السنن، محمد بن عيسى الترمذي، مطبوع ضمن موسوعة الحديث الشريف " الكتب الستة"، ط٣، إشراف: صالح آل الشيخ، الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٣. الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، مطبوع ضمن موسوعة الحديث الشريف " الكتب الستة"، ط٣، إشراف: صالح آل الشيخ، الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٤. حاشية رد المحتار، ابن عابدين، بدون ط، مكة المكرمة: مكتبة الباز، بدون تاريخ.

١٥. خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، بدون ط، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، بدون تاريخ.

١٦. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن السيوطي، ط١، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، الخبر: دار ابن عفان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٧. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السُهيلي، بدون ط، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن السيد الوكيل، بدون تاريخ.

١٨. روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٩. سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد الصنعاني، بدون ط، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٢٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، بدون ط، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٢. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر.

٢٣. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ط٢، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العُلمي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٤. السنن الكبرى، البيهقي، ط١، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العربية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٥. السنن، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، مطبوع ضمن موسوعة الحديث الشريف " الكتب الستة"، ط٣، إشراف: صالح آل الشيخ، الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦. شرح صحيح مسلم، محيي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، ط١، القاهرة: دار الريان: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيَني، بدون ط، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٢٨. عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٢٩. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، ط٢، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٢هـ.

٣٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١، راجعه: قصي محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

٣١. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ط٣، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٣٢. كتاب الفروع، محمد بن مفلح المقدسي، بدون ط، ومعه: تصحيح الفروع، علي بن سليمان المرداوي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، بدون تاريخ.

٣٣. كتاب المبسوط، السرخسي، بدون ط، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٤. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، ط ٢، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٣م.

٣٥. المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب النسائي، مطبوع ضمن موسوعة الحديث الشريف " الكتب الستة"، ط٣، إشراف: صالح آل الشيخ، الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٣٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، بدون ط، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، وساعده ابنه محمد، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٨. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد السليمان، ط٢، الرياض: دار الثريا، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣٩. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز، ط٢، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٠. المحلى، ابن حزم، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، بدون ط، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٤١. مختصر صحيح مسلم، للمنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الرياض: مكتبة المعارف،ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، وط٦، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤٢. المرويات الواردة في الحلف بالله أو بغيره، باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط١، الرياض: دار الراية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤٣. المستدرك على الصحيحين، محمد النيسابوري المعروف بالحاكم، ط١، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٤٤. المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج القشيري، مطبوع ضمن موسوعة الحديث الشريف " الكتب الستة"، ط٣، إشراف: صالح آل الشيخ، الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤٥. المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٤٦. المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

٤٧. معالم السنن شرح سنن أبي داود، حمد بن محمد الخطابي البستي، ط١، خرج آياته ورقم كتبه وأحاديثه وقارن أبوابه مع المعجم المفهرس: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٨. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط٢، الموصل: مكتبة الزهراء، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

٤٩. المغني والشرح الكبير، ابن قدامة، بدون ط، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

٥٠. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد عمر القرطبي، ط١، تحقيق: محيي الدين مستو وآخرون، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٥١. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان بن علي حسن، ط٤، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥٢. الموطأ، مالك بن أنس، بدون ط، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الحديث، بدون تاريخ.

٥٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي البركات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، بدون ط، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، بدون تاريخ.

قائمة المحتويات

المَسَائِلُ العَقَدِيّة
المتَعلِّقة بالذَّبَائِح

إعداد

د. محمد بن عبدالوهاب العقيل

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بكلية الدعوة وأصول الدين، في الجامعة الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [1] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [2] .

أما بعد :

فإن الله –سبحانه وتعالى- خلقنا لعبادته وألزمنا سبحانه وتعالى طاعته وطاعة رسوله –صلى الله عليه وسلم- وشرع لنا من العبادات ما يحبه ويرضاه لنا، ومنعنا من الأعمال والأقوال والاعتقادات التي يبغضها سبحانه وتعالى، وأنزل ذلك كله في وحيه على رسوله –صلى الله عليه وسلم- حتى يعبد سبحانه وتعالى على بصيرة ويقطع سبحانه وتعالى حجة العصاة من عباده عنه يوم القيامة، وقد تنوعت العبادات المشروعة ؛فمنها أعظمها وأعلاها قول لا إله إلا الله، ومنها الصلاة والزكاة والصيام والحج إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي هي من مكملات لا إله إلا الله والتي لا يجوز للمسلم أن يفعلها إلا لله –عز وجل-، ومن هذه العبادة عبادة الذبح

---

(١) الآية (١) من سورة النساء .

(٢) الآية (٧٠-٧١) من سورة الأحزاب .

له سبحانه وتعالى التي هي من أجلّ العبادات الموصلة إلى تحقيق التقوى والإيمان إذا فعلت كما أمر الله –سبحانه وتعالى- ومن أخطرها وأعظمها جلباً لغضب الرحمن ولعنته، إذا فعلت على خلاف أمر الله وشرعه، ولخطورة عبادة الذبح وتهاون كثير من المسلمين في تحقيق عبودية الله –سبحانه وتعالى- في هذه الشعيرة أحببت أن أجمع النصوص الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع، وأن أذكر كلام العلماء –رحمهم الله- في ذلك، وأن أربط هذه العبادة بمسائل الاعتقاد بياناً لأهميتها في هذا الباب، وتحذيراً من صرفها لغير الله –سبحانه وتعالى- المفسد للتوحيد والاعتقاد وسميته (المسائل العقدية المتعلقة بالذبائح) . وسيلاحظ القارئ –إن شاء الله- قوة ارتباط هذه العبادة بمسائل الاعتقاد والتوحيد، وقد حاولت الاختصار على قدر الطاقة وعدم التوسع في بعض المسائل التي مكان التوسع فيها كتب الفقه، ولكن لما كان الدين مترابطاً اضطررت إلى ذكر بعض المسائل التي لها ارتباط في باب الفقه وباب العقيدة مع الإحالة إلى كتب الفقهاء –رحمهم الله- في ذلك، وقد جمعت مادة هذا الكتاب من كلام العلماء –رحمهم الله- وما كان لي فيه إلا الجمع والترتيب فجزاهم الله عنا خير الجزاء، وأسأل الله –سبحانه- أن يجعله خالصاً لوجهه نافعاً لمن قرأه إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

خطة البحث :

يتكون البحث من : مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

الفصل الأول : بيان أن الذبح عبادة من أجل العبادات .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الأدلة من القرآن على أن الذبح عبادة .

المبحث الثاني : الأدلة من السنة على أن الذبح عبادة .

المبحث الثالث : ما ورد عن السلف في أن الذبح عبادة .

الفصل الثاني : المسائل العقدية المتعلقة بذبائح المسلمين .

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : التسمية عند الذبح .

المبحث الثاني : الذبح لغير الله .

المبحث الثالث : ذبيحة تارك الصلاة .

المبحث الرابع : ذبائح أهل الأهواء والبدع .

المبحث الخامس : السنن الثابتة المتعلقة بالذبائح .

المبحث السادس : البدع المحدثة المتعلقة بالذبائح .

الفصل الثالث : المسائل العقدية بذبائح غير المسلمين .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المسائل العقدية المتعلقة بذبائح أهل الكتاب .

المبحث الثاني : المسائل العقدية المتعلقة بذبائح المجوس والوثنيين وغيرهم .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج :

الفهارس :

فهارس المراجع والمصادر .

فهارس المواضيع .

الفصل الأول :
بيان أن الذبح عبادة من أجل العبادات .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :
الأدلة من القرآن على أن الذبح عبادة من أجل العبادات

الأدلة من القرآن على أن الذبح عبادة من أجل العبادات :

الأدلة على ذلك كثيرة جداً من كتاب الله –سبحانه وتعالى– فمن ذلك :

الدليل الأول : قال تعالى :{ **وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ** }[1] ، هذه الآية دليل على أن الله –سبحانه وتعالى– شرع لعباده أنواعاً من الهدي والذبائح تذبح في أيام معلومة وأماكن معلومة، يؤديها المسلم لله –سبحانه وتعالى– وإتماماً لبعض أنواع العبادة في العمرة والحج مما يدل على أن الذبح عبادة يحبها الله –سبحانه–، فيجب أن يذبح المسلم لله وحده لا شريك له، ولا يجوز أن يذبح لغيره كائناً من كان، فكما أن العمرة والحج لله وحده ، فكذلك ما فيهما من أعمال كالطواف والسعي والذبح التي يجب أن تكون لله وحده لا شريك له .

قال القرطبي –رحمه الله– : « وفائدة التخصيص بذكر الله هنا أن العرب كانت تقصد الحج للاجتماع والتظاهر، والتناضل، والتنافر، وقضاء الحاجة وحضور الأسواق، وكل ذلك ليس لله فيه طاعة ولا حظ بقصد ولا قربة

---

(١) الآية (١٩٦) من سورة البقرة .

بمعتقد، فأمر الله -سبحانه- بالقصد إليه لأداء فرضه وقضاء حقه ثم سامح في التجارة . » اهـ[١] .

ولذلك ذكر جابر بن عبدالله -رضي الله عنه- صفة إهلال النبي -صلى الله عليه وسلم- بالحج فقال : ((**فأهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**))[٢] . قال النووي -رحمه الله- : « وفيه إشارة إلى مخالفة ما كانت الجاهلية تقوله في تلبيتها من لفظ الشرك » اهـ [٣] .

وقد كان أهل الجاهلية يحجون لكن كان حجهم بشرك ولم يكن خالصاً لله .

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : ((كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك لك، فيقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((ويلكم قد قد)) فيقولون : ((إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك)) ويقولون هذا وهم يطوفون بالبيت))[٤]، فلذلك أمر الله -سبحانه وتعالى- المسلمين بأن يجعلوا جميع أعمال حجهم وعمرتهم لله وحده، وقد امتثل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذلك فبدأ حجه بالتوحيد خلافاً للمشركين الذين يبدؤونه بالشرك . فدل على أن جميع أعمال الحج عبادة يجب صرفها لله وحده ومن ذلك الذبح والنحر.

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٣٦٩) .

(٢) رواه مسلم (٢/ ٨٨٦) رقم (١٢١٨) .

(٣) شرح النووي (٨/ ١٧٤) .

(٤) رواه مسلم (٢/ ٨٤٢) رقم (١١٨٥) .

الدليل الثاني :

قال تعالى : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾[١] . وهذه الآية تدل كذلك على أن الله –سبحانه وتعالى– قد تعبدنا بتعظيم بيته الحرام وتعظيم الشهر الحرام، والقيام بها أمرنا به من هدي ونحوه ، وأن بتعظيم ذلك وأدائه كما أمر يقوم ديننا وتصلح دنيانا ، فدلت هذه الآية على أن ذبح الهدي أو نحوه عبادة تعبدنا الله –سبحانه وتعالى– بها فوجب أداؤها له وحده لا شريك له.

قال السعدي –رحمه الله– : « يخبر تعالى أنه جعل الكعبة والبيت الحرام قياماً للناس يقوم بالقيام بتعظيمه دينهم ودنياهم فبذلك يتم إسلامهم، وبه تحط أوزارهم وتحصل لهم بقصده العطايا الجزيلة والإحسان الكثير...وكذلك جعل الهدي والقلائد التي في أشرف أنواع الهدي قياماً للناس ينتفعون بها ويثابون عليها » اهـ [٢] .

الدليل الثالث :

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[٣] في هذه الآية يأمر الله –سبحانه– نبيه محمداً –صلى الله عليه وسلم– بإفراد الله –سبحانه وتعالى– بجميع أنواع العبادة ومن ذلك الصلاة والنسك،

---

(١) الآية (٩٧) من سورة المائدة .

(٢) تفسير السعدي (٢٤٥) .

(٣) الآيتان (١٦٢-١٦٣) من سورة الأنعام .

والنسك هو الذبح أو النحر، فدلت على أن الذبح أو النحر عبادة يجب صرفها لله وحده، فكما أن الصلاة عبادة يجب صرفها لله وحده ، فكذلك الذبح والنحر عبادة يجب صرفها لله وحده لا شريك له .

قال الطبري : « يقول تعالى ذكره لنبيه –صلى الله عليه وسلم– قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان { إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي } يقول : وذبحي ﴿ وَمَحْيَايَ ﴾ يقول : وحياتي ﴿ وَمَمَاتِي ﴾ يقول : ووفاتي ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ يعني أن ذلك كله له خالصاً دون ما أشركتم به أيها المشركون من الأوثان ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ في شيء من ذلك من خلقه ولا لشيء منهم نصيب؛ لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصاً ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾ يقول : وبذلك أمرني ربي ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ يقول : وأنا أول من أقر وأذعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك » اهـ [١] .

وقال ابن كثير –رحمه الله– : « يأمر تعالى نبينا محمداً –صلى الله عليه وسلم– أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له ، وهذا كقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [٢] أي : أخلص له صلاتك وذبيحتك فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها . فأمره الله –تعالى– بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد، والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى » . اهـ [٣] .

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٣) شاكر .

(٢) سورة الكوثر .

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٠١) .

الدليل الرابع :

قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] يخبر الله –سبحانه وتعالى– أنه جعل الذبح والنحر عبادة في الشرائع النازلة على الأمم قبل أمة النبي –صلى الله عليه وسلم– وأن في الذبح ذكرا لله وشكرا له على ما أباح ورزق من بهيمة الأنعام، فيجب أن يذبح له وحده ،لأن الذبح عبادة لا يجوز إلا له .

وكما شرع الذبح للأمم السابقة فقد شرعه كذلك وجعله عبادة له في هذه الأمة، وأخبر سبحانه أنه غني عنا وعنها ، وإنما أوجبها علينا لتحقيق التقوى وشكره وذكره –سبحانه–، فالذبح إذاً عبادة كسائر العبادات مشروع لتحقيق التقوى قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] .

وكذلك الذبح كتبه سبحانه وتعالى علينا كما كتبه على الذين من قبلنا لنحقق به وسائر أنواع العبادات التقوى، فبان أن الذبح عبادة هامة تحقق

---

(١) الآيات (٣٤-٣٧) من سورة الحج .

(٢) الآية (١٨٣) من سورة البقرة .

لمن عظمها تقواه سبحانه وتعالى، فصرفها لغيره شرك في العبادة –والعياذ بالله– .

قال ابن كثير –رحمه الله– : « يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعاً في جميع الملل...وإنما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا لتذكروه عند ذبحها ، فإنه الخالق الرازق لا أنه يناله شيء من لحومها ولا دمائها ، فإنه تعالى هو الغني عما سواه. وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابينهم ونضحوا عليها من دمائها ». اهـ[١] . وقال الشوكاني –رحمه الله– : « والمعنى : وجعلنا لكل أهل دين من الأديان ذبحاً يذبحونه ودماً يريقونه، أو متعبداً أو طاعة أو حجاً يحجونه ليذكروا اسم الله وحده ويجعلوا نسكهم خاصاً به »اهـ [٢] .

الدليل الخامس :

قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [٣] دلت هذه الآية على وجوب إفراد الله –سبحانه وتعالى– بالعبادة ومن ذلك الصلاة والنحر، فكما أن على المسلم أن يصلي لله وحده فكذلك يجب عليه أن ينحر له وحده .

قال ابن كثير –رحمه الله– : « أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له...وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه ». اهـ[٤] .

---

(١) تفسير ابن كثير، (٥/ ٢٣٨٧-٢٣٩٣) باختصار .

(٢) تفسير الشوكاني (٣/ ٤٥٢) .

(٣) سورة الكوثر ، آية (٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٧٧) .

وقال ابن جرير –رحمه الله– : « اختلف أهل التأويل في ذلك...ثم قال : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال : معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون الأوثان والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له، وخصك به من إعطائه إياك الكوثر...فتأويل الكلام إذاً : إنا أعطيناك يا محمد الكوثر إنعاماً منا عليك به، وتكرمة منا لك فأخلص لربك العبادة، وأفرد له صلاتك ونسكك خلافاً لما يفعله من كفر به، وعبد غيره، ونحر للأوثان » . اهـ [(١)].

فبان من هذه الآيات أن الذبح عبادة من أجل العبادات وأن الله –سبحانه وتعالى– يحبها لما فيها من ذكره –سبحانه– وشكره وإيثاره مرضاته –سبحانه– وحسن الظن به، ولذلك قرنها سبحانه بالصلاة التي هي أجل العبادات وأعظمها بعد الشهادتين؛ ولذلك يجب على المسلم أن يعرف هذا الأمر حق المعرفة ويفرد ربه –سبحانه– بجميع أنواع العبادة من صلاة وزكاة وصيام وحج وذبح وغير ذلك، ويحذر من صرف شيء من ذلك لغير الله، فإن من صرف من ذلك شيئاً لغيره سبحانه فقد عبد معه غيره، وأشرك معه غيره، وأفسد بذلك عقيدته وأحبط عمله –والعياذ بالله– .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : « والمقصود : أن الصلاة والنسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب، لأن فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر، والخير الكثير، فشكر المنعم عليه وعبادته أعظمها هاتان العبادتان، بل الصلاة نهاية العبادات، وغاية الغايات . كأنه يقول : ﴿ إِنَّآ

(١) تفسير الطبري (٣٠/ ٣٢٨) .

﴿أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ الخير الكثير، وأنعمنا عليك بذلك لأجل قيامك لنا بهاتين العبادتين، شكراً لإنعامنا عليك . وهما السبب لإنعامنا عليك بذلك، فقم لنا بهما، فإن الصلاة والنحر محفوفان بإنعام قبلهما، وإنعام بعدهما، وأجل العبادات المالية النحر، وأجل العبادات البدنية الصلاة، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات، كما عرفه أرباب القلوب الحية، وأصحاب الهمم العالية، وما يجتمع له في نحره من إيثار الله، وحسن الظن به وقوة اليقين، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب، إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص، وقد امتثل النبي -ﷺ أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر، حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة، وكان ينحر في الأعياد وغيرها » . اهـ [١][٢] .

---

(١) الفتاوى (١٦/ ٣٢) .

(٢) انظر : صحيح مسلم (٢/ ٨٩٢) .

المبحث الثاني :

الأدلة من السنة على أن الذبح عبادة من أجل العبادات

من المعلوم أن الأحاديث الواردة في كون الذبح عبادة من أجل العبادات كثيرة جداً، ولذلك فقد أفرد لها المصنفون أبواباً خاصة في كتبهم، انظر ذلك في كتب المحدثين والفقهاء تحت أبواب الأضاحي والهدي، والذبائح وأبواب العقيقة والصيد وجزاء الصيد ونحو ذلك . وسأورد في هذا المبحث –إن شاء الله– بعض الأحاديث الصحيحة الموضحة لعبادة الذبح، وأحيل من أراد الزيادة إلى الأبواب السابقة في كتب المحدثين الفقهاء –رحمهم الله– .

الدليل الأول :

عن البراء بن عازب –رضي الله عنه– قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : ((**إن أول ما يبدأ به في يومنا هذا، نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء**))، وكان أبو بردة بن دينار قد ذبح فقال : عندي جذعة خير من مسنة فقال : ((**اذبحها ولن يجزئ عن أحد بعدك**))[1]، وفي رواية : قال البراء : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : ((**من صلى صلاتنا ووجه قبلتنا ونسك نسكنا فلا يذبح حتى يصلي، فقال خالي : يا رسول الله قد نسكت عن ابن لي فقال : ((ذاك شيء عجلته لأهلك)) فقال : إن عندي شاة خير من شاتين . فقال : ((ضح بها فإنها خير نسيكة))** [2]. وعن أنس

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣) مع الفتح .

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٥٥٣).

ابن مالك -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((**من ذبح قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين**)) [١]. وعن جندب بن سفيان -رضي الله عنه- قال: شهدت الأضحى مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما قضى صلاته بالناس نظر إلى غنم قد ذبحت فقال : ((**من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها، ومن لم يكن ذبح فليذبح على اسم الله**)) [٢] .

دلت هذه الأحاديث مجتمعة على مشروعية الأضحية، وأنها عبادة من العبادات مرتبطة بزمان خاص وصفات خاصة كسائر العبادات، وأنها من سنن وشرائع المسلمين تذبح لله -عز وجل- خالصة كسائر العبادات، تؤدى لله خالصة لا يجوز صرف شيء منها لغير الله، فكذلك الذبح لا يجوز لغير الله، قال ابن حزم -رحمه الله- : « لا يصح عن أحد من الصحابة أنها واجبة وصح أنها غير واجبة عن الجمهور، ولا خلاف في كونها من شرائع الدين ». اهـ[٣] .

الدليل الثاني :

عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- أمر بكبش أقرن يطأ في سواد، ويبرك في سواد وينظر في سواد [٤] فأتى به ليضحي به . فقال لها : ((**يا عائشة هلمي المدية**)) ثم قال : ((**اشحذيها بحجر**)) ففعلت، ثم

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣) مع الفتح . ورواه مسلم (٣/ ١٥٥٥) .

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٥٥١) .

(٣) فتح الباري (١٠/ ٣).

(٤) معناه أن قوائمه وبطنه وما حول عينيه أسود وفيه جواز الأضحية على أي لون كانت .

أخذها وأخذ الكبش فأضجعه ثم ذبحه ثم قال : ((**باسم الله اللهم تقبل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد ((ثم ضحى به))** [١]

وعن أنس قال : ((**ضحى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما**)) [٢].

وعن جابر -رضي الله عنه- قال في صفة حج النبي -صلى الله عليه وسلم: ((**ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بيده، ثم أعطى عليا فنحر ما غبر**[٣] **وأشركه في هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها**)) [٤] . وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت : ((**ضحى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن نسائه بالبقر**)) [٥] . وعنها رضي الله عنها قالت : ((**أهدى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مرة إلى البيت غنماً فقلدها**)) [٦] .

فهذه الأحاديث تدل على مشروعية الذبح لله، وتدل كذلك على أنه عبادة من أجل العبادات؛ ولذلك فقد اعتنى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بها عناية شديدة، فقد أهدى للبيت في حجه مائة بدنة نحر بيده الشريفة ثلاثاً وستين، وأمر علياً -رضي الله عنه- بنحر الباقي وجمع له من لحمها فأكل منه وشرب من مرقها، وضحى عن نسائه بقراً وأهدى وهو في المدينة غنماً، وضحى مرة بكبشين عنه وعن من لم يضح من أمته ، مما يدل

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٠٠٧) .

(٢) رواه البخاري (١٠/ ١٨) مع الفتح، ورواه مسلم (٣/ ١٥٥٦) واللفظ له .

(٣) أي ما بقي وكان مجموع ما أهدى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حجه مائة بدنة .

(٤) رواه مسلم (٢/ ٨٨٦) .

(٥) رواه البخاري (١٠/ ١٩) مع الفتح .

(٦) رواه مسلم (٢/ ٩٥٨) .

على أهمية عبادة الذبح، وأنها مما يحبها الله -سبحانه وتعالى-، وأنها لا تصرف إلا له وحده، ولا يجوز صرفها لغيره -سبحانه وتعالى-، ومن شدة عنايته -صلى الله عليه وسلم- بهذه العبادة فقد شرع لها ما يشرع للعبادات الأخرى من وقت مخصوص وصفات خاصة ومكان مخصوص إذا كانت هدياً أو فدية أو نحو ذلك مما يجب ذبحه في الحرم، وهذا كله يدل على أن الذبح عبادة من العبادات لها أحكام خاصة تتعلق بها شأنها شأن سائر العبادات من صلاة وصيام فلا تقبل إلا بشروطها وأركانها وواجباتها، وتكون مع ذلك كله خالصة لله -سبحانه وتعالى- .

ولذلك حدد النبي -ﷺ- بعض الصفات التي لا تجزئ في الأضحية فقال : ((**أربع لا تجزئ العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والكسير التي لا تنقي**))[1].

فهذه العناية بهذه الشعيرة تدل على أهميتها وأنها عبادة يجب صرفها لله وحده بشروطها وأركانها وواجباتها، وأنه لا يجوز صرفها لغير الله -سبحانه وتعالى- لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، ولا لإمام ولا ولي أو صالح من إنس وجن، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بين من قوله وفعله أنها عبادة تذبح لله على اسم الله، فلا تذبح لغير الله أو على اسم غير اسم الله، كما يفعله عبّاد الأوثان في الجاهلية أو عبّاد القبور في هذا الزمان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، (٣/ ٤٦٨)، وصححه محققه، الرسالة، وأبـو داود، رقـم (٢٨٠٢)، والترمذي (١٤٩٧)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (٤٤٥٩)، وابـن ماجـه (٣١٤٤)، ومالك في الموطأ، رقم (٤٨٢) .

الدليل الثالث :

عن سلمان بن عامر الضبي قال : سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يقول : ((مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى))[١] . وعن سمرة قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- : ((**الغلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويسمى ويحلق رأسه**)) [٢].

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما- : ((**أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- عق عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً**)) [٣]. وفي رواية : ((**كبشين كبشين**)) [٤].

في هذه الأحاديث دليل على نوع ثالث من أنواع الذبح وهو العقيقة، وهي عبادة تتعلق كذلك بالذبح كالأضحية والهدي، ولها شروطها تذبح عن المولود في يوم سابعه لله –سبحانه وتعالى- مما يدل على أن الذبح عبادة مشروعة، ولها أسباب شرعية وأن المسلم يجب أن يعملها كسائر العبادات خالصة لله –سبحانه وتعالى- متبعاً في ذلك هدي النبي –صلى الله عليه وسلم- .

الدليل الرابع :

عن نبيشة رجل من هذيل من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم- أنه قال : ((**إني كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث كيما تسعكم**

---

(١) رواه البخاري (٩/ ٥٩٠) مع الفتح .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، (٣٣/ ٢٧٠)، الرسالة، وأبو داود (٢٨٣٧)، والترمذي (١٥٢٢) وقال : حديث حسن صحيح، وانظر : فتح الباري، (٩/ ٥٩٠) .

(٣) رواه أبو داود (٢٨٤١) ، وصححه الألباني.

(٤) عند النسائي في الكبرى (٤/ ٣٧٢) رقم (٤٥٣١) .

فقد جاء الله بالخير فكلوا وادخروا واتجروا، وأن هذه الأيام أيام أكل وشرب وذكر لله)) فقال رجل : يا رسول الله إنا كنا نعتر عتيرة في الجاهلية في رجب فما تأمرنا فقال : ((اذبحوا لله في أي شهر ما كان، وبروا الله وأطعموا)) فقال رجل آخر : يا رسول الله إنا كنا نفرع فرعاً في الجاهلية فما تأمرنا قال : فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((في كل سائمة من الغنم فرع تغذوه غنمك ، حتى إذا استحمل ذبحته فتصدقت بلحمه على ابن السبيل ، فإن ذلك خير)) [1]. دل هذا الحديث على أن الذبح عبادة من العبادات التي يجب أن تصرف لله وحده، وعلى أن الإسلام قد أتى بشرائع في هذه الشعيرة خالف فيها أهل الجاهلية من استحباب الذبح في زمان خاص أو مكان خاص أو صفة خاصة، فبين النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه لا يستحب من ذلك إلا ما أمر به الله -سبحانه وتعالى- بشرط أن يكون خالصاً لله -سبحانه وتعالى- .

وسيأتي -إن شاء الله- في الفصل الثاني الحديث عن العتيرة والفرع ، والجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك، وكلام العلماء في حكمها ، والذي يهمنا هنا هو إثبات أن الذبح عبادة يجب صرفها لله -سبحانه وتعالى- وحده لا شريك له، وأنها تكون كالصدقة في أي وقت شاء المسلم وأي مكان فعلها .

الدليل الخامس :

عن عامر بن واثلة قال : كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل فقال : ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يسر إليك ؟ قال : فغضب وقال : ما

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٤/ ٣٢٢)، حديث رقم (٢٠٧٢٣)، ط١، الرسالة، وابن ماجه رقم (٣١٦٧)، والنسائي في الكبرى، (٥/ ٣٧٩) رقم (٤٥٤٣)، الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٣) وصححه ووافقه الذهبي.

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يسر إلي شيئاً يكتمه الناس غير أنه قد حدثني بكلمات أربع : قال : فقال : ما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : قال : ((**لعن الله من لعن والده ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثاً ، ولعن الله من غير منار الأرض**)) [1].

دل هذا الحديث على أن الذبح عبادة يجب أن تصرف لله وحده، فمن ذبح لغير الله فهو مشرك ملعون لأنه عبد غير الله -سبحانه- ، فإن من ذبح لغير الله كمن صلى لغير الله، أو صام لغير الله، أو أدى أي عبادة لغير الله .

قال النووي -رحمه الله- : « وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله -تعالى-، كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى -صلى الله عليهما-، أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً، نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله -تعالى- والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً » اهـ [2].

وفي الحديث كذلك رد على الرافضة في أمرين :

الأول : تجويزهم الذبح للقبور، فهذا علي -رضي الله عنه- يروي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لعن الله لمن ذبح لغير الله، وهم يذبحون عند القبور . وسيأتي توضيح ذلك الفصل الثاني -إن شاء الله- .

الأمر الثاني : إبطال زعمهم باختصاص علي -رضي الله عنه- بعلم عن سائر الصحابة؛ ولذلك لما قيل لعلي ذلك غضب ، فما أدري ما يفعل إذا

---

(١) رواه مسلم، رقم (١٩٧٨) .

(٢) شرح النووي (١٣/ ١٤١) .

سمع ما يعتقده فيه الرافضة في هذه الأيام من غلو وصل إلى درجة الربوبية والألوهية –والعياذ بالله–، ولاشك أنه رضي الله عنه بريء منهم، ولذلك حرق من حرق منهم بالنار في القصة المشهورة عنه رضي الله عنه [(١)].

وقد جعل النبي –صلى الله عليه وسلم– الذبح شعاراً من شعارات المسلمين يعرف به حال الرجل من حيث إسلامه وعدمه، فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : **((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله))**[(٢)] .

وفي رواية : ((**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له في ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته**)) [(٣)]. قال ابن حجر –رحمه الله– : « وفيه أن أمور الناس محمولة على الظاهر، فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك » [(٤)].

وهذا الجمع بين الشهادتين والصلاة والذبح في هذا الحديث من أعظم ما يدل على أهمية الذبح والذبائح في الإسلام ووجوب العناية بها .

---

(١) انظر : فتح الباري (١٢/ ٢٧٠) .

(٢) رواه البخاري (١/ ٤٩٧) مع الفتح .

(٣) البخاري (١/ ٤٩٦) مع الفتح .

(٤) فتح الباري (١/ ٤٩٧) .

المبحث الثالث :

ما ورد عن السلف في أن الذبح عبادة من أجل العبادات

وردت عن السلف –رحمهم الله- آثار كثيرة جداً في تفسير النسك بالذبح، وفي الترغيب بالذبح لله وحده، والتحذير من الذبح لغيره، مما يدل على إجماعهم على أن الذبح عبادة من أجل العبادات يجب أن تصرف لله وحده، ولا يجوز صرفها لغير الله أبداً فمن ذلك :

عن عمران بن حصين قال : « لأن أضحي بجذع أحب إلي من أن أضحي بهرم، الله أحق بالغنى والكرم وأحبهن إلي أن أضحي به أحبهن إلي أن أقتنيه »[1] . وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : « لا يهدي أحد لله ما يستحي أن يهدي لكريمه، الله أكرم الكرماء وأحق من اختير له »[2].

وعن مجاهد في قوله –تعالى- : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾[3] قال : ذبيحتي في الحج والعمرة[4]، وعنه في قوله –تعالى- : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ قال : إهراق الدماء ليذكروا اسم الله عليها[5] . وعن سعيد بن جبير قال : ((﴿ وَنُسُكِي ﴾ ذبيحتي))[6] .

---

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٤/ ٣٨٥)، والطبراني في الكبير (٤/ ٢٠)، وانظر : السنن للبيهقي ٠٩/ ٢٧١) .

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٣٨٠)، وعبدالرزاق في المصنف (٤/ ٣٨٦) .

(٣) الآية (١٦٢) من سورة الأنعام .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٨٤) .

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٦١) .

(٦) رواه الطبري (١٢/ ٢٨٤) .

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله -تعالى- : ﴿ وَٱنْحَـرْ ﴾ قال: ((اذبح يوم النحر)) [١] . وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في هذه الآية : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَـرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَـرْ ﴿٢﴾ ﴾ يقول : « إن ناساً كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله، فإذا أعطيناك الكوثر يا محمد فلاتكن صلاتك ونحرك إلا لي » [٢] . وعن طاووس قال : « ما أنفق الرجل من نفقة أعظم أجراً من دم يهراق في هذا اليوم يعني يوم النحر إلا رحم يصلها » [٣].

وعن الأسود بن هلال قال : « قدمت المدينة بإبل لي فقلت : لو دخلت المسجد قال : فدخلت المسجد فإذا عمر بن الخطاب يخطب وهو يقول : يا أهل المدينة حجوا وأهدوا فإن الله يحب الهدي قال : فرجعت إلى إبلي فإذا كل رجل معتنق منها بعيراً، قال : وجاء عمر فنظر إليها فقال : هذه إبل رجل مهاجر » [٤] . وعن سعيد بن المسيب قال : « لأن أضحي بشاة أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم » [٥] .

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-في قوله -تعالى- : ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ قال : الله أكبر الله أكبر، اللهم منك ولك [٦].وعن الحسن أنه قال : «﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ قال : مخلصين » .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٣٢٨) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٣٢٧) .

(٣) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٤/ ٣٨٧).

(٤) المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٥) المصدر السابق (٤/ ٢٨٨) .

(٦) رواه الطبري (١٧/ ١٦٤) .

وعن شقيق الضبي قال : ((﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ قال : خالصة . وعن ابن زيد في قوله : ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ قال : خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون لله ولآلهتهم صوافي صافية لله –تعالى– (١).

فهذه الآثار وما جاء في معناها تدل على أن السلف –رحمهم الله– كانوا يرون أن الذبح عبادة من أجل العبادات؛ ولذلك فقد اعتنوا به كما اعتنوا بسائر العبادات، وأوجبوا إخلاصه لله كإخلاص الصلاة وغيرها من أنواع العبادات .

وقد ورد عن علماء الأمة ما يدل على إجماعهم على أن الذبح لله عبادة من أجل العبادات، وأن الله قد شرع لهذه الأمة أنواعاً منه كالهدي والأضحية والكفارات وفدية الصيد والعقيقة، وجعل ذلك من شرائع الدين وسننه، وأباح الذبح في كل وقت للصدقة والأكل بشرط ذكر اسم الله عليها (٢).

ولم يرد عن أحد من الصحابة –رضي الله عنهم– ولا عن أحد من التابعين ولا عن أحد من العلماء المتبوعين أنه جوز الذبح لغير الله من الأنبياء أو الأولياء أو جوز الذبح للجن أو للقبور أو للمشاهد .

وسيأتي لذلك زيادة –إن شاء الله– (٣).

---

(١) ذكر هذه الآثار كلها الطبري في تفسيره (١٧/ ١٦٥) .

(٢) انظر : المغني (١٣/ ٣٦٠) .

(٣) انظر : الفصل الثاني .

الفصل الثاني :

المسائل المتعلقة بذبائح المسلمين

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول :

التسمية عند الذبح

المطلب الأول : وجوب إخلاص النية لله عند الذبح

من المعلوم أن الأعمال بالنيات، والذبح عمل من الأعمال، وعبادة من أجل العبادات؛ فلذلك لابد من أن يخلص الذابح نيته لله -سبحانه وتعالى- ، فينوي قبل الذبح أن ذبحه أو نحره لله -سبحانه وتعالى- وحده امتثالاً لأمره وشكراً على نعمه التي أحلها وأباحها من بهيمة الأنعام، وغيرها مما أباحه الله -سبحانه وتعالى- من الصيد .

ولابد كذلك للذابح أن يحدد نوع العبادة فالذبائح متنوعة منها هدي التمتع والقران، ومنها الفدية والكفارات وجزاء الصيد، ومنها النذر والهدي والأضاحي، ومنها العقيقة ، ومنها المباحات التي تذبح بإذن الله وعلى اسمه للأكل والضيف مما أباحه الله -سبحانه وتعالى-، فكل نوع من هذه الأنواع يحتاج إلى نية تميزه عن النوع الآخر، مع احتياج الجميع إلى إخلاصه لله -سبحانه وتعالى- وحده لا شريك له .

والإخلاص في العمل هو الركن الأول من أركان العمل المتقبل الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[١].

قال ابن العربي –رحمه الله–: « الذبيحة قربة بدليل افتقارها إلى النية، وقد قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ ﴾[٢] »[٣].

ومع الإخلاص لابد أيضاً من الحرص على الركن الثاني وهو متابعة النبي –صلى الله عليه وسلم– في سائر العبادات، ومن ذلك الذبح، وقد مر معنا نماذج من عنايته –صلى الله عليه وسلم– بهذه العبادة العظيمة وحرصه عليها، وإقامته لذكر الله –سبحانه وتعالى– عند الذبح والنحر، فكذلك يجب على المسلم أن يعتني بذبيحته كما اعتنى بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأن يخلصها لله –سبحانه وتعالى– وحده لا شريك له، وأن يذكر اسم الله عليها ويكبره ويسأله القبول[٤].

وبهذا تعرف أن الواجب على المسلم أن ينوي عند ذبحه وجه الله وحده، وأن من نوى غير الله عند ذبحه فهو كمن نوى غير الله عند صلاته وصيامه وزكاته وحجه وسائر عباداته، ومن فعل ذلك فهو لاشك مشرك أشرك مع الله –سبحانه وتعالى– غيره فيما هو حق لله وحده، وعمله مردود عليه، بل

---

(١) الآية (٥) من سورة البينة.

(٢) الآية (٣٧) من سورة الحج.

(٣) أحكام القرآن (٢/ ٧٥).

(٤) انظر ما سبق (ص١٦٦).

إن جميع أعماله تحبط بذلك -والعياذ بالله- قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[١][٢].

المطلب الثاني: وجوب التسمية عند الذبح

التسمية ذكر مبارك شرعه الله -سبحانه وتعالى- لعباده عند ابتداء كثير من العبادات والمباحات تبركاً بذكر الله، واستعانة به على قضاء هذا الأمر لأنه لا حول ولا قوة إلا به وحده، فمن ذلك التسمية عند قراءة القرآن في الصلاة وخارجها، والتسمية عند دخول المسجد وعند الخروج منه وعند دخول الخلاء وعند الوضوء، وعند دخول المنزل وعند الخروج منه، وعند خلع الثوب وعند الأكل والشرب وفي أذكار الصباح وفي أذكار المساء، وفي أذكار النوم وعند إتيان الرجل أهله، وعند ركوب الدابة وعند ركوب السفينة، ومن أدعية الرقية وعند إنزال المسلم في قبره [٣] إلى غير ذلك من المواضع التي تشرع فيها التسمية، ومن ذلك الذبح أو النحر، فكما أن القارئ للقرآن يسمي الله ولا يسمي غيره عند قراءته فكذلك الذابح يسمي الله ولا يسمي غيره عند ذبحه، وكذلك داخل المسجد يسمي الله عند دخوله وخروجه، فكذلك الذابح يسمي الله عند ذبحه، وهكذا الآكل والشارب يسمي الله عند أكله وشربه ولا يسمي غيره فكذلك الذابح يسمي الله عند ذبحه ولا يسمي غيره، وهكذا في سائر الأعمال يبدؤها

---

(١) الآية (٢٣) من سورة الفرقان.

(٢) انظر: النية وأثرها في الأحكام الشرعية، صالح بن غانم السدلان، (ص٣٥)، المغني (١٣/ ٣٩).

(٣) راجع هذه المواضع وأدلتها في كتب الأذكار، مثل: الأذكار للنووي، عمل اليوم والليلة للنسائي، عمل اليوم والليلة د/ عبدالرزاق العباد البدر.

المسلم باسم الله، فكذلك الذابح يذبح باسم الله لا باسم غيره، وقد أوجب الله على عباده أن يسموه وأن يهلوا باسمه عند الذبح أو النحر قال تعالى : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [١] فهذه الآية وما جاء في معناها تدل على وجوب ذكر الله –سبحانه وتعالى–، والتسمية عند الذبح أو النحر وأن الذبائح لا تباح إلا بذلك .

قال ابن كثير –رحمه الله– : « هذه إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه، ومفهومه أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفار المشركين من أكل الميتات وأكل ما ذبح على النصب وغيرها » [٢] . وقال تعالى : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ ﴾ [٣] .

وهذه الآية كذلك نص في وجوب ذكر اسم الله عند نحر الإبل، وهي كذلك تبين السنة في نحرها قائمة صافة وهذا في الإبل خاصة، أما المعز والضأن والبقر فالسنة في ذبحها أن يضجعها مستقبلاً بها القبلة على شقها الأيسر ليذبحها بيده اليمنى وهي كذلك . وسيأتي تفصيل ذلك –إن شاء الله– في السنن الثابتة المتعلقة بالذبائح [٤] .

---

(١) الآيتان (١١٨-١١٩) من سورة الأنعام .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٥١) .

(٣) الآية (٣٦) من سورة الحج .

(٤) انظر ما يأتي في المطلب الثاني بعنوان : ((السنن الثابتة عند الذبح أو النحر)) .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)** ﴾ [١] . وهذه الآية كذلك تبين أن الواجب عند الذبح أو النحر الإهلال باسم الله –عز وجل–، وأن ما ذبح ولم يذكر اسم الله عليه أو ذكر اسم غير الله عليه أنه لا يجوز أكله، بل هو فسق كذبائح المشركين، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

والأحاديث الدالة على مشروعية التسمية عند الذبح كذلك كثيرة، وهي تدل على وجوب التسمية عند الذبح من عدة وجوه :

الوجه الأول : أمره –صلى الله عليه وسلم– عند الذبح فمن ذلك :

قوله –صلى الله عليه وسلم– : ((**من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها، ومن لم يكن ذبح فليذبح على اسم الله**)) [٢].

الوجه الثاني : فعله –صلى الله عليه وسلم– فمن ذلك :

حديث أنس –رضي الله عنه– قال : ((**ضحى النبي –صلى الله عليه وسلم– بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما**)) [٣] .

الوجه الثالث : اشتراطه في جواز الأكل أنهار الدم وذكر اسم الله على الذبيحة فمن ذلك :

حديث عباية بن رفاعة عن جده أنه قال : يا رسول الله ليس لنا مدى، فقال : ((**ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكل**)) الحديث [٤].

---

(١) الآية (١٢١) من سورة الأنعام .

(٢) رواه البخاري (٩/ ٦٣٠) مع الفتح، ورواه مسلم (٣/ ١٥٥١) .

(٣) رواه البخاري (٩/ ١٨) مع الفتح، ورواه مسلم (٣/ ١٥٥٧) واللفظ له .

(٤) رواه البخاري (٩/ ٦٣١) مع الفتح، ومسلم (٣/ ١٥٥٨) .

الوجه الرابع : أمره -صلى الله عليه وسلم- من شك في تسمية الذابح من المسلمين أن يسمي عند الأكل فمن ذلك :

حديث عائشة -رضي الله عنها- أن قوماً قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- : ((**إن قوماً يأتوننا بلحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا، فقال: ((سموا الله وكلوه))، قالت : وكانوا حديثي عهد بكفر**))[(١)].

فهذه الأحاديث المتنوعة تدل على وجوب التسمية عند الذبح أو النحر، وتحريم ما لم يذكر عليه اسم الله أو ذكر عليه غير اسم الله، وقد ذكر العلماء -رحمهم الله- في موضوع التسمية عند الذبح مسائل مهمة فمنها :

المسألة الأولى :

حكم التسمية عند الذبح :

من المتفق عليه عند الفقهاء -رحمهم الله- مشروعية التسمية عند الذبح أو النحر .

قال ابن المنذر -رحمه الله- : «وأجمعوا على أن المرء إذا ذبح ما يجوز الذبح به وسمى الله وقطع الحلقوم والودجين، وأسال الدم أن الشاة مباح أكلها»[(٢)].

واختلفوا في حكمها أهي واجبة أم مستحبة على أقوال :

القول الأول : ذهب أصحاب هذا القول إلى أن التسمية واجبة، وهي شرط لحل الذبيحة والصيد، وأن من ترك التسمية عند الذبح أو الصيد عامداً أو ناسياً أن ذبيحته لا تصح، وهذا القول مروي عن ابن عمر ونافع مولاه وعامر الشعبي، ومحمد بن سيرين ورواية عن الإمام مالك والإمام

---

(١) رواه البخاري (٩/ ٦٣٤) مع الفتح .

(٢) الإجماع لابن المنذر (ص٥٧) .

أحمد وهو اختيار أبي ثور وداود الظاهري، ونصره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- [١].

واحتجوا بقوله -تعالى- : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾[٢]، وبقوله -تعالى- في آية الصيد : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[٣]. واحتجوا كذلك بنحو هاتين الآيتين مما ورد فيه الأمر بالتسمية، وكذلك احتجوا بالأحاديث الواردة بالتسمية عند الذبح والصيد كحديث عدي بن حاتم وفيه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((**إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك**)) [٤].

القول الثاني : أن التسمية ليست شرطاً في الصيد ولا في الذبح مادام الذابح مسلماً ولم يسم غير الله -عز وجل-، بل هي مستحبة فإن تركت عمداً أو نسياناً لم تضر، وهذا مذهب الشافعي -رحمه الله- ورواية عن الإمام أحمد والإمام مالك .

وحملوا الآيات الناهية عن الأكل من الذبيحة التي لم يسم عليها على الذبائح المذبوحة لغير الله كذبائح الجاهلية التي يذبحونها لأوثانهم؛ لأنهم يذكرون اسم غير الله عليها أو على التي ماتت من دون ذكاة .

القول الثالث : أنه إن ترك المسلم التسمية عمداً لم تحل الذبيحة، وإن تركها سهواً حلت شاته .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٣٩) .

(٢) الآية (١٢١) من سورة الأنعام .

(٣) الآية (٤) من سورة المائدة .

(٤) حديث عدي رواه البخاري (٩/ ٥٩٨) مع الفتح، ومسلم، رقم (١٥٢٩) .

وهذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك والإمام أحمد والإمام أبي حنيفة وهو محكي عن علي –رضي الله عنه– وابن عباس –رضي الله عنهما– وغير واحد من السلف –رحمهم الله– .

قال الطبري –رحمه الله– : « من حرم ذبيحة الناسي فقد خرج من قول جميع الحجة وخالف الخبر الثابت عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في ذلك »[1].

واحتجوا بأحاديث كثيرة في العفو عن السهو في الذبح وفي أكثره مقال عند أهل الحديث، وأقوى ما احتجوا به النصوص المتضمنة لرفع الحرج عن الناسي والمكره والجاهل وهي معلومة .

القول الثالث: إن ترك التسمية على الذبيحة عامداً لم تؤكل وإن تركها المسلم ناسياً أكلت، أما الصيد فإن من شرطه التسمية عند إرسال الجارح أو السهم فإن ترك التسمية عمداً أو سهواً لم يبح .

قال ابن قدامة –رحمه الله– : « وهذا تحقيق المذهب، وفي رواية عن أحمد أن التسمية تشترط على إرسال الكلب في العمد والنسيان، ولا يلزم ذلك في إرسال السهم؛ لأن السهم آلة حقيقية وليس له اختيار فهو بمنزلة السكين بخلاف الحيوان فإنه يفعل باختياره »[2].

هذا ملخص أقوال الفقهاء -رحمهم الله- في مسألة التسمية وهي كما ترى تدور بين الوجوب والاستحباب مع إجماعهم على تحريم ذكر اسم غير الله -عز وجل- عليها، ولاشك أن القول بالوجوب متعين للأدلة السابقة

---

(١) تفسير ابن جرير (٨/ ٢٠) .

(٢) انظر تفصيل المسألة في بداية المجتهد (١/ ٤٤٨)، والمغني، لابن قدامة (١٣/ ٢٥٨، ٢٩٠) (التركي)، والاستذكار، لابن عبدالبر (١٥/ ٢١١)، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٣٥٢) .

على ذلك ثم عذر الناسي في الذبح قوي متعين، وتخصيص الصيد بالجارح من الطير والكلاب في اشتراط التسمية وتحريم أكله لمن ترك التسمية عامداً أو ناسياً قوي كذلك، وقياس ناسي التسمية في حال الصيد بالآلة على ناسي التسمية عند الذبح أولى من قياسه على الصائد بالجارح كما هي رواية للإمام أحمد –رحمه الله– والله أعلم .

والشاهد من هذه المسألة أن العلماء اعتنوا بشأن التسمية حتى جعلها أكثرهم شرطاً لحل الذبائح والصيد مما يدل على أهمية الإهلال باسم الله على الذبائح، وأن ذلك عبادة لله –عز وجل– وأن ترك ذلك يؤدي إلى تحريم الذبيحة وأن الإهلال لغير اسم الله شرك في العبادة .

المسألة الثانية :

صفة التسمية :

التسمية المعتبرة التي دلت عليها النصوص الشرعية هي قول (بسم الله)؛ لأن إطلاق التسمية ينصرف إلى ذلك؛ ولأن هذا هو الثابت من فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– وكان يزيد على ذلك التكبير والدعاء بالقبول[١] . وكلها من ذكر الله –سبحانه وتعالى– المأمور به في القرآن .

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الواجب قول بسم الله ولا يجزئ غيرها من ألفاظ التهليل والتسبيح والتعظيم [٢] .

وذهب آخرون إلى أن التسبيح والتكبير والتهليل والحمد يقوم مقام التسمية؛ لأنه ذكر لاسم الله –تعالى– على وجه التعظيم فيجزئ عن

---

(١) انظر النصوص في ذلك فيما تقدم ص ١٦٩ وما بعدها .

(٢) انظر : الإنصاف (١٠/ ٣٩٩)، كشاف القناع (٦/ ٢٢٣)، المغني (١٣/ ٢٦٠)، دليل الطالب (١/ ٣٣٢) .

التسمية؛ لأن المراد عندهم المعنى لا اللفظ، فأجزأ بأي لفظ يؤدي إلى المعنى المراد وهو تعظيم الله -عز وجل-، وقد جوزه الجميع بغير العربية وإن أحسن الذاكر العربية لأن المقصود ذكر اسم الله وهو يحصل بجميع اللغات.

وقد فرقوا بين التسمية عند الذبح في عدم إيجاب اللغة العربية وبين التكبير في الصلاة من جهة وجوب اللغة العربية فيه فقالوا : لابد من اللغة العربية في التكبير لأن المقصود لفظه بخلاف التسمية فإن المقصود إقامة ذكر الله بأي لغة [1].

وعند الجميع أن الذابح لابد أن يظهر تعظيم الله –سبحانه- بجملة مفهومة المعنى فإن ذكر اسم الله مجرداً بدون لفظ التسمية أو التسبيح أو التحميد أو التهليل فإن هذا لا يجزئ؛ لأن هذا الاسم المجرد لابد معه من جملة تبين مراد المتكلم منه . قال شيخ الإسلام –رحمه الله- : « فأما الاسم المفرد مظهراً مثل : الله –الله- أو مضمراً مثل :هو-هو- فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين ...ولو كرر الإنسان اسم الله ألف –ألف مرة لم يصر بذلك مؤمناً، ولم يستحق ثواب الله ولا جنته فإن الكفار من جميع الأمم يذكرون اسمه مفرداً سواء أقروا به وبوحدانيته أم لا، حتى أنه لما أمرنا بذكر اسمه كقوله : ﴿ **فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾[2] وقوله : ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ**

---

(١) المغني (١٣/ ٢٦٠) .

(٢) الآية (٤) من سورة المائدة.

ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾[1]، وقوله : ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾[2] وقوله : ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٩٦ ﴾[3] ونحو ذلك كان ذكر اسمه بكلام تام مثل أن يقول: بسم الله، أو يقول : سبحان ربي الأعلى، أو يقول : سبحان ربي العظيم ونحو ذلك، ولم يشرع ذكر الاسم المجرد قط، ولا يحصل امتثال أمر ولا حل صيد ولا ذبيحة ولا غير ذلك »[4].

فتلخص بهذا أن الأولى أن يقول الذابح أو الناحر أو الصائد عند ذبيحته أو إرسال جارحه بسم الله بالعربية فهذا أولى له وأسلم له .

فإن قالها بغير العربية أجزأه –إن شاء الله–، وإن أبدل الذكر بالتسمية كأن يقول : سبحان الله أو لا إله إلا الله أو نحو ذلك من الكلام المفيد الذي يفيد تعظيم الله وحده لا شريك له أجزأه عند بعض العلماء، ولا يجزئه عند الآخرين، ولذلك الأولى أن يحرص على التسمية بسم الله، أما ذكر الله بالاسم المفرد : الله –الله– أو بالضمير : هو –هو– فإن هذا لا يجزئ ولا يحل الذبيحة ولا الصيد؛ لأنه ذكر لا يفيد معنى اللغة العربية، وهو كذلك ذكر مبتدع غير ثابت في كتاب الله ولا سنة رسوله –صلى الله عليه وسلم–، ولذلك لا يحصل به الإجزاء .

وفي هذا رد واضح على مبتدعة الصوفية التاركين للذكر الشرعي والمتمسكين بهذه الأذكار المبتدعة كذكر الله بالاسم المفرد : الله– الله، أو

---

(١) الآية (١٢١) من سورة الأنعام .

(٢) الآية (١) من سورة الأعلى .

(٣) الآية (٩٦) من سورة الواقعة .

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٥٨–٥٦٢)باختصار.

بالضمير : هو –هو، أو دعائه كذلك بالضمير كمن يدعو يا هو، أو يا أنت، أو نحو ذلك من الضلالات –والعياذ بالله– .

ومن الأمور المهمة التي ذكرها الفقهاء في هذا الباب أن التسمية لازمة على كل ذبيحة بعينها فلابد من التسمية عند ذبح الذبائح الكثيرة على كل ذبيحة بعينها عند ذبحها؛ لأن التسمية شرط في حل كل ذبيحة بعينها .

قال ابن قدامة –رحمه الله– : « والتسمية على الذبيحة معتبرة حال الذبح أو قريباً منه كما تعتبر على الطهارة، وإن سمى على شاة ثم أخذ غيرها، فذبحها بتلك التسمية لم يجز سواء أرسل الأولى أو ذبحها؛ لأنه لم يقصد الثانية بهذه التسمية . وإن رأى قطيعاً من الغنم فقال : بسم الله ثم أخذ شاة بعينها فذبحها بغير تسمية لم تحل » . اهـ [(١)] .

وفي هذا دليل على دقة العلماء –رحمهم الله– واهتمامهم بالتسمية على كل ذبيحة بعينها، وأن هذه التسمية شرط لحل الذبيحة –والله أعلم– .

المسألة الثالثة :

تسمية الأخرس :

الأخرس هو الذي انعقد لسانه فلا يتكلم إما خلقة وإما عيباً، والخلقي منه يكون عادة بسبب فقدان السمع أما المكتسب فيكون بأسباب كثيرة – والله أعلم– .

ومن المعلوم أن العبادة مبناها على الاستطاعة قال تعالى : ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** ﴾[(٢)] وقال تعالى : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾[(٣)]

---

(١) المغني (١٣/ ٢٩١) .

(٢) الآية (١٦) من سورة التغابن .

(٣) الآية (٢٨٦) من سورة البقرة .

والأخرس لا يستطيع التكلم لذلك يسقط عنه النطق بها، وينوي التسمية بقلبه عند الذبح وتحل ذبيحته .

قال ابن المنذر رحمه الله :«وأجمعوا على إباحة ذبيحة الأخرس». اهـ[١].

قال ابن قدامة –رحمه الله– : « إذا ثبت هذا فإنه يشير إلى السماء لأن إشارته تقوم مقام نطق الناطق وإشارته إلى السماء تدل على قصده تسمية الذي في السماء » . اهـ [٢]. وقال المرداوي –رحمه الله– : « تباح ذبيحة الأخرس إجماعاً، وقال الأصحاب يشير عند الذبح إلى السماء وهو من مفردات المذهب » اهـ [٣].

وهذه الإشارة إلى السماء مروية عن الشعبي –رحمه الله– فقد روى عبد الرزاق في مصنفه بسنده أن الشعبي سئل عن ذبيحة الأخرس فقال : «يشير إلى السماء » . اهـ [٤] .

قال ابن قدامة –رحمه الله– : « وقد دل على هذا حديث أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– بجارية أعجمية فقال : يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة أفأعتق هذه فقال لها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : ((أين الله)) فأشارت إلى السماء فقال : ((من أنا)) فأشارت

---

(١) الإجماع، لابن المنذر (٥٧) .

(٢) المغني (٣/ ٣١٣) .

(٣) الإنصاف (١٠/ ٤٠٠) .

(٤) المصنف (٤/ ٤٨٥) .

بأصبعها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإلى السماء، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((**اعتقها فإنها مؤمنة**)) [١].

قال ابن قدامة -رحمه الله- : فحكم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بإيمانها بإشارتها إلى السماء تريد أن الله -سبحانه- فيها، فأولى أن يكتفى بذلك علماً على التسمية .

ولو أنه أشار إشارة تدل على التسمية وعلم ذلك كان كافياً [٢] » اهـ .

فتلخص من هذا أن ذبيحة الأخرس المسلم حلال واستحب له أن يشير بما يدل على إيمانه وذكره لله -سبحانه وتعالى- عند الذبح كالإشارة إلى السماء، أو أي إشارة تفيد إيمانه وذكره اسم الله على الذبح . وبهذا يتضح لنا مدى ارتباط هذه العبادة العظيمة -الذبح- ببقية أنواع التوحيد، وكيف أن العلماء -رحمهم الله- فهموا الدين فهماً شاملاً رابطا بين أصوله وفروعه، فاحتجوا بأحاديث العقيدة على مسائل الفقه مما يدل على ترابط العلوم الشرعية وتكاملها فجزاهم الله على هذا التأصيل العظيم خير الجزاء .

المسألة الرابعة :

الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الذبح :

الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- من أفضل العبادات والأذكار المشروعة قال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦** ﴾ [٣] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٣/ ٢٨٥) الرسالة، وأبوداود في سننه (٣٢٨٤)، والبيهقي في السنن (٧/ ٢٨٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٨٤) وهو غير حديث معاوية بن الحكم الذي رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٨٢) وهو يشهد لحديث الباب.

(٢) المغني (١٣/ ٣١٣) .

(٣) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

قال ابن كثير –رحمه الله– : « والمقصود من هذه الآية أن الله –سبحانه وتعالى– أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً » . اهـ [١]. وقال القرطبي –رحمه الله– : « هذه الآية شرف الله بها رسوله –عليه الصلاة والسلام في حياته وموته وذكر منزلته عنده»اهــ [٢] . وقال الحليمي –رحمه الله– : « فأمر الله عباده أن يصلوا عليه ويسلموا بعد إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه لينبئهم بذلك على ما فيها من الفضل إذا كانت الملائكة مع انفكاكهم من شريعته تتقرب إلى الله –تعالى– بالصلاة والتسليم عليه فهم بالصلاة والتسليم عليه أولى وأحق».اهـ [٣].

والصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– مشروعة في كل وقت وعند ذكره –صلى الله عليه وسلم–، وتتأكد مشروعيتها في بعض المواضع المعروفة التي ذكرها العلماء مثل الصلاة عليه –صلى الله عليه وسلم– بعد الأذان، والصلاة عليه في الصلاة والصلاة عليه في الدعاء وعند دخول المسجد والخروج منه، وفي الخطب إلى غير ذلك من المواضع التي وردت فيها مشروعية الصلاة عليه –صلى الله عليه وسلم–، وقد وقع خلاف بين العلماء –رحمهم الله– في مشروعية الصلاة عليه في بعض المواضع فاستحبها قوم ومنعها آخرون؛ لعدم الدليل على ذلك، ومن هذه المواضع المختلف

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٤١) .

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٣٢) .

(٣) شعب الإيمان، للحليمي (٢/ ٩٠) .

فيها الصلاة والسلام عليه عند الذبيحة، فممن استحب الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الذبح الإمام الشافعي -رحمه الله- حيث قال: التسمية على الذبيحة باسم الله فإذا زاد على ذلك شيئاً من ذكر الله -عز وجل- فالزيادة خير، ولا أكره مع تسميته على الذبيح أن يقول : صلى الله عليه وسلم بل أحبه له وأحب له أن يكثر الصلاة عليه فصلى الله عليه في كل الحالات؛ لأن ذكر الله -عز وجل- والصلاة عليه إيمان بالله -تعالى- وعبادة له يؤجر عليها إن شاء الله -تعالى- من قالها، وقد ذكر عبدالرحمن بن عوف أنه كان مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فتقدمه النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : فاتبعه فوجده عبدالرحمن ساجداً فوقف ينتظره فأطال، ثم رفع فقال عبدالرحمن : لقد خشيت أن الله عز ذكره قد قبض روحك في سجودك فقال : ((يا عبدالرحمن إني لما كنت حيث رأيتني لقيني جبريل فأخبرني عن الله -عز وجل- أنه قال : ((من صلى عليك صليت عليه فسجدت لله شكراً))[1] . وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : **((من نسي الصلاة علي خطئ به طريق الجنة))**[2] [3] .

وكره ذلك آخرون منهم الإمام مالك-رحمه الله- قال الربيع : قال مالك : « لا يصلى على النبي -صلى الله عليه وسلم- مع التسمية على الذبيحة »[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٠٠)، الرسالة، والحاكم (١/ ٢٢٢) وصححه ووافقه الذهبي . قال الهيثمي في الزوائد (٢/ ٢٨٧) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ١٢٨)، والبيهقي في السنن (٩/ ٢٨٦)، وذكره السيوطي في الجامع الصغير كما في الفيض (٦/ ٢٣٢) ورمز لحسنه .

(٣) الأم (٢/ ٢٣٩-٢٤٠) باختصار .

(٤) الأم (٢/ ٢٤٠) .

وكره ابن حبيب من المالكية ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الذبح، ونقل أصبغ عن ابن القاسم قال: «موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس، فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله عليه وسلم لم يكن تسمية له مع الله». وعن أشهب قال: «لا ينبغي أن يجعل الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- استناناً»[(١)].

قال ابن قدامة -رحمه الله-: «ولا تشرع الصلاة على النبي ﷺ مع التسمية في ذبح ولا صيد، وبه قال الليث واحتج بما روي عنه ﷺ: ((**موطنان لا أذكر فيهما عند الذبيحة والعطاس**))[(٢)]، قال: ولأنه إذا ذكر غير الله -تعالى- أشبه المهل لغير الله». اهـ[(٣)].

وقال البهوتي -رحمه الله-: «ولا يسن الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنها لم ترد ولا تليق بالمقام». اهـ[(٤)]. وقال ابن القيم -رحمه الله-: «وكره صاحب المحيط من الأحناف الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع لأن فيها إيهام الإهلال لغير الله» اهـ[(٥)].

فتلخص من هذه الأقوال:

أن الإمام الشافعي -رحمه الله- استحب ذلك وأخذ بعموم النصوص الواردة في فضل الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في كل وقت،

---

(١) القول البديع (٢١٣).

(٢) عزاه ابن قدامة في المغني للخلال ونحوه عند البيهقي في السنن (٩/ ٢٨٦) وضعفه.

(٣) المغني (١٣/ ٢٦٠٠).

(٤) شرح منتهى الإرادات (٦/ ٣٣٨).

(٥) جلاء الأفهام (٤٣٦).

وأجاز ذلك أشهب من المالكية بشرط ألا يظن أنها سنة، ومنع ذلك غيرهم من الأحناف والمالكية والحنابلة لثلاثة أمور :

١-عدم الدليل على مشروعيتها كمشروعية التسمية.

٢- خوف الإيهام أن يكون فيه إشراك للنبي -صلى الله عليه وسلم- مع الله في عبادة الذبح، وهذا شرك فيكون أهل لغير الله به .

٣-حديث معاذ وهو ضعيف وكذلك أثر عبدالله بن مسعود وفيه : «جردوا التسمية عند الذبح » وهو غريب [1] ، وهما حديثان ضعيفان لا يقويان على منع ذلك، ويكتفى بالأمرين السابقين -والله أعلم- .

---

(١) قال ابن حجر في الدراية (٢/ ٢٠٦) : لم أجده، وقال الزيلعي في نصب الراية (٤/ ١٨٤) : غريب .

المبحث الثاني :

الذبح لغير الله .

المطلب الأول : حكم الذبح لغير الله

ثبتت لنا في الفصل الأول أن الذبح عبادة من أجل العبادات كالصلاة والصيام والزكاة والحج ونحوها، فيجب على المسلم أن يخلص ذبحه لله وحده لا شريك له، ولا يجوز له أن يذبح لغير الله –سبحانه وتعالى– وعلى اسم غير الله –سبحانه وتعالى– سواء تلفظ باسم غير الله عند الذبح، أو نوى بقلبه غير الله فإن هذا سواء؛ لأن الأعمال بالنيات فإن من ذبح لغير الله فقد عبد غير الله، وهو بهذا مشرك شركاً أكبراً مخرجاً من الملة شأنه في ذلك شأن من صلى لغير الله أو صام لغير الله أو حج لغير الله لا فرق .

ومن أشرك مع الله غيره في عبادته فقد حبط جميع عمله .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ** ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ **وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣** ﴾ [2] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

والأحاديث في التحذير من الشرك كذلك كثيرة من ذلك : حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال : ((**من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار**)) [3]. وعن جابر –رضي الله

---

(١) الآية (٤٨) من سورة النساء .

(٢) الآية (٢٣) من سورة الفرقان .

(٣) رواه البخاري (٣/ ١١٠) مع الفتح .

عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : ((**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**))[1].

وأمر الشرك والتحذير منه وخطورته على المسلم في إفساد دينه أمر معلوم معروف لدى جميع المسلمين على اختلاف فرقهم فإنهم مجمعون على ذم الشرك وأسبابه، و مجمعون على أن المسلم لابد له أن يوحد ربه ، ومجمعون على أن المشرك مرتد كافر ولكن المشكلة في معرفة حقيقة الشرك ، فإن كثيراً من المسلمين واقعون في الشرك من حيث لا يشعرون، بل يعتقدون أن عملهم هذا يقربهم إلى الله زلفى، وهذه هي المشكلة الحقيقية التي تواجه الداعية إلى التوحيد في هذا الزمان، فإنك إذا ذهبت إلى أي بلد مسلم ودعوتهم إلى التوحيد وحذرتهم من الشرك أجابوا لك لأول وهلة، لكنك إذا واصلت تفصل المسألة وتعرف لهم التوحيد المطلوب الواجب شرعاً رأيت التردد واضحاً عليهم، فإذا زدت على ذلك في بيان حقيقة الشرك وأن دعاء غير الله شرك، وأن الاستعانة بغير الله شرك وأن النذر لغير الله شرك ومثله الذبح لغير الله شرك عند ذلك تحصل المفارقة بينك وبين كثير من طوائف المبتدعة القبورية المنتسبين للإسلام مع أنهم كانوا معك في أول الأمر، لكنك لما بينت أن ما هم فيه من صرف العبادة لغير الله شرك مناف للتوحيد فارقوك وحصل ما حصل منهم .

وسبب هذا -والله أعلم- أمور منها :

الأمر الأول : جهلهم بحقيقة التوحيد الذي بعث الله به الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، والذي بعث به نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- .

---

(١) رواه مسلم ، رقم (٩٣) .

الأمر الثاني : جهلهم بضده وهو الشرك المنافي للتوحيد فإنهم يعملون ما يعملون من أمور شركية، ولا يدرون أنها شرك، بل يظنون أنها من أحب الأعمال إلى الله .

الأمر الثالث : عدم عناية كثير من المشتغلين بالدعوة والعلم في بلاد المسلمين بهذا الباب الخطير؛ ولهذا نجد أحدهم يمر على مئات من المسلمين يطوفون على قبر ولا ينكر عليهم، بل ربما حسن لهم هذا العمل، بل ربما طاف معهم واعتقد هو أن هذا عمل صالح يقرب إلى الله –سبحانه وتعالى، مع اهتمامه بكثير من أمور الدين وتظاهره بالدعوة إلى الله، ولكن قيام دعوته على خلاف منهج النبي –صلى الله عليه وسلم–، وتقليده لأئمة دعوته جعله لا يهتم بهذا الباب، فإذا كان هذا حال المشايخ فلا عجب بعد ذلك من العوام المساكين .

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

ولذلك فأنا أوصي إخواني طلبة العلم والدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– أن يتقوا الله في الأمة، وأن يسيروا على منهج النبي –صلى الله عليه وسلم– في الدعوة إلى الله حيث بدأ صلى الله عليه وسلم بما بدأ به الأنبياء قبله بالدعوة إلى التوحيد الخالص والتحذير من الشرك، وهذا الأمر أمر نص عليه كتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم–، فلا ينبغي للداعية أن يتركه ويبدأ بغيره اجتهاداً منه بزعمه، فإنه لا اجتهاد في معارضة النص وإن كان صادقاً فليجتهد في جمع النصوص وفهمها وحفظها ودعوة الناس إليها، فإن ديننا

كامل لا يحتاج إلى اجتهادات ملفقة مستوردة، هدى الله الجميع لما يحبه ويرضاه [١].

وهذا الذي حدث من صرف عبادة الدعاء لغير الله جهلاً ومن النذر لغير الله جهلاً، ومن الطواف لغير الله جهلاً، حدث أيضاً في عبادة الذبح فقد وقع الشرك في كثير من بلاد المسلمين وصار الذبح عند القبور شعاراً للزائرين، وصارت ساحات القبور مكاناً للوفاء بالنذور جهلاً منهم بأن هذا العمل شرك مخرج من الملة، فهذا يذبح باسم علي وآخر باسم الحسين وثالث باسم الجيلاني ورابع باسم التيجاني وخامس باسم البدوي، وهكذا أضاعوا دينهم وأموالهم من حيث ظنوا التقرب إلى الله –سبحانه وتعالى– . ولذلك لابد من العناية بهذا الباب وبيان أن الذبح عبادة وأن صرفها لغير الله شرك مخرج من الملة، ولنذكر بعض الأدلة الدالة على ذلك والله الموفق .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [٢] ففي هذه الآية دليل على أن الصلاة والنسك وهو الذبيحة عبادتان يجب إخلاصهما لله كسائر العبادات، وأن من صلى لغير الله فهو مشرك وكذلك من ذبح لغير الله فهو مشرك [٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [٤] وهذه الآية كذلك تدل على أن الذبح أو النحر عبادة كعبادة الصلاة، فالصلاة يجب أن تكون لله وحده،

(١) راجع باب ما جاء في دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم– أمته إلى توحيد الله –عز وجل– من كتاب التوحيد في صحيح البخاري (١٣/ ٣٥٩) مع الفتح، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله تيسير العزيز الحميد (ص٩٦) .

(٢) الآيتان (١٦٢–١٦٣) من سورة الأنعام .

(٣) انظر ما تقدم ص ١٦٠

(٤) الآية (٢) من سورة الكوثر .

ومن صلى لغير الله فهو مشرك كذلك الذبح أو النحر يجب أن يكون لله وحده، ومن ذبح أو نحر لغير الله فهو مشرك خارج عن ملة الإسلام .

وهذه الذبيحة المذبوحة على غير اسم الله فسق محرم على المسلم أكلها، أما ذابحها فهو مشرك بالله –عز وجل-؛ لأنه أهل باسم غير الله عند هذه العبادة، شأنه في ذلك شأن من أهل لغير الله في الحج فقال : لبيك يا فلان لبيك ولم يقل لبيك اللهم لبيك فهذا شرك وحجه باطل، وكذلك من قال عند ابتداء الصلاة فلان أكبر بدل أن يقول الله أكبر فهو مشرك وصلاته باطلة، فكذلك الذبح يجب أن ينوي المسلم أن ذبحه لله ويهل باسم الله فإن نوى بذبحه غير الله أو أهل باسم غير الله فهو مشرك وذبيحته حرام، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1] .

قال ابن كثير –رحمه الله- : « وحرم عليهم –المسلمين- ما أهل به لغير الله وهو ما ذبح على غير اسمه –تعالى- من الأنصاب والأزلام والأنداد ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينحرون له »[2]. وقال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[3] هذه الآية يبين الله –سبحانه وتعالى- فيها أموراً عظيمة وأصولاً هامة في دين الإسلام

---

(١) الآية (١٧٣) من سورة البقرة .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٧) .

(٣) الآية (٣) من سورة المائدة .

رضيها الله –سبحانه وتعالى– للمسلمين بها كمل الدين وتمت النعمة ولله الحمد والمنة .

فمنها إحلال الله لنا بهيمة الأنعام،وجعل ذبحها ونحرها عبادة وشعيرة من شعائر ديننا؛ إبطالاً لما كان يعمله المشركون لأوثانهم ونصبهم وأزلامهم.

قال ابن كثير –رحمه الله– : « وما أهل لغير الله به، أي ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله فهو حرام؛ لأن الله أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمتى عدل بها عن ذلك وذكر عليها اسماً غيره من صخر أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات فإنها حرام بالإجماع »[1]. وقال رحمه الله في قوله تعالى :﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ : « قال مجاهد وابن جريج : كانت النصب حجارة حول الكعبة، كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب (لأن الذبح عند النصب) من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وينبغي أن يحمل هذا على هذا لأنه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله »[2] .

فظهر لنا هنا نوعان من الذبائح المحرمة التي يؤدي ذبحها إلى الشرك بالله –سبحانه وتعالى– :

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٩٣)، وما بين القوسين زيادة اقتضاها المعنى .

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٠٩٨) باختصار .

النوع الأول :

الذبيحة التي ينوى بها غير الله أو يذكر عليها اسم غير الله -سبحانه وتعالى- في أي مكان ذبحت، وسواء أكان هذا المذكور صالحاً كالملائكة والأنبياء والصالحين، أو كان غير ذلك كالشياطين والجن والسحرة فإن ذلك كله محرم وهو شرك بالله -تعالى- .

النوع الثاني :

الذبائح التي تذبح في مكان يذبح فيه لغير الله كذبائح الجاهلية على النصب سواء ذكر اسم الله عليها أو ذكر اسم غيره فكل ذلك حرام لا يجوز فعله .

فاتضح لنا من هذه النصوص أن على المسلم أن يذكر اسم الله على ذبيحته بعد أن ينوي أنها لله وحده، وأنه لا يجوز له أن يذكر اسم غير الله عند الذبح فلا يجوز أن يقول بسم النبي أو بسم علي أو بسم الحسين أو بسم البدوي أو نحو ذلك، وأن من فعل ذلك فهو مشرك بالله -عز وجل-، وأن الذبائح التي يذكرون فيها اسم غير الله محرمة على جميع المسلمين لا يجوز أكلها، ولا يقول عند الذبح يا علي أو يا حسين أو بدوي فهذا كذلك شرك بالله -عز وجل- .

وكذلك على المسلم أن يتحرى في مكان ذبحه فلا يجوز أن يشترك مع المشركين في مكان واحد فيتشبه بهم، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله .

المطلب الثاني : صور الذبح لغير الله :

تنوعت صور الذبح لغير الله عند كثير من المسلمين اليوم، أذكر ههنا بعض هذه الصور المحرمة مع ذكر الأدلة على تحريمها من الكتاب والسنة وما جاء عن العلماء –رحمهم الله– في ذلك .

الصورة الأولى : أن ينوي غير الله عند الذبح .

من المعلوم أن الذبح عبادة وسبق أن بينا أن النية شرط لصحة العبادة، وكذلك فإن الواجب على المسلم أن ينوي في ذبيحته وجه الله –سبحانه وتعالى– إن كانت الذبيحة في أحد المناسك المعلومة كذبيحة الهدي والحج والأضحية والعقيقة ونحو ذلك، أما إذا أراد ذبحها لأجل أكل لحمها فإنه يجب أن ينوي هذا في قلبه، وأن ينوي شكر الله على ما رزقه من بهيمة الأنعام، وأن يذبح باسم الله من غير إفساد ولا إسراف، أو ذكر لغير اسم الله عليها، أما أن ينوي المسلم بذبيحته غير الله كأن ينوي بقلبه أن هذه الذبيحة لتعظيم فلان أو أجل تعظيم النبي أو الولي الفلاني أو تعظيم الإمام أو تعظيم صاحب القبر أو نحو ذلك فهذه النية محرمة، وهذه النية الفاسدة تجعل صاحبها مشركاً وإن سمى الله عند الذبح فإنما الأعمال بالنيات، مثله في ذلك مثل من نوى غير الله في صلاته بأن أراد من صلاته الرياء أو السمعة فإن صلاته باطلة، وإن كبر الله في ابتدائها فإن النية هي التي تبنى عليها الأحكام . ومن المعلوم أن الصور التي فيها يذبح لله أو لغيره متحدة ومتشابهة لا يميز ذلك ولا يحدده إلا النية وذكر اسم الله على ما يذبح [1] .

والمراد بالنية أن يقصد الذابح بذبحه هذا تعظيم الله لا تعظيم غيره، والتقرب إلى الله لا التقرب لغيره فيكون في ذلك مخلصاً لله وحده، وهذا هو

---

(١) النية وأثرها في الأحكام الشرعية (٣٥) .

حقيقة التوحيد ودين الإسلام قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ (١) فإن نوى تعظيم غير الله أو التقرب إلى غير الله فهو مشرك وإن سمى الله عند الذبح، فليتنبه المسلم لهذا وليحرص على إخلاص ذبحه لله وليحذر من قصده غير الله –سبحانه وتعالى– في ذبحه فإن ذلك شرك مخرج من الملة . وكذلك لو نوى في ذبحه تعظيم الله وتعظيم غيره والتقرب إلى الله والتقرب إلى غيره فإن ذلك شرك في القصد والنية، والله –سبحانه وتعالى– لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له، وهذا الذبح غير خالص لأنه نوى الله وغيره فلا يجوز، وهو نوع من أنواع الشرك ينافي الإخلاص، مثله مثل من نوى في صلاته الله ورياء الناس أو في صدقته الله ورياء الناس أو في حجه الله ورياء الناس فإن هذا كله باطل، وسواء كان هذا المعظم ملكاً أو نبياً أو ولياً أو صالحاً فكل هذا محرم، فلا يقصد بالذبح وسائر العبادات إلا الله وحده، فمن قصد غيره معه فهو كمن صلى لله وصلى لغيره فهو مشرك خارج عن ملة الإسلام . فتنبه أخي الإسلام لهذا الأمر وأخلص الله في كل أعمالك ومقاصدك .

الصورة الثانية : أن ينوي بقلبه تعظيم الله لكنه تعمد ذكر اسم غير الله عند الذبح كمن يسمي اسم النبي على أضحيته أو هديه أو اسم علي أو اسم الحسين أو اسم البدوي أو نحو ذلك من أسماء غير الله .

وهذه الصورة أيضاً من أنواع الذبح لغير الله؛ لأن التسمية على الذبيحة شرط لحلها، وهذا سمى غير الله–سبحانه وتعالى– فهو مشرك لأنه أهل لغير الله في ذبحه، والذبيحة محرمة لأنها أهل بها لغير الله، وقد سبق ذكر الأدلة

---

(١) الآية (٤) من سورة البينة .

على ذلك [١]، ومن الأدلة كذلك على تحريم ذكر اسم غير الله عند الذبح قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [٢]، ففي هذه الآية ينهى الله عباده عن أكل ما لم يذكر اسمه –سبحانه وتعالى– عليه، ويبين أنه فسق أي مذبوح لغير الله –تعالى– كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [٣] فبين الله –سبحانه وتعالى– سبب تحريمه لبعض الذبائح المستوفية لشروط الذبح إلا أنها ذكر اسم غير الله عليها، فما ذكر اسم غير الله عليه فهو محرم أهل لغير الله به.

قال النووي –رحمه الله–: « قال العلماء: الإهلال رفع الصوت بالتلبية عند الدخول في الإحرام، وأصل الإهلال في اللغة رفع الصوت ومنه استهل المولود أي صاح ومنه قوله –تعالى–: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [٤] أي رفع الصوت عند ذبحه بغير ذكر الله تعالى، وسمي الهلال هلالاً لرفعهم الصوت عند رؤيته » اهـ [٥]. وسواء في ذلك ذكر اسم غير الله على ذبيحته أو ذكر اسم الله واسم غيره كمن قال بسم الله واسم رسول الله أو قال بسم الله واسم علي أو قال بسم الله واسم الحسين أو قال بسم الله واسم البدوي أو نحو ذلك فكله محرم؛ لأن فيه إشراك غير الله مع الله فيما هو من حق الله وحده، فيكون كمن كبر في صلاته وقال: الله ورسوله أكبر، أو الله وعلي

---

(١) انظر ما تقدم ص ٢٠٠.

(٢) الآية (١٢١) من سورة الأنعام.

(٣) الآية (١٤٥) من سورة الأنعام.

(٤) الآية (١٧٣) من سورة البقرة.

(٥) شرح النووي (٨/ ٨٩).

أكبر أو الله والحسين أكبر وكل ذلك شرك في العبادة، فكما يجب إفراد الله في نية الذبح فكذلك يجب إفراد الله في التسمية؛ لأن التسمية بسم غير الله شرك مخرج من الملة، وكذلك تسمية الله وتسمية غيره معه شرك مخرج من الملة، وذبحه مردود عليه غير مقبول كما روى أبو هريرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال : قال الله تعالى : ((**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**))[١].

قال النووي –رحمه الله– : « وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله –تعالى– كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى –صلى الله عليهما– أو للكعبة ونحو ذلك، فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً، نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله –تعالى–والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً » .اهـ[٢] .

فتأمل هذا الكلام الدقيق كيف حرم ذكر اسم غير الله على الذبيحة وجعله بتعظيم ذلك المذكور على الذبيحة مرتداً بعد إسلامه، مما يدل على أن الذبح عبادة يجب إفراد الله –سبحانه وتعالى– بها، ومن صرفها لغيره كائناً من كان فقد أشرك مع الله غيره .

وقد تنوعت عبارات الفقهاء –رحمهم الله– في هذه المسألة وكلها تدور حول تحريم الذبيحة وأنها مما أهل لغير الله به .

قال المرغيناني –رحمه الله– في الهداية : « الثانية : أن يذكر موصولاً على وجه العطف والشركة بأن يقول بسم الله واسم فلان أو يقول بسم الله وفلان

---

(١) رواه مسلم، رقم (٢٩٨) .

(٢) شرح النووي (١٣/ ١٤١) .

أو بسم الله ومحمد رسول الله بكسر الدال فتحرم الذبيحة لأنه أهل به لغير الله » . اهـ [١]. وقال الكاساني -رحمه الله- : ومنها أي من الشروط تجريد اسم الله -سبحانه وتعالى- عن اسم غيره، وإن كان اسم النبي حتى لو قال بسم الله واسم الرسول لا يحل لقوله تعالى : ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [٢]، وقول النبي -ﷺ- ((**موطنان لا أذكر فيهما العطاس وعند الذبح**)) [٣]. وقول عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- : « جردوا التسمية عند الذبح » [٤].

ولأن المشركين يذكرون مع الله -سبحانه وتعالى- غيره فتجب مخالفتهم بالتجريد . اهـ [٥]. فإذا كان هذا شركا في حق من ذكر اسم الله واسم غيره ، فكيف بمن ذكر اسم غيره على ذبيحته معظماً له متقرباً له ؟! لاشك أنه أولى بالشرك من سابقه .

وقال ابن العربي -رحمه الله- : « إن ما ذكر اسم غير الله عليه محرم بعموم أنه لم يذكر اسم الله عليه، وبزيادة ذكر غير الله عليه الذي يقتضي تحريمه هذا اللفظ عموماً ومعناه تنبيهاً من طريق الأولى، ويقتضي تحريمه نصاً قوله : ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ فقد توارد على تحريم ذلك النص والعموم والتنبيه من طريق الأولى بالتحريم لظاهر أدلة الشرع عليه أولاً » . اهـ [٦]. وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- : « قوله تعالى : ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [٧] ظاهره أنه ما

---

(١) الهداية شرح البداية (٤/ ٦٤) .

(٢) الآية (٣) من سورة المائدة .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) بدائع الصنائع (٥/ ٤٨) .

(٦) أحكام القرآن (٢/ ٧٤٨) .

(٧) الآية (١٧٣) من سورة البقرة .

ذبح لغير الله مثل أن يقال هذه الذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ به، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم . وقال فيه : بسم المسيح ونحوه . كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحنا للحم وقلنا عليه بسم الله ، فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فإذا حرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة فلأن يحرم ما قيل لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولى . فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله كما قد يفعله من منافقي هذه الأمة الذي يتقربون إلى الكواكب بالذبح والنجوم ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال، ولكن يجتمع في ذبيحتهم مانعان » . اهـ [(١)] .

وقال الشوكاني –رحمه الله– : « والمراد هنا ما ذكر عليه اسم غير الله كاللات والعزى إذا كان الذابح مجوسياً ولا خلاف في تحريم هذا وأمثاله، ومثله ما يقع من المعتقدين للأموات من الذبح على قبورهم فإنه مما أهل به لغير الله، ولا فرق بينه وبين الذبح للوثن » . اهـ [(٢)] .

فتبين بهذا تحريم ذكر اسم غير الله على الذبيحة وأن هذا شرك وأن الذبيحة محرمة لذلك لا يجوز أكلها .

فالواجب على المسلم أن ينوي الله في ذبيحته ويذكر اسمه عليها وحده لا شريك له كسائر العبادات والله الموفق .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٦٣-٥٦٤) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (١٤٦)، فتح القدير (١/ ١٧٠) .

الصورة الثالثة : نذر الذبائح للقبور أو المشاهد .

إن من أعظم المصائب التي أصيبت بها الأمة الإسلامية ما وقع فيه كثير من المسلمين اليوم من تعظيم للقبور وبناء المساجد والقباب عليها وتزيينها وإيقاد السرج عليها وجعل السدنة على أبوابها حتى شبهوها بالكعبة فهم يحجون إليها كل عام، وينذرون عندها ويذبحون لها وسموها مشاهد وسموا زيارتها حجاً وألفوا في آداب حج المشاهد وزيارتها كتباً، والتزم بعضهم الطواف عليها وتقبيل أرضها وأكل ترابها وسموها العتبات المقدسة وترابها الترياق المجرب، وهذا الأمر عم أكثر بلاد المسلمين سنيهم وشيعيهم ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونسجوا الحكايات الكثيرة في أن من نذر إلى قبر الولي أو الإمام حصل له مطلوبه على الكمال والتمام، وكل ما قاله الرافضة في أئمتهم قاله الصوفية في أوليائهم لكن بإبدال كلمة الإمام عند الشيعة إلى كلمة الولي أو السيد عند الصوفية .

وهذا كله قد دل الكتاب والسنة على تحريمه ومنعه وأنه نوع من أنواع الشرك الأكبر المخرج من الملة، وأن من فعل ذلك فهو مشرك خارج عن الإسلام وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فإنه من شرار الناس وإليك بعض الأحاديث الدالة على تحريم اتخاذ القبور مساجد وتحريم البناء عليها والصلاة عندها وتحريم رفعها وتحريم عبادة الله عندها :

فمن ذلك حديث عائشة –رضي الله عنها– أن أم سلمة –رضي الله عنها– ذكرت لرسول الله –ﷺ– كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : ((**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله**)) [1]. وعنها

---

(١) رواه البخاري، رقم (٤٢٧)، ومسلم رقم (٥٢٨) .

رضي الله عنها قالت : لما نزل برسول الله -ﷺ- طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال : وهو كذلك : ((**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً**)) [(١)] . وعن جندب بن عبدالله قال : سمعت النبي -ﷺ- قبل أن يموت بخمس وهو يقول : ((**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**)) [(٢)] .

وأمره ﷺ بهدم القبور المشرفة كما في حديث أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي : ((**ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله -ﷺ- أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**)) [(٣)] .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وهي تدل على تحريم البناء على القبور، وتحريم اتخاذها مساجد وتحريم الصلاة عندها، وهذه هي البداية فإن عبادة القبور تبدأ بالبناء عليها والغلو فيها وإيقاد السرج عندها ، ثم بعد ذلك تصير أوثاناً تعبد من دون الله .

وقد بوب الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- في كتابه التوحيد على ذلك فقال : (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله) ثم ذكر الأدلة على ذلك [(٤)]، وهذا الذي ذكره الشيخ -رحمه الله-

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٣)، ومسلم (٥٣١) .

(٢) رواه مسلم، رقم (٥٣٢) .

(٣) رواه مسلم، رقم (٩٦٩) .

(٤) انظر : تيسير العزيز الحميد (٢٧٣) .

هو الذي وقع فعلاً ، وهو سبب أول شرك وقع في الأرض في قوم نوح كما هو معلوم [١] .

فلما غلوا في هذه القبور وعظموها أكثر من تعظيم المساجد وعظموا العبادة عندها أعظم من الصلاة في المساجد صرفوا لها أنواعاً من العبادة منها الدعاء عندها والاستغاثة بأصحابها وسؤالهم الشفاعة والطواف عليها والعكوف عندها إلى غير ذلك من أنواع العبادة، وقد رأيت بنفسي في بعض البلاد الإسلامية الناس عكوفاً عند بعض القبور يسألونه حوائجهم من دون الله في اجتماع كبير لا يحصى عددهم إلا الله وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ومن هذه العبادات المعروفة للقبور عبادة الذبح تحت ما يسمى النذور للأولياء والصالحين، فإذا وقع أحدهم في مصيبة أو أراد حاجة من حوائج الدنيا نذر للقبر الفلاني أو الولي الفلاني ذبيحة أو بقرة تذبح عنده إما باسم الله أو بسم الولي أو يذكرون اسم الله واسم الولي فيقول بسم الله واسم الشيخ الفلاني .

وعادة ما يكون الذبح في مكان قريب عند القبر أو على عتبة القبر، وقد يأخذون دم هذه الذبيحة المسفوح النجس فيضعونه على مريضهم الذي يرجون شفاءه أو على دابتهم أو على أطفالهم أو على سيارتهم رجاء بركة هذا الدم النجس ، ثم يتركون لحمها للسدنة أكلة السحت ودعاة الشرك، وقد يقومون بتقسيمه على فقراء الولي تشبيهاً لهم بفقراء الحرم، وهذا الذي يفعل عند القبور أمر مشاهد متواتر لا يحتاج إثباته إلى دليل.

ومن المعلوم أن النذر عبادة لا يجوز صرفها لغير الله –سبحانه وتعالى– ومن صرفه لغير الله فقد أشرك .

---

(١) المصدر السابق (٢٤٤) .

قال صاحب القاموس –رحمه الله– : « النذر الإيجاب ونذر على نفسه أوجب، وهو الوعد المشروط تقول : علي إن شفا الله مريضي كذا ».اهـ [١] .

والنذر في الشرع إلزام المكلف نفسه عبادة لم تكن واجبة عليه في أصل الذمة .

وحكمه عند العلماء ابتداء الكراهة لقوله –ﷺ– : ((**لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً وإنما يستخرج به من البخيل**)) [٢]. وعن ابن عمر –رضي الله عنه– عن النبي –ﷺ– أنه نهى عن النذر وقال : ((**إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل**)) [٣] .

أما الوفاء به فإن كان نذر طاعة فيما يملكه الإنسان أو له قدرة عليه فيجب الوفاء به، وأما إن كان نذر معصية أو فيما لا يملكه الإنسان فلا يجوز الوفاء به لقوله –ﷺ– : ((**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**)) [٤] . ولقوله –ﷺ– : ((**لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد**)) [٥] .

ومن المعلوم أن الذبح لغير الله من أعظم المعاصي، بل هو أعظمها فإنه شرك بالله –تعالى– والشرك أعظم ذنب عصي الله به، ولذلك فمن نذر أن يذبح للقبر الفلاني أو الولي الفلاني فإنه لا يجوز الوفاء به؛ لأنه نذر معصية والمعصية لا يجوز الوفاء بها، فإن ذبح فقد أشرك بالله غيره، وسواء ذكر اسم

---

(١) القاموس المحيط (٦١٩) .

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٢٦١) رقم (١٦٤٠) .

(٣) رواه البخاري (١١/ ٥٧٦) مع الفتح، ورواه مسلم (٣/ ١٢٦١) رقم (١٦٣٩) .

(٤) رواه البخاري (١١/ ٥٨١) مع الفتح .

(٥) رواه مسلم (٣/ ١٢٦٢) رقم (١٦١٤) .

الله على ذبيحته أو لم يذكر اسم الله وذكر اسم الولي أو جمع بينهما فإن العمدة في ذلك على نيته فإنه أراد بقلبه غير الله أو أشرك بقلبه مع الله غيره، وهذا هو الشرك الأكبر فليحذر المسلم من ذلك سواء أعلن المسلم ذلك أم أسره فإن الله –سبحانه وتعالى– عالم بسره ومجازيه عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر.
قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [1].

وهذا النذر والذبح للقبور والأولياء والأئمة ناتج عن عقائد فاسدة خطيرة يعتقدها هؤلاء الناذرين فمن ذلك:

-اعتقادهم أن هذا الميت يعلم حالهم فهو وإن كان في قبره إلا أنهم يعتقدون أن له قدرة على الاطلاع على أحوال الأحياء.

-اعتقادهم قدرة الميت على إجابة دعائهم واستغاثتهم وشفاء مريضهم ورد غائبهم ونحو ذلك مما هو من خصائص ربوبية الله –سبحانه وتعالى–.

-اعتقادهم أن هؤلاء الموتى باب الله، ولا يتوصل إلى الله إلا من طريقهم.

-اعتقادهم أن الله يحب ذلك ويجيب دعاءهم من أجل ذلك النذر والذبح.

إلى غير ذلك من الاعتقادات الباطلة الشركية فإن هؤلاء واقعون في ظلمات بعضها فوق بعض –والعياذ بالله–.

وإليك بعض أقوال العلماء في تحريم النذر لهذه القبور، وأن هذا عبادة لهم وشرك في عبادة الله –سبحانه وتعالى–.

---

(١) الآية (٢٧٠) من سورة البقرة.

قال الشوكاني –رحمه الله- : « وكذلك النحر للأموات عبادة لهم والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنسك وإخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله –عز وجل- بلا خلاف، ومن قال أن ثم فرقاً بين الأمرين فليهده إلينا، ومن قال إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم والنذر عليهم عبادتهم فقل له : فلأي مقتضى صنعت هذا الصنع، فإن دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا بشيء في قلبك عبر عنه لسانك »[١]. وقال رحمه الله : « ومن المفاسد البالغة إلى حد يرقى صاحبها إلى وراء حائط الإسلام ويلقيه على أم رأسه من أعلى مكان من الدين أنه يأتي كثير منهم بأحسن ما يملكه من الأنعام ويحوزه من المواشي فينحره عند ذلك القبر متقرباً به إليه راجياً ما يضمر حصوله له منه فيهل به لغير الله، ويتعبد به لوثن من الأوثان » . اهـ [٢].

وقال الصنعاني-رحمه الله- : « وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم : على الله وعليك ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها، وكل قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق والهند يدعون عبدالقادر الجيلي[٣] ، وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون يا زيلعي، يا ابن

(١) الدر النضيد، (ص٢٠)، مجموع الرسائل السلفية له .

(٢) شرح الصدور (١١) ضمن الرسائل السلفية له .

(٣) هذا بالنسبة لأهل السنة والجماعة منهم، أما الرافضة منهم فإنما يدعون علياً والحسن والحسين وفاطمة والعباس ونحوهم ممن يزعمون تعظيمهم من آل البيت النبي –ﷺ- وهم منه براء .

العجيل، وأهل مكة وأهل الطائف : يا ابن العباس، وأهل مصر : يا رفاعي، يا بدوي، والسادة البكرية وأهل الجبال: يا أبا طير، وأهل اليمن : يا ابن علوان، وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر، وهو بعينه فعل المشركين في الأصنام كما قلنا في الأبيات النجدية[1] :

أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحروا في سوحها من ... أهلت لغير الله جهلاً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلاً ... ويلتمس الأركان منهن باليد

فإن قال : إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه فقل : إن كان النحر لله فلأي شيء قربت ما نحرته من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه، هل أردت بذلك تعظيمه ؟ إن قال : نعم فقل له : هذا النحر لغير الله بل أشركت مع الله -تعالى- غيره . وإن لم ترد تعظيمه فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه ؟ .

أنت تعلم يقيناً أنك ما أردت ذلك أصلاً ولا أردت إلا الأول ولا خرجت من بيتك إلا لقصده، ثم كذلك دعاؤهم له، فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب » . اهـ[2] .

---

(١) قصيدته المشهورة في مدح شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- والتي أولها :

سلامي على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي عن البعد لا يجد

انظر : ديوان الصنعاني .

(٢) تطهير الاعتقاد (٥٠٢) ضمن الجامع الفريد .

فانظر إلى هذا الكلام الدقيق والحجج القوية في إبطال عقائد القبورية في نذرهم للقبور وذبحهم عندها فإنه مفيد جداً في الرد عليهم ومناظرتهم فاعتن به .

وقال الشيخ محمد بن عبدالسلام الشقيري –رحمه الله– : « وقد ترك الناس الضحايا التي هي من كبار القرب المنوه بها في غير موضع في القرآن الكريم، وصاروا لا يذبحون إلا في أيام الموالد كمولد أحمد البدوي والرفاعي والدسوقي والبيومي والأمبابي، ومولد النبي، وما من بلد من بلاد المسلمين إلا وفيها مقدسون ومعظمون من الأموات يذبحون وينذرون لهم، ويتقربون إليهم بنفائس النذور والذبائح التي هي حق لله وحده لا شريك له فأولئك ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ ﴾ [(١)]، فما بهذا أمركم الله في كتابه أيها المسلمون، بل أمر الله نبيه أن يقول : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ ﴾﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [(٢)]. فالله –تعالى– يأمر نبيه –ﷺ– أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره أنه مخالف لهم في ذلك، وأن صلواته وقرباته وعبادته وذبائحه لله وحده لا شريك له، وقد قال الله –تعالى– له ﷺ : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ ﴾ [(٣)] أي أخلص صلاتك وذبحك فإن المشركين يعبدون الأولياء والموتى ويذبحون لها فلا تفعل كفعلهم ». اهـ [(٤)].

---

(١) الآية (١٠٤) من سورة الكهف .

(٢) الآية (١٦٢) من سورة الأنعام .

(٣) الآية (٢) من سورة الكوثر .

(٤) السنن والمبتدعات (١٧٤) .

وقال رحمه الله : « أما النذر لله وثوابه للبدوي أو الحسين أو أم هاشم أو فلان أو فلان فضلال وبدعة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[1].أما ثواب صلاتي وذبائحي وعبادتي فهو لي ولا أعطيه أحداً من العالمين لأني محتاج فقير إليه لا أستغني عنه، على أنهم يزعمون أن أولئك الأولياء ليسوا بحاجة إلى ثواب فكيف يروج عليهم الشيطان ذلك ويعمون عن قول الله –تعالى- : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ »[2][3].

فانظر رحمك الله إلى كلام هذا العالم ما أدقه وأعلمه بحال القوم فإنك إن أغلقت عليهم باب الشرك وعبادة غير الله اعتذروا أن النذر لله والذبح له، وإنما نحن نهدي ثوابه للولي وهذا تناقض منه إذ كيف يهدون ثواب عملهم وهو بزعمهم متصرف بهذا الكون، ثم لماذا يهدون له إلا ليشفع لهم عند الله أو يشفي مريضهم أو يعطيهم حاجتهم وهذا هو شرك المشركين بعينه إذ قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[4].

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على تحريم الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه لغير الله، ولذلك لو أن مسلماً نذر أن يذبح لله وحده عند أحد القبور المعظمة التي يذبح عندها لغير الله فإنه لا يجوز أن يذبح في ذلك المكان للأمور التي ذكرها الصنعاني –رحمه الله- سابقاً، ومن الأدلة على منع ذلك :

---

(١) الآية (١٦٢) من سورة الأنعام .

(٢) الآية (١٢١) من سورة الأنعام .

(٣) السنن والمبتدعات (١٧٩) .

(٤) الآية (٣) من سورة الزمر .

قوله -تعالى- بعد ذكر المحرمات من اللحوم : ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [(١)] قال ابن كثير -رحمه الله- : « قال مجاهد وابن جريج -رحمهما الله- : " كانت النصب حجارة حول الكعبة قال ابن جريج : وهي ثلاثمائة وستون نصباً كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح ويشرحون اللحم، ويضعونه على النصب وكذا ذكره غير واحد فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله، فالذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ». اهـ [(٢)]. وعن ثابت بن الضحاك -رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي -ﷺ- فقال : ((**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد**)) **قالوا : لا، قال :** ((**فهل كان فيها عيد من أعيادهم**)) **قالوا : لا، فقال رسول الله -ﷺ-** : ((**فأوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**)) [(٣)].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

الخلاصة :

أن نذر الذبائح للقبور لا يجوز وأن هذا شرك بالله -سبحانه وتعالى- سواء ذكر اسم الله عليها أو ذكر اسم الولي أو جمع بينهما .

---

(١) الآية (٣) من سورة المائدة .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٩٨) .

(٣) رواه أبو داود، رقم (٣٣١٣) وإسناده صحيح. قال شيخ الإسلام رحمه الله : وهذا الإسناد على شرط الصحيحين وإسناده كلهم ثقات مشاهير وهو متصل بلا عنعنة. الاقتضاء (١/ ٤٣٦) وصححه الألباني انظر المشكاة رقم (٣٤٣٧).

أن النذر لله والذبح عند هذه القبور كذلك لا يجوز سواء ذكر اسم الله عليها أو ذكر اسم الولي أو جمع بينهما، وأن هذه الذبائح محرمة جاهلية لا يجوز أكلها .

أن أهل الجاهلية إذا ذبحوا على النصب أخذوا دم الذبيحة النجس ولطخوا به الكعبة أو بعض حاجاتهم وهذا حرام ولا يجوز التشبه بهم في ذلك، فلا يجوز بعد ذبح الذبيحة أن نأخذ دمها النجس فنلطخ به جدران البيت أو السيارة أو المريض أو الطفل أو نحو ذلك .

أن النذر لله وإهداء ثوابها للولي لا يجوز وهو حيلة شيطانية ومقدمة لعبادة هذا الولي والتقرب إليه ببعض أنواع العبادة .

أن الذين يذبحون عند القبور إنما أرادوا تعظيم هؤلاء الموتى وهذا شرك؛ لأنهم لم يريدوا توسيخ وتنجيس الضريح أو المقام الذي يعظمونه قطعاً .

ومن صور النذر المحرم كذلك في الذبائح ما يلقيه الشيطان على لسان بعض الناس فينذر ذبح نفسه أو ولده أو أي إنسان آخر ظناً منه أن ذلك يجلب له خيراً أو يدفع عنه سوء، وهذه عقيدة وثنية جاهلية محرمة .

وذبح الأبناء في الجاهلية كان لثلاثة أسباب –والله أعلم– :

الأول : وأد البنات خاصة، وذلك خوف العار عليهن خشية أن يقعن أسيرات في يد العدو أو كراهية البنات . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٥٩ ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ ﴾ (٢) .

---

(١) الآيتان (٥٨–٥٩) من سورة النحل .

(٢) الآيتان (٨–٩) من سورة التكوير .

والسبب الثاني : قتل الذكور والبنات خوف الفقر والعالة . قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [(١)] ، وقال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝٣١﴾ [(٢)] . قال ابن كثير –رحمه الله– : « هذه الآية دالة على أن الله أرحم بعباده من الوالد لولده؛ لأنه تعالى ينهى عن قتل الأولاد كما أوصى بالأولاد في الميراث، وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات، بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته فنهى الله –تعالى– عن ذلك فقال : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ أي خوف أن تفتقروا في ثاني الحال، ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ وقال في سورة الأنعام : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ أي من فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[(٣)] ».

والسبب الثالث : تعبدي وهو أنهم كانوا يقتلون أولادهم تعبداً لأصنامهم وللجن والشياطين، وينذرون ذلك لآلهتهم وقد ينذرون ذبح بعضهم لله وبعضهم لأصنامهم كما هو شأنهم في شركهم في العبادة قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝١٣٦ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١٣٧ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا

---

(١) الآية (١٥١) من سورة الأنعام .

(٢) الآية (٣١) من سورة الإسراء .

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٨٨) .

كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[1] .

فهذه الآيات العظيمات تبين بعض عقائد الجاهلية في الذبائح والأنعام ومنها أنهم كانوا يذبحون أبناءهم تعبداً لأصنامهم، وهو قتل يختلف عن وأد البنات خوف العار أو قتل الأولاد خوف الفقر، ولذلك قال سبحانه : ﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ ﴾ أي أن هذا النوع سببه طاعة المشركين لشركائهم من الإنس والجن عندما أمروهم بقتل أولادهم تعبداً لهم .

قال ابن كثير –رحمه الله– : « هذا ذم وتوبيخ من الله –تعالى– للمشركين الذين ابتدعوا بدعاً وكفراً وشركاً وجعلوا له جزءاً من خلقه وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ». اهـ [2].

فعلم بهذا أنه لا يجوز للمسلم بحال من الأحوال أن ينذر ذبح نفسه أو ولده أو أي إنسان آخر لله ، لأن هذا دم حرام لا يحل إلا بحقه، فإن نذر ذلك لغير الله للقبور أو الأولياء أو الأئمة أو نحو ذلك فهذا عين عمل الجاهلية ، فهو شرك مخرج من الملة .

وقد اختلف الفقهاء –رحمهم الله– في من نذر ذبح نفسه أو ولده أو أي إنسان آخر .

فذهب قوم إلى أنه نذر معصية لا كفارة عليه ولا يجوز له الوفاء به وهو قول الإمام الشافعي –رحمه الله– .

---

(١) الآيات (١٣٦-١٤٠) من سورة الأنعام .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٧٢) .

وذهب غيره إلى أن عليه ذبح شاة ، لأن إبراهيم أمر بذبح ولده ففداه الله بشاة، وهو مروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما–، ورواية للإمام أحمد وهو قول أبي حنيفة –رحمه الله– .

وذهب آخرون إلى أنه نذر معصية تجب فيه كفارة يمين شأنه في ذلك شأن من نذر أن يعصي الله فإنه لا يجوز له الوفاء به، وعليه كفارة يمين وهو مروي عن الإمام أحمد –رحمه الله– [١]، ويؤيد هذا القول ما رواه مالك –رحمه الله– بسنده عن القاسم بن محمد قال : « أتت امرأة إلى عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما– فقالت : إني نذرت أن أنحر ابني فقال ابن عباس : لا تنحري ابنك وكفري عن يمينك فقال شيخ وكيف يكون في هذا كفارة فقال ابن عباس : إن الله –تعالى– قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾[٢]ثم جعل فيه من الكفارة ما قد رأيت » [٣] .

ومن عجائب ما يتلاعب به الشيطان بمن أعرض عن ذكر الله ما يفعله هؤلاء الناذرون للقبور بعد الذبح، فإن بعضهم إذا ذبح عند القبر أو المشهد يظن أن من تمام النسك أن يحلق شعره عند القبر أو الشيخ تشبيهاً له بحلق الرأس لله بعد الذبح في منى .

قال ابن القيم –رحمه الله– : «والمقصود : أن النفوس الجاهلة الضالة أسقطت عبودية الله –سبحانه وتعالى–، وأشركت فيها من تعظمه من الخلق

---

(١) انظر : المغني (١٣/ ٤٧٦-٤٧٨)، والاستذكار، لابن عبدالبر (١٥/ ٥٣-٥٨)، والمصنف، لعبد الرزاق (٨/ ٤٥٩-٤٦٣) .

(٢) الآية (٣) من سورة المجادلة .

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٤٧٦) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٥٠٣)، و البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٧٢) وصححه.

فسجدت لغير الله وركعت له، وقامت بين يديه قيام الصلاة وحلفت بغيره ونذرت لغيره وحلقت لغيره وذبحت لغيره وطافت لغير بيته وعظمته بالحب والخوف والرجاء والطاعة كما يعظم الخالق بل أشد، وسوت من تعبده من المخلوقين برب العالمين، وهؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل، وهم الذين بربهم يعدلون ». اهـ[١] .

ولذلك تلاعب بهم الشيطان حتى سموا زيارة هذه القبور حجاً، ومن تمام الحج عندهم الطواف والذبح والحلق، وكل هذا شرك أكبر مخرج من الملة -والعياذ بالله- .

وأشهر نذر وقع في الجاهلية نذر عبدالمطلب بن هاشم جد النبي -ﷺ- حيث نذر إن ولد له عشر من الولد أن ينحر أحدهم لله عند الكعبة ثم فداه بمائة ناقة .

وقد روى ابن جرير -رحمه الله- القصة بسنده عن قبيصة بن ذؤيب قال : إن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستفتي عن نذرها فجاءت عبدالله بن عمر، فقال لها عبدالله بن عمر :لا أعلم الله أمر في النذر إلا الوفاء به، فقالت المرأة : أفأنحر ابني، قال ابن عمر : قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم، فلم يزدها عبدالله بن عمر على ذلك فجاءت عبدالله بن عباس فاستفتته فقال : « أمر الله بوفاء النذر والنذر دين نهاكم أن تقتلوا أنفسكم ، وقد كان عبدالمطلب بن هاشم نذر أن توافي له عشرة رهط أن ينحر أحدهم فلما توافى له عشرة، أقرع بينهم، أيهم ينحر فطارت القرعة على عبدالله أحب الناس إلى عبدالمطلب فقال عبدالمطلب : اللهم هو أو مائة من الإبل ، فطارت القرعة على المائة من

(١) زاد المعاد (٤/ ١٤٨)، الرسالة .

الإبل، فقال ابن عباس للمرأة : أرى أن تنحري مائة من الإبل مكان ابنك » الحديث [١] .

وقد ذكر ابن جرير -رحمه الله- وغيره هذه القصة من طرق كثيرة يشهد بعضها لبعض، وتدل بمجموعها على وقوع هذه الواقعة في زمن عبدالمطلب جد النبي -ﷺ- .

فدل على أن النذر على هذه الهيئة من عادات الجاهلية وليست من شرائع الإسلام، وقد يحتج بعضهم بنذر إبراهيم -عليه السلام- ذبح ولده، وهذه القصة لا حجة فيها لأن إبراهيم -عليه السلام- لم ينذر ذبح ولده، وإنما أمره الله بذلك امتحاناً وابتلاءاً ثم فداه الله -سبحانه وتعالى- بكبش عظيم، قال تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [٢] .

فهذه الآيات تدل على أن إبراهيم -عليه السلام- لم ينذر ذبح ابنه، وإنما أمر بذلك عن طريق الرؤيا ورؤيا الأنبياء كما هو معلوم حق وهي نوع من أنواع الوحي ، ولذلك قال ابنه -عليه السلام- : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ ﴾ لأنه علم أن ذلك أمر من الله لا يسع إبراهيم -عليه السلام- تركه .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تاريخه (٢/ ٢٣٩-٢٤٠)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٨٨)، وقد حسن إسناده غير واحد من أهل العلم . انظر : المقاصد الحسنة (١٤)، و كشف الخفاء (١/ ٢٣٠)، مرويات العهد المكي رسالة علمية في كلية الحديث الشريف في الجامعة الإسلامية لعادل عبدالغفور الدمنهوري (١/ ٩٣-١٠٠) وصحيح السيرة النبوية للطرهوني (٢/ ٢٦١) .

(٢) الآيات (١٠١-١٠٧) من سورة الصافات .

وقد اختلف العلماء في الذبيح من هو على ثلاثة أقوال :

فذهب أهل الكتاب إلى أن الذبيح هو إسحاق –عليه السلام–، وحكى هذا القول عن غير واحد من الصحابة والتابعين منهم عمر وعلي وابن مسعود والعباس وكعب الأحبار وقتادة ومسروق، ورواية عن ابن عباس –رضي الله عنهما– واختاره ابن جرير –رحمه الله– في تفسيره .

وذهب آخرون إلى أن الذبيح هو إسماعيل –عليه السلام– وحكى هذا القول عن عبدالله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والحسن البصري والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي، ورواية عن ابن عباس –رضي الله عنهما– واختاره غير واحد من المفسرين منهم ابن كثير –رحمه الله– [(١)].

وتوقف آخرون فلم يجزموا بشيء لعدم ثبوت حديث صحيح يوضح ذلك وتعارض الأدلة .

وقد رجح ابن القيم –رحمه الله– أن الذبيح هو إسماعيل –رحمه الله– فقال رحمه الله : « وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية –قدس الله روحه– يقول : " هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتبهم فإن فيه :إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره، وفي لفظ: وحيده ، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٧/ ٢٩٨٧)، وانظر : تفسير ابن جرير (٢٣/ ٨٠-٨٩) .

إسماعيل هو بكر أولاده ». اهـ . ثم ذكر ابن القيم –رحمه الله– الأدلة على ترجيح أن الذبيح إسماعيل في بحث دقيق نفيس [(١)] .

وقبل أن أختم هذه المسألة أحب أن أنبه إلى أمور :

-أن البحث في الغيبيات متوقف على الدليل السمعي ، فإذا صح الدليل وجب الأخذ به .

-أن البحث في هذه القضية يجب أن يكون بأدب ودقة مع أنبياء الله –عز وجل–، فلا ينبغي أن يتعصب أحد إلى أحدهم عليهم السلام فهو محرم، ولذلك فنحن نتكلم عن نبيين طاهرين فاضلين فلا يجوز أن نغمط حق أحدهم لإظهار فضل الآخر، ولذلك نهى النبي –ﷺ– عن المفاضلة بين الأنبياء بالاسم خوف أن نشعر بتنقص الآخر .

-أن هذه المسألة ليس فيها للسلف قول واحد ولذلك فلا ينبغي أن يشدد فيها طالب العلم فإن لكل سلفاً .

-أن هذه المسألة من فروع العلم ، ولا ينبني على العلم بها كبير اعتقاد.

-أن الرؤيا لغير الأنبياء لا علاقة لها بالتشريع، فإذا رأى الإنسان أن يذبح ابنه في المنام أو غيره فلا يجوز له الوفاء به، وعليه أن ينفث عن يساره لأن ذلك من الشيطان ولا يجوز للابن أن يطيع أباه في ذلك .

-من رأى في المنام من يأمره بذبح شاة باسم أحد معين أو في مكان معين فلا يجوز له الوفاء به؛ لأن هذا معصية لله لا يجوز الوفاء به،

---

(١) زاد المعاد (١/ ٧١-٧٥) .

والرؤى المنامية ليست من مصادر التشريع فلا يلتفت المسلم إلى ما يراه، بل عليه العمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- والله أعلم [١].

الصورة الرابعة : ذبائح الجن والسحرة والكهان والعرافين والكواكب ونحوها ...

والمراد بهذه الذبائح الذبائح التي تذبح لتعظيم الجن بطلب من السحرة أو الكهان أو العرافين، ويذكر عليها اسم الجني أو الشيطان المراد تعظيمه أو يذكر عليها اسم الله والمقصود الشيطان .

وعادة ما تكون هذه الذبائح ذات صفات مميزة يطلبها الساحر أو الكاهن من الإنسان كأن تكون الذبيحة سوداء أو عوراء أو عرجاء أو نحو ذلك، وقد تكون الذبيحة ناقة أو بقرة أو شاة أو دجاجة أو ديكاً أو نحو ذلك مما يطلبه الساحر أو الكاهن، وكذلك فإن زمان الذبح أو مكانه يحدده الساحر بطريقة غريبة كأن يطلب منه الذبح وقت الأذان أو عند طلوع الشمس أو غروبها أو وقت زوال الشمس أو منتصف الليل أو نحو ذلك، وكذلك المكان يختار له مكاناً غريباً كالذبح بين القبور أو الذبح في وسط الشارع أو في الحمام أو نحو ذلك من الأماكن الغريبة، وعادة ما يكون الذبح على غير القبلة كل هذا تحكم من الجن وإمعان في إذلال الذابح واللعب به واستعباده قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [٢] .

---

(١) انظر في مسألة الذبح في الرؤيا، فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- (٥/ ٣٢٧) .

(٢) الآية (٦) من سورة الجن .

وصور الذبح للجن والسحرة والكهان بحر من الشرك لا ساحل ولا نهاية له فهي ظلمات بعضها فوق بعض [١] :

ومن أمثلة ذلك: الذبح للجن لإخراج الجني المتلبس من الإنسان المريض.

ومنها: الذبح للجن من أجل شفاء المريض الذي عجز الأطباء عن شفائه.

ومنها: الذبح للجن من أجل حماية البيت أو الأموال أو الزوجة أو الأولاد .

ومنها: الذبح لهم لرد غائب أو اكتشاف سارق أو جلب مصلحة كتجارة أو وظيفة مرجوة أو دفع مفسدة مخوفة .

ومنها: الذبح لهم حتى يدلوهم على مكان كنوز الأرض وركازها المدفون فيها .

إلى غير ذلك من الأسباب التي يذهب أهلها إلى السحرة والكهان من أجلها فيطلبون منهم الذبح حتى يوقعوهم في الشرك، ثم قد يحصل لهم المراد ، وهذا قليل نادر أو ينتكسون في براثن الشرك ويكونوا عبيداً لهؤلاء السحرة فيضيعوا عليهم دينهم ودنياهم . قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [٢] ، قال الشيخ السعدي –رحمه الله– : « أي تمتع كل من الجن والإنس بصاحبه

---

(١) انظر : آكام المرجان في أحكام الجان (٧٨-٨٠)، مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٢٨٠)، (٥/ ٢٧٦).

(٢) الآية (١٢٨) من سورة الأنعام .

وانتفع ، فالجني يستمتع بطاعة الإنسي له وعبادته وتعظيمه واستعاذته به، والإنسي يستمتع بنيل أغراضه وبلوغه بسبب خدمة الجني له بعض شهواته فإن الإنسي يعبد الجني فيخدمه الجني ويحصل له منه بعض الحوائج الدنيوية » . اهـ [١] .

وقد يطلب الساحر أو الكاهن أن يذبح الذبيحة في مكان يختلط فيه الرجال والنساء على دف ومزمار –والعياذ بالله– حتى يشفى مريضهم بزعمهم .

واسمع إلى كلام الشيخ محمد بن عبدالسلام ليروي لك كيف يتلاعب الشيطان بأوليائه حتى أخرجهم عن مصاف الإنسانية والعقل .

قال رحمه الله وهو يتحدث عن بدعة الزار [٢] : « لقد حوت هذه البدعة المنكرة الممقوتة المشؤومة بدعة الزار كل القبائح والرذائل ، كما سلبت من مرتكبيها الأوغاد السفلة كل فضيلة، لقد حوت كل المهازل وكل المخازي والفضائح وكل العيوب والفسوق والفجور وكل حطة وعار ونقيصة، وانسلخ أهلها من كل أدب وخلق طاهر وشرف وكرامة، كما تبرأت من أباطيلهم جميع الأديان والشرائع وكل العقول الصحيحة السليمة ، فمن من العقلاء يقول : إن في لباس الذهب والفضة والحرير والتهتك والخلاعة والرقص وترامي المرأة عارية في أحضان الشبان ومشايخ الدأة [٣] على الطبلة والزمارة فيه شفاء من خبل الصرع، ومن هذا الذي يستطيع أن

---

(١) تفسير السعدي (٢٧٣) .

(٢) الزار طقوس شيطانية يدعى أن فيها شفاء لبعض الأمراض وعادة ما تتم عند المشعوذين والسحرة مع غناء واختلاط .

(٣) يعني الدقة وهو يقولها هنا بالألف استهزاء .

يقول: إن ذبح الخواريف وأنواع الدجاج الرومي وأصناف الطيور تخرج العفاريت من أجسام النساء ، فيا لخراب العقول، ويا لخراب البيوت، ويا للمصيبة ، ويا للرزية الكبرى، ويا للطامة العظمى مما سيصيب ، بل قد أصاب عقل وحياة ومستقبل النشء الجديد » [١].

فهذه بعض الظلمات التي يقع فيها من سار في طريق السحرة والكهان عباد الجان حتى يفسدوا عليه دينه وعرضه ونفسه وماله -والعياذ بالله- . قال تعالى : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [٢] الآية . وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال : ((**اجتنبوا السبع الموبقات)) قالوا : وما هن، قال : ((الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**)) [٣] .

وعن بعض أزواج النبي -ﷺ- عن النبي -ﷺ- قال : ((**من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لن تقبل له صلاة أربعين يوماً**))[٤]. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- : ((**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد -ﷺ-**)) [٥].

فهذه النصوص تدل على تحريم الذهاب إلى السحرة والكهان والعرافين لأي سبب من الأسباب ، وأنهم كذبة فجرة لا خير عندهم ولا شفاء ولا

(١) السنن والمبتدعات (٣٢١) .

(٢) الآية (١٠٢) من سورة البقرة .

(٣) رواه البخاري رقم(٢٧٦٦)، ومسلم رقم (٨٩) .

(٤) رواه مسلم رقم (٢٢٣٠) .

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٥/ ٣٣١)، الرسالة، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، والحاكم (١/ ٨)، وصححه ووافقه الذهبي .

علم، وأن الذهاب عندهم طريق الكفر وأن من أطاعهم فذبح لغير الله أو دعا غير الله أو استغاث لغير الله فهو مشرك بالله خارج عن ملة الإسلام، وهذه الذبائح بقصد الجن أو بأسمائهم محرمة لا يجوز أكلها لأنها مما أهل لغير الله به .

قال شيخ الإسلام –رحمه الله– : « فعلى هذا ، فلو ذبح لغير الله متقرباً به إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك .

وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا الباب ما قد يفعله الجاهلون بمكة شرفها الله وغيرها من الذبح للجن، ولهذا روي عن النبي –ﷺ– : ((**أنه نهى عن ذبائح الجن**)) »[1][2].

ومن ذبائح الجن المحرمة صيد الكلب الأسود البهيم لأنه شيطان عن بعض العلماء .

وممن ذهب إلى تحريم صيده الحنابلة لأن النبي –ﷺ– أمر بقتله كما في حديث عبدالله بن المغفل –رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله –ﷺ– بقتل الكلاب ثم نهى عن قتلها فقال : ((**عليكم بالأسود البهيم ذي النكتتين فإنه شيطان**))[3] .

قالوا : وما وجب قتله وحرم اقتناؤه وتعليمه فلم يبح صيده كغير المعلم، ولأن النبي –ﷺ– سماه شيطاناً ولا يجوز اقتناء الشيطان، وإباحة الصيد المقتول رخصة

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣١٤)، وهو حديث ضعيف ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٣٠٢) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٦٤) .

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٢٠٠) .

فلا تستباح كسائر الرخص والعمومات مخصوصة بما ذكرناه ، وإن كان فيه نكتتان فوق عينيه لم يخرج بذلك كونه بهيماً لما ذكرناه من الخبر .

وممن كره صيده الحسن والنخعي وقتادة وإسحاق قال أحمد : « ما أعرف أحداً يرخص فيه يعني من السلف » . وأباح صيده أبو حنيفة ومالك والشافعي لعموم الآية والخبر في إباحة صيد الكلاب، والقياس على غيره من الكلاب .

والراجح –والله أعلم– قول من قال بتحريم صيده لأنه شيطان، وذبائح الشياطين لا تؤكل، والله أعلم [١].

الصورة السابعة : عقائر الأعراب والشعراء وما ذبح أمام الأشراف والأكابر وما ذبح للعب من أهل الثراء والإسراف ونحو ذلك من عادات الجاهلية .

العقائر : هي الذبائح التي تذبح لغير وجه الله –سبحانه وتعالى– وتكون عادة من باب التفاخر والرياء والسمعة، وقد كان أهل الجاهلية يفعلونها للتفاخر فنهى رسول الله –ﷺ– عنها كما في حديث أنس–رضي الله عنه– قال : قال رسول الله –ﷺ– : ((**لا عقر في الإسلام**)) [٢].

قال ابن الأثير –رحمه الله– : « كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى أي ينحروها ويقولون إن صاحب القبر يعقر للأضياف أيام حياته فنكافئه

---

(١) انظر المسألة في المغني (١٣/ ٢٦٧) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٠/ ١٣٠٣٢) ، الرسالة وصححه محققه، ورواه أبو داود رقم (٣٢٢٢) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

بمثل صنيعه بعد وفاته وأصل العقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم ». اهـ [(١)].

وهناك صورة أخرى له وهوأن يتبارى رجلان في الكرم والجود فيعقر هذا ويعقر هذا ليروا أيهم أكثر كرماً .

قال الخطابي –رحمه الله– : « هو أن يتبارى الرجلان كل واحد منهما يجاود صاحبه فيعقر هذا عدداً من إبله ويعقر صاحبه فأيهما كان أكثر عقراً غلب صاحبه ونفره .

كره أكل لحومها لئلا تكون مما أهل به لغير الله وفي معناه ما جرت به عادة الناس من ذبح الحيوان بحضرة الملوك والرؤساء عند قدومهم البلدان وأوان حدوث نعمة تتجدد لهم في نحو ذلك من الأمور ». اهـ [(٢)].

ومما يدل على تحريم ذبائح المتبارين حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال : ((**إن رسول الله –ﷺ– نهى عن طعام المتبارين أن يؤكل**)) [(٣)] . وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال : قال رسول الله –ﷺ– : ((**المتباريين لا يجابان ولا يؤكل طعامهما**)) قال الإمام أحمد : « يعني المتعارضين بالضيافة فخراً ورياء » [(٤)].

---

(١) النهاية (٣/ ٢٧١) .

(٢) معالم السنن (٤/ ٢٧٨) .

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٧٥٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود انظر ما بعده .

(٤) مشكاة المصابيح رقم (٣٢٢٦/ ج ٣/ ٩٦٣)، وصححه والذي قبله الألباني –رحمه الله– كما في السلسلة الصحيحة رقم (٦٢٦ج / ١) .

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما- عن النبي –ﷺ- قال : ((**لا تأكلوا من تعاقر الأعراب فإني لا آمن أن يكون أهل لغير الله به**)) (١) . قال ابن الأثير –رحمه الله- : « هو عقرهم الإبل كان يتبارى الرجلان في الجود والسخاء فيعقر هذا إبلاً ويعقر هذا إبلاً حتى يعجز أحدهما الآخر، وكانوا يفعلونه رياء وسمعة وتفاخراً ولا يقصدون به وجه الله فشبهه بما ذبح لغير الله » . اهـ (٢) .

وعن الجارود بن أبي سبرة قال : « كان رجل من بني رياح يقال له : ابن وثيل وكان شاعراً نافر غالباً أبا الفرزدق بماء بظهر الكوفة، على أن يعقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت الماء، فلما وردت الماء قاما إليها بالسيوف فجعلا يكسفان عراقيبها . قال : فخرج الناس على الحمرات والبغال يريدون اللحم قال : وعلي بالكوفة قال : فخرج علي على بغلة رسول الله –ﷺ- البيضاء وهو ينادي : يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها فإنما أهل بها لغير ا لله » (٣) .

فتبين بهذا أن ذبائح المتفاخرين والمتبارين من ذبائح الجاهلية لا يجوز أكلها –والله أعلم- .

ويلحق بها ما ذبح بحضرة الأشراف والأكابر حين قدومهم أو حين تجدد نعمة لهم من ولاية أو مولد أو نحو ذلك من أفراحهم .

---

(١) رواه الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٢٤٠)، روى مرفوعاً والصحيح وقفه على ابن عباس رضي الله عنهما انظر : علل الحديث لابن أبي حاتم (٢/ ٢٥٩) .

(٢) النهاية (٣/ ٢٧٢) .

(٣) عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم وقال : أثر غريب ويشهد له بالصحة حديث ابن عباس عند أبي داود المذكور أول الصورة الخامسة . تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٩٣) .

وهذا الذبح لا يراد به الأكل أو إكرام الضيف وإنما يراد به تعظيم السلطان فيذبح في طريقه من النعم ما شاء الله من غير حاجة من دون أن يأكل منها، وهذا ولا شك تعظيم لا يجوز ، فإن الذبح كما مر عبادة من أجل العبادات يذبح تعظيماً لله، ولذكر اسمه –سبحانه وتعالى- عليه فلا يجوز أن يشبه الشريف أو السلطان بالله –سبحانه وتعالى- فيذبح في طريقه وفي حضرته وهذه الذبائح أهلت لغير الله، وإن ذكر اسم الله عليها؛ لأن القصد من ذبحها تعظيم غير الله فلذلك لا يجوز ذبحها ولا أكلها ولا يجوز كذلك للسلطان أو الشريف ومن في حكمهم أن يقر الناس على ذلك، بل الواجب عليه أن يمنعهم من ذلك ولو بالقوة لأن له منع الناس بالقوة بحكم ولايته عليهم، ولا يقاس على هذا ما يذبح للضيف؛ لأن ما يذبح للضيف إنما يذبح طاعة لله في إكرام الضيف ويذكر اسم الله عليه ويؤكل، أما ما ذبح في طريق الأكابر والأشراف فإنما ذبح لأجل التقرب لهم وتعظيمهم ولا يأكلون منه شيئاً وإنما قصد إظهار تعظيمهم .

قال النووي –رحمه الله- : « وذكر إبراهيم المروزي من أصحابنا أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه أفتى علماء بخارة بتحريمه لأنه مما أهل به لغير الله » . اهـ [(١)] .

ويلحق بذلك ما ذبح من أهل الإسراف والغنى لأجل لعبهم .

قال ابن عطية : « رأيت في أخبار الحسن بن أبي الحسن أنه سئل عن امرأة مترفة صنعت للعبها عرساً فذبحت جزوراً فقال الحسن : لا يحل أكلها فإنها إنما ذبحت للصنم ». اهـ [(٢)] .

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٤١) . وقد وقع خلاف في ذلك عند الشافعية . انظر المصدر السابق وروضة الطالبين (٣/ ٢٠٦) .

(٢) تفسير ابن عطية (٢/ ٧٠) .

فهذه صورة عجيبة من الذبح لغير الله أقر العلماء بحرمتها حيث ذبحت هذه المرأة من أجل لعبة من اللعب وهي الدمية التي يلعب بها الأطفال فحرم الحسن أكلها؛ لأنها ذبحت لصنم أي قصد ذبحها من أجل هذه اللعبة .

ويلحق بذلك الذبائح التي تذبح عند الخصومات فيحكم على أحد المتخاصمين أن يذبح عدداً من الذبائح فيجتمع عنده الناس ومنهم خصمه فيأكلون حتى يتم الصلح .

وقد سئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز –رحمه الله– عن ذلك ونص السؤال :

يقول السائل : إذا تخاصم قبيلتان أو شخصان وحكم شيخ القبيلة على المدعى عليه بعقائر من الإبل أو الغنم وتذبح عند من له الحق .

فأجاب رحمه الله :

« الذي يظهر لنا من الشرع المطهر أن هذه العقائر لا تجوز لوجوه :

أولها : إن هذه من سنة الجاهلية وقد قال النبي –ﷺ– : ((**لا عقر في الإسلام**)) [1] .

الثاني : إن هذا العمل يقصد منه تعظيم صاحب الحق والتقرب إليه بالعقيرة وهذا من جنس ما يفعله المشركون من الذبح لغير الله ومن جنس ما يفعله بعض الناس من الذبح عند قدوم العظماء، وقد قال جماعة من العلماء إن هذا يعتبر من الذبح لغير الله وذلك لا يجوز بل هو في الجملة من

(١) تقدم تخريجه قريباً .

الشرك كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [(١)] .

والنسك هو الذبح قرنه الله بالصلاة لعظم شأنه ، فدل ذلك على أن الذبح يجب أن يكون لله وحده، كما أن الصلاة لله وحده وقال الله -تعالى- : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [(٢)] ، وقال النبي -ﷺ- : ((**لعن الله من ذبح لغير الله**)) [(٣)].

الوجه الثالث : إن هذا العمل من حكم الجاهلية وقد قال سبحانه : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [(٤)] .

وفيه مشابهة لأعمال عباد الأموات والأشجار والأحجار كما تقدم .

فالواجب تركه وفيما شرع الله من الأحكام ووجوه الإصلاح ما يغني ويكفي عن هذا الحكم والله ولي التوفيق ». اهـ [(٥)] .

وهذا الذي ذكره السائل قد انتشر عند كثير من الناس اليوم ويسمون ذلك الحقوق فيقولون فلان عليه حق ذبيحة لأنه أغضب فلاناً أو أخطأ عليه، ونحو ذلك وقد رأيت كلام الشيخ -رحمه الله- في تحريمه فينبغي أن يحذر المسلم من هذا وإذا حصلت خصومة يصلح بينهما دون أن يحتاج إلى ذبح لأن الذبح لا يجوز لغير الله -والله أعلم- .

---

(١) الآيتان (١٦٢-١٦٣) من سورة الأنعام .

(٢) الآيتان (١-٢) من سورة الكوثر .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) الآية (٥٠) من سورة المائدة .

(٥) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٤٦) .

المبحث الثالث :

ذبيحة تارك الصلاة

حكم ذبيحة تارك الصلاة مبني على حكم تارك الصلاة عند العلماء . قال ابن قدامة –رحمه الله– : « فإن كان جاحداً لوجوبها نظر فيه ، فإن كان جاهلاً به وهو ممن يجهل ذلك كالحديث في الإسلام والناشئ ببادية عرف وجوبها وعلم ذلك ولم يحكم بكفره لأنه معذور، وإن لم يكن ممن يجهل ذلك كالناشئ بين المسلمين في الأمصار والقرى، لم يعذر ولم يقبل منه ادعاء الجهل وحكم بكفره؛ لأن أدلة الوجوب ظاهرة في الكتاب والسنة والمسلمون يفعلونها على الدوام فلا يخفى وجوبها على من هذا حاله فلا يجحدها إلا تكذيباً لله –تعالى– ولرسوله وإجماع الأمة، وهذا يصير مرتداً عن الإسلام وحكمه حكم سائر المرتدين في الاستتابة والقتل لا أعلم في هذا خلافاً ».اهـ [(١)] .

فإن فرض وجود من يجحد وجوبها في بلاد المسلمين ولكن لعدم تطبيق شرع الله في الحكم في كثير من بلاد المسلمين فلم يحاكم ولم يقتل وبقي حياً فإن ذبيحته حرام والحالة هذه ولا تجوز؛ لأنها ذبيحة مرتد وذبيحة المرتد حرام لا تجوز . قال ابن قدامة –رحمه الله– : « وذبيحة المرتد حرام وإن كانت ردته إلى دين أهل الكتاب وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي فإن ذبح المرتد حيواناً لغيره بغير إذنه ضمنه بقيمته حيا؛ لأنه أتلفه عليه وحرمه وإن ذبحه بإذنه لم يضمنه لأنه أذن في إتلافه ». اهـ[(٢)] .

---

(١) المغني (٣/ ٣٥١) .

(٢) المغني (١٢/ ٢٧٧) باختصار .

ومثل جاحد الصلاة جاحد أركان الإسلام الزكاة والصيام والحج لأنها مباني الإسلام، وأدلة وجوبها لا تكاد تخفى إذ كان الكتاب والسنة مشحونين بأدلتها والإجماع منعقد عليها، فلا يجحدها إلا معاند للإسلام يمتنع من التزام الأحكام غير قابل لكتاب الله ولا سنة رسوله ولا إجماع الأمة .

ومن اعتقد حل شيء أجمع على تحريمه وظهر حكمه بين المسلمين وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه كلحم الخنزير والزنى وأشباه ذلك مما لا خلاف فيه كفر » [١] .

فظهر بهذا أن تارك الصلاة جحوداً حكمه حكم المرتد في الاستتابة والقتل، فإن سلم من القتل بسبب تعطيل الأحكام الشرعية فإن الأحكام الأخرى لا تتعطل ومن ذلك حرمة ذبيحته فإن ذبيحته محرمة لردته.

وأما تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً غير جاحد لوجوبها فللعلماء فيه قولان:

القول الأول : إن تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً غير جاحد لوجوبها كافر حكمه حكم المرتد يستتاب وإلا قتل ردة .

وهذا القول مروي عن الإمام أحمد وسعيد بن جبير وعامر والشعبي وإبراهيم النخعي وأبي عمرو الأوزاعي وأيوب السختياني وعبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وعبدالملك بن حبيب من المالكية وأحد الوجهين في مذهب الشافعي وحكاه الطحاوي عن الشافعي نفسه [٢] .

---

(١) المغني (١٢/ ٢٧٥-٢٧٦) .

(٢) مشكل الآثار (٤/ ٢٢٨) .

وحكاه ابن حزم عن عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وعبدالرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة [١].

قال الإمام محمد بن نصر المروزي –رحمه الله– : « قد ذكرنا في كتابنا هذا ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله –ﷺ– من تعظيم قدر الصلاة وإيجاب الوعد بالثواب لمن قام بها والتغليظ بالوعيد على من ضيعها والفرق بينها وبين سائر الأعمال في الفضل وعظم القدر...ثم ذكرنا الأخبار المروية عن النبي –ﷺ– في إكفار تاركها وإخراجه إياه من الملة وإباحة قتال من امتنع من إقامتها ثم جاءنا عن الصحابة –رضي الله عنهم– مثل ذلك ولم يجئنا عن أحد منهم خلاف ذلك ». اهـ [٢].

القول الثاني : ذهب أصحاب هذا القول إلى أن تارك الصلاة كسلاً غير كافر وإن ذهب بعضهم إلى وجوب قتله حداً ولا كفراً .

وذهب إلى هذا القول الإمام مالك –رحمه الله– والإمام الشافعي في الرواية المشهورة عنه وهي المعتمدة في مذهبه وبه قال ابن بطة ورواية عن الإمام أحمد –رحمه الله– .

وذهب أبو حنيفة –رحمه الله– ومن وافقه إلى عدم كفره وقتله، بل يحبس حتى يصلي وممن ذهب إلى عدم كفره من الفقهاء ابن قدامة –رحمه الله– وحمل نصوص التكفير الواردة في حق تارك الصلاة على سبيل التغليظ والتشبه بالكفار لا على الحقيقة [٣].

---

(١) المحلى (٢/ ٢٤٢) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٥) .

(٣) المغني (٣/ ٣٥٨) .

والراجح -والله أعلم- : قول من قال بكفر تارك الصلاة ووجوب قتله ردة -والعياذ بالله- .

قال ابن القيم -رحمه الله- : « ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها ودعي إلى فعلها على رؤوس الملأ وهو يرى بارقة السيف على رأسه ويشد للقتل وعصبت عيناه وقيل له تصلي وإلا قتلناك فيقول اقتلوني ولا أصلي أبداً ، ومن لا يكفر تارك الصلاة يقول هذا مسلم يغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين »[(١)].

وبعد ذكر هذا الخلاف في حكم تارك الصلاة يتضح لنا أن الراجح -والله أعلم- حرمة ذبيحة تارك الصلاة تهاوناً لكفره وأن على ولي الأمر أن يستتيبه، فإن صلى وإلا قتل ردة كالجاحد لها، فإن ترك تارك الصلاة بدون قتل كما هو الحال في كثير من بلاد العالم الإسلامي اليوم فإن تحريم ذبيحته باق، ولا يجوز للمسلم أن يأكل ذبيحته ،وعلى هذا فعلى المسلم أن يحتاط لمطعمه ويتأكد أن من يذبح له ذبيحته من المصلين، وعلى أصحاب محلات الذبح أن يتقوا الله ولا يوظفوا في هذه الأماكن إلا مسلماً من أهل السنة محافظاً على الصلاة -والله أعلم- .

وإليك نص فتوى هيئة كبائر العلماء في هذه المسألة :

فتوى رقم ١٥٩٨ في ٤/ ٧/ ١٣٩٧هـ .

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على الاستفسار المرسل من أحد السائلين وهو :

---

(١) الصلاة لابن القيم (٦٣)، وانظر في المسألة المغني (٣/ ٣٥١-٣٥٨) ، نيل الأوطار (١/ ٣٧٦) شرح السنة .

السؤال : إذا ذبح الذبيحة فرد تارك للصلاة، هل يجوز للمصلي أن يأكل من تلك الذبيحة ؟

الجواب : الصلاة أكبر الأركان الخمسة بعد الشهادتين، فمن تركها جاحداً لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين، ومن تركها تهاوناً وكسلاً فالصحيح من أقوال العلماء أنه يكفر، والأصل في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي -ﷺ- أنه قال : ((**بين العبد وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**)) وما رواه الإمام أحمد في المسند، وأهل السنن بإسناد صحيح، عن النبي -ﷺ- أنه قال : ((**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**)) .

وعلى هذا فإن كان من سألت عنه تاركاً للصلاة جاحداً لها لم تؤكل ذبيحته إجماعاً، وإن تركها تهاوناً بها أو كسلاً، فعلى القول بكفره وهو الأظهر، لا يجوز الأكل مما تولى ذبحه بيده، لأنه مرتد، والمرتد لا تؤكل ذبيحته، كما صرح بذلك العلماء -رحمهم الله-، والله الموفق .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

عضو عبدالله بن قعود ، عضو : عبدالله بن غديان ، عضو : عبدالرزاق عفيفي ، الرئيس : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز [١] .

(للبحث بقية في العدد القادم إن شاء الله)

(١) مجلة البحوث العلمية والإفتاء عدد (١١) (ص١٥٨) .

فهرس الموضوعات

الفِراسَةُ وعِلاقتُها بالمصْطلحَاتِ

قَديماً وحَديثاً

إعداد :

د. منيرة بنت محمد المطلق

أكاديمية سعودية، أستاذ مشارك، في كلية الآداب في جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢] . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] .[٢]

أما بعد ؛ فإن من اتبع رضوان الله تعالى وفقه الله في جميع أموره ، فهو يمشي بنور من الله تعالى قد كفي خداع الغادر ووسوسة شياطين الإنس والجن وحرست حواسه قال صلى الله عليه وسلم: (**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فإنه يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ**).[٣] وقال صلى الله عليه وسلم:(من عادى لي وليا فقد بارزني

---

(١) أخرجه : مسلم ٢/ ٥٩٣ ،ح/ ٨٦٧،كِتَاب :الْجُمُعَةِ ،بَاب: تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ.

(٢) أخرجه أبو داود:٢/ ٢٣٨،ح/ ٢١١٨ كِتَاب :النِّكَاحِ ،بَاب :فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ وابن ماجه ١:/ ٦٠٩ ح/ ٢١١٨،كِتَاب: النِّكَاح ، بَاب :خُطْبَةِ النِّكَاحِ ،و الترمذي ٣/ ٤١٣ ،ح/ ١١٠٥، كِتَاب :النِّكَاحِ،بَاب: ما جاء في خُطْبَةِ النِّكَاحِ بزيادة(وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِهِ من شُرُورِ أَنْفُسِنَا من يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له) وقال الترمذي:(حَدِيثُ عبد اللَّهِ حَدِيثٌ حَسَنٌ..).

(٣) أخرجه:الترمذي ٥/ ٢٩٨، ح/ ٣١٢٧ ، كتَابَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ،بَاب: وَمِنْ سُورَةِ الْحِجْرِ ،وقال :(هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ)،والطبراني في الأوسط ٨/ ٢٣، وقال:(لم يرو هذا الحديث عن عمرو بن قيس إلا محمد بن كثير ومحمد بن أبي مروان ولا يروى عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد) ، والكبير:٨/ ١٠٢ (عن أبي أُمَامَةَ ،وليس فيها قراءة الآية) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد:١٠/ ٢٦٨ :(رواه الطبراني وإسناده حسن).

بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ،ولا يزال عبـدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ،فإذا أحببته كنت سـمعه الـذي يـسمع بـه وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجلـه التـي يمـشي بهـا،ولـئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنـه ،ومـا تـرددت في شيء أنـا فاعلـه ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته).[١]

وفراسة المؤمن ترد في كتب العقيدة بعد مبحث الكرامة،لكن كثـير مـن المؤلفين الذين ألفوا حول أنواع العلـوم جعلـوا مـن فـروع علـم الفراسـة علومـا مباحــة وأخــرى محرمــة دون تمييــز بينهــا:كعلــم الــشامات والخيلان[٢]،وعلم الأسارير[٣]، وعلم الأكتاف[٤]، وعلم عيافة الأثر[٥]،وعلـم

(١) أخرجه: البخاري ج٥/ ص٢٣٨٤،ح/ ٦١٣٧،كِتَاب الرِّقَاقِ ، بَاب التَّوَاضُعِ .

(٢) الخيلان بكسر الخاء جمع خال وهي النقط التي تكون في الجسد سوداء وهي الشامات) مشارق الأنوار ١/ ٢٤٩،ويقصدون بعلم الشامات والخيلان :الاستدلال على شخصية الإنسان وأفعاله من مواقع الشامات والخيلان على جسده .انظر:كشف الظنون: ١ / ١٤،كتاب الفراسة عند العرب/ يوسف مراد:٤٣..

(٣) علم الأسارير:(يدخل في علم الرمل، ويأخذ حكمه..وهو:علم باحث عن الاستدلال بالخطوط الموجودة في الأكف والأقدام والجباه بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر، وبحسب ما بينها من الفروج المتسعة، أو المتضايقة على أحوال الإنسان من طول الأعمار وقصرها، والسعادة والشقاوة، والغنى والفقر،وما شابه ذلك.ويلحق به _أيضاً_ ما يسمى بقراءة الفنجان)التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام/ المشعبي:١ / ٣٢٦ ،و السحر بين الماضي والحاضر/ محمد بن إبراهيم الحمد:١ / ١٠.

(٤) (علم الكتف علم يزعم أهل الشر والضلال أن من علمه يكون إذا نظر في أكتاف الغنم اطلع على أمور من الغيب) أضواء البيان/ الشنقيطي: ٤/ ٤٩.

(٥) هي: تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في تربة حرة. انظر:أبجد العلوم / القنوجي: ٢/ ٣٨٥.

قيافة البشر[١]،وعلم الاهتداء بالبراري والقفار،وعلم الريافة[٢]،والاستنباط[٣]، وعلم نزول الغيث ، وعلم العرافة [٤]،وعلم الاختلاج[٥][٦]وقراءة الكف[٧]وأكثر هذه العلوم لها علاقة بالكهانة وعلم التنجيم.يقول الشيخ ابن باز رحمه الله:(إن علم النجوم، والخط على الرمل، وما يسمى بالطالع، وقراءة الكف، وقراءة الفنجان ومعرفة الخط، وما أشبه ذلك كلها من علوم الجاهلية، ومن الشرك الذي حرمه الله ورسوله، ومن أعمالهم التي جاء الإسلام بإبطالها،والتحذير من فعلها، أو إتيان من يتعاطاها وسؤاله عن شيء منها، أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك، لأنه من

---

(١) (القائف هو من يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه) عمدة القاري:١٦/ ١١٠،ولسان العرب:٩/ ٢٩٣،وانظر: الفائق ٣/ ٤٥.

(٢)هو معرفة:(استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة).كشف الظنون:١/ ٩٣٩،و أبجد العلوم ٢/ ٣٠٩.

(٣) (الاستنباط الاستخراج).مختار الصحاح:١/ ٢٦٨،(واسْتَنْبَطَ منه عِلْماً ومالاً وخَبَرا اسْتَخْرَجَه)المحكم والمحيط الأعظم ٩/ ١٩٤.

(٤) (العرافة صاحبها عراف وهو:الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها ، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض الزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ٢٢٣.

(٥)(الاختلاج هو:حركة العين أو عضو آخر بسبب ريح خالط أجزاءها).الكليات/ الكفومي: ١/ ٦٤،وعلم الاختلاج يقصدون به: الاطلاع على بعض الأمور المغيبة بسبب هذه الاختلاجات والحركات فهو من التنجيم.

(٦)انظر:الفراسة/ الرازي:٢٩-٣٠،وأبجد العلوم/ القنوجي:١/ ٦٥،وكشف الظنون:١/ ١٤، كتاب الفراسة عند العرب/ يوسف مراد:٤٣.،الهيئة العصرية ،مصر،١٩٧٢م.

(٧) انظر:الفراسة/ فخر الدين الرازي:٢٩.

علم الغيب الذي استأثر الله به)[١].(فهذه الأضرب كلها تسمى كهانة وقد أكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم والله أعلم)[٢].

أسباب اختيار الموضوع:اخترت دراسة علاقة الفراسة ببعض المصطلحات القديمة والحديثة ،لأن بعض الناس في القديم والحديث قد فهم خطأ معنى الفراسة وخلطها بالكهانة سواء ما يدعى بالكشف أو الحاسة السادسة أو مايسمى(التلباثي)أوغيرها من مسميات الكهانة.فأردت بيان الحق في ذلك مستعينة بالله.

الدراسات السابقة:ألف في الفراسة كثير من العلماء على اختلاف تخصصاتهم ،ومن هؤلاء الأطباء وغيرهم كالشافعي رحمه الله[٣]،ومن هذه المؤلفات قديما وحديثا مرتبة على حسب حروف الهجاء:إتحاف أهل الكياسة في علم الفراسة لمحمد بن أحمد،المعروف بالقاسمي،ت:١٠٥٤ هـ[٤]،وأرجوزة في علم الفراسة - ط)لمحمود بن محمد الحسينى الحمزاوى،ت:١٣٠٥هـ[٥] ،والدراسة في علم الفراسة و لم أتعرف على كاتبه فلا يوجد على الكتاب شيء سوى اسمه لكنه كتاب حديث بدلالة وصفه لنابليون وهو مطبوع، ويدور كله على الفراسة الخلقية والحركية،وذكاء إياس ذكاء خارق و فراسة عجيبة لمحمد يوسف، دار ابن حزم،وسلم

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، عدد (٢٠)، ٧-١١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ٢٢٣.

(٣) انظر:مدارج السالكين - (٢ / ٤٨٥).

(٤) الأعلام للزركلي - (٦ / ١٠)

(٥) الأعلام للزركلي - (٧ / ١٨٥).

الحراسة في علم الفراسة لعلي بن محمد الدريهم،ت: ٧٦٢ هـ[١]،والسياسة في علم الفراسة لشمس الدين الأنصاري، المكتبة الأزهرية للتراث، ت: ٧٢٧ هـ[٢]،وعزائم السياسة في علم الفراسة – ط لعبد القادر بن عبد القادر الأدهمي،ت: ١٣٢٥ هـ[٣]،وعلم الفراسة الحديث لجرجي زيدان،ت:١٣٣٢ هـ[٤]،علم الفراسة لإحسان حقي، دار النفائس،وفراسة المؤمن لإبراهيم الحازمي، دار الشريف ، والفراسة طريقك إلى النجاح لعز الدين نجيب،مكتبة ابن سينا،والفراسة عند العرب ليوسف مراد ،رسالة دكتوراه في جامعة السربون ،مكتبة الكتاب ١٩٧٢م،والفراسة لفخر الدين الرازي، عالم الكتب،والقاضي إياس بن معاوية والقضاء بالفراسة(رسالة دكتوراه) لمحمد بن سنان، المعهد العالي للقضاء بالرياض،والقضاء بالقيافة(بحث تكميلي)لفؤاد الماجد المعهد العالي للقضاء بالرياض.
ويلاحظ أن التأليف في أغلب الكتب كان عن الفراسة الخَلقية[٥]والتي هي نوع من أنواع القيافة بأنواعها المختلفة، أوبالفراسة الإيمانية، لكنها كانت مبعثرة في بطون الكتب ولم توجد في مؤلف مستقل ،لذا حاولت في هذا

---

(١) الأعلام للزركلي – (٥ / ٦)
(٢) الأعلام للزركلي – (٦ / ١٧٠).
(٣) الأعلام للزركلي : (٤ / ٣٩).
(٤) الأعلام للزركلي :(٢ / ١١٧).
(٥) مدارج السالكين/ ابن القيم:(٢ / ٤٨٧) ،و شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز:٥٦٣ – ٥٦٤،و تحفة الأحوذي:٨/ ٤٤١،وإتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل / صالح آل الشيخ :٤٧/ ٦،و شرح عدة متون في العقيدة/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ:١٣/ ٢٥١،و(٦ / ١٩٧)..

البحث بيان جميع أنواع الفراسة ،وكذلك علاقتها ببعض المصطلحات مستعينة بالله.

منهجي في البحث:اتبعت المنهج التحليلي والاستنباطي.

خطة البحث: تتكون خطة البحث من : مقدمة،وأربعة عشر مبحثا،وخاتمة ، وفهارس.

المباحث :

المبحث الأول :الفراسة وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول:تعريف الفراسة مع الاستدلال.

المطلب الثاني:أنواع الفراسة.

المطلب الثالث:الفرق بين الفراسة الإيمانية والأنواع الأخرى.

المطلب الرابع:درجات الفراسة

المطلب الخامس: أسباب الفراسة.

المطلب السادس:حكم العمل بالفراسة.

المطلب السابع :أمثلة على الفراسة

المبحث الثاني:علاقة الفراسة بالتوسم وفيه مطلبان:

المطلب الأول تعريف التوسم والاستدلال عليه.

المطلب:الثاني: علاقة الفراسة بالتوسم.

المبحث الثالث :علاقة الفراسة بالكرامة وفيه مطلبان:

المطلب الأول :تعريف الكرامة .

المطلب الثاني:علاقة الفراسة بالكرامة.

المبحث:الرابع:علاقة الفراسة بالقيافة وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول:تعريف القيافة .

المطلب الثاني:أنواع القيافة.

المطلب الثالث:الأدلة على القيافة.

المطلب الرابع:علاقة البصمة الوراثية بالقيافة.

المطلب الخامس:علاقة القيافة بالكهانة.

المطلب السادس:علاقة الفراسة بالقيافة.

المطلب السابع:أدوات المتفرس(القائف).

المطلب الثامن:أسباب (القيافة).

المبحث الخامس علاقة الفراسة بالريافة وفيه مطلبان:

المطلب الأول:تعريف الريافة.

المطلب الثاني:علاقة الفراسة بالريافة.

المبحث السادس: علاقة الفراسة بالبصيرة وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول:تعريف البصيرة .

المطلب الثاني:أصحاب البصيرة.

المطلب الثالث:مكان البصيرة.

المطلب الرابع:علاقة الفراسة بالبصيرة.

المبحث السابع: علاقة الفراسة بالنور وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النور والاستدلال عليه.

المطلب الثاني:أنواع النور.

المطلب الثالث:أهل النور.

المطلب الرابع:أسباب النور.

المطلب الخامس:علاقة الفراسة بالنور.
المبحث الثامن: علاقة الفراسة بالظن وفيه مطلبان:
المطلب الأول:تعريف الظن .
المطلب الثاني:علاقة الفراسة بالظن.
المبحث التاسع:علاقة الفراسة بسرعة البديهة وحسن التصرف وفيه مطلبان:
المطلب الأول:تعريف:البديهة.
المطلب الثاني: علاقة الفراسة بسرعة البديهة.
المبحث العاشر: علاقة الفراسة بالإلهام وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول:تعريف الإلهام.
المطلب الثاني:الأدلة على الإلهام.
المطلب الثالث:علاقة الفراسة بالإلهام.
المبحث الحادي: عشر: علاقة الفراسة بالعيافة وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: تعريف العيافة والكهانة.
المطلب الثاني:علاقة الفراسة بالعيافة.
المطلب الثالث:أنواع الكهانة.
المطلب الرابع:علاقة الفراسة بالكهانة.
المبحث الثاني عشر :علاقة الفراسة بالكشف وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول التعريف بالكشف.

المطلب الثاني:الكشف عند الصوفية.

المطلب الثالث:علاقة الفراسة بالكشف.

المبحث الثالث عشر : علاقة الفراسة بعلم (البراسيكولوجي) أو(بالتلباثي) (telepathy) أو ما يسمى علم ما وراء الطبيعة أو الاتصال عن بعد أو التأثير على نفوس الآخرين)وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف التلباثي.

المطلب الثاني:حكم هذه المصطلحات في الشريعة الإسلامية.

المطلب الثالث: أسباب ظهور هذه المصطلحات.

المطلب الرابع:علاقة هذه المصطلحات بالفراسة.

المبحث الرابع عشر: علاقة الفراسة بعلم الأكتاف وفيه مطلبان:

المطلب الأول:تعريف علم الأكتاف .

المطلب الثاني:علاقة علم الكتف بالفراسة.

المبحث الأول:
الفراسة

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول:تعريف الفراسة مع الاستدلال وفيه :

أولا:معنى الفراسة في اللغة: فرس الأسد فريسته أي:دق عنقها وافترسها،والفرسان الفوارس و الفراسة بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيرا وهو يتفرس أي:يتثبت وينظر،و الفراسة بالفتح و الفروسية كلها مصدر قولك رجل فارس على الخيل وقد فرس أي:حذق أمر الخيل.[1](والفراسة في الخيل وهو الثبات عليها والحذق بأمرها ورجل فارس بالأمر أي:عالم به بصير و الفراسة بكسر الفاء ؛ النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به يقال إنه لفارس بهذا الأمر إذا كان عالما به).[2] و(تفرست فيه الخير:تعرفته بالظن الصائب)[3].

ثانيا:معنى الفراسة في الاصطلاح:هو:(خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة....)[4].ويقول ابن الأثير مبينًا أن للفراسة معنيين **الأول**(هو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه

---

(١) مختار الصحاح ١/ ٢٠٨،وانظر:المحكم والمحيط:٨/ ٤٨١ ،والمعجم الوسيط:٢/ ٦٨١،وتاج العروس ١٠/ ٢٠٩ ،و١٦/ ٣٢١ -٣٣١ ،وتهذيب اللغة:١٢/ ٢٨١،وتهذيب الأسماء: ١/ ٧٨.

(٢) لسان العرب ٦/ ١٦٠.

(٣) المصباح المنير:٢/ ٤٦٧.

(٤) مدارج السالكين:٢ / ٤٨٤،وانظر:معجم مقاليد العلوم ١/ ٢٢١، و فتاوى الشيخ عبدالله بن عقيل:١ / ٤٨.

فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس، **والثاني**: نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس ، وللناس فيه تصانيف قديمة وحديثة). [١]فهي إذاً: النظر والتثبت والتأمل للأشياء والأشخاص والتبصر بها ،بحيث يصدق ظنه بها ومعرفة أحوالها ،وقد تكون كرامة وإلهاما من الله.ويقول الشيخ صالح آل الشيخ[٢]: (عُرِّفت الفِرَاسَةْ أيضاً بأنها نور يقذفه الله في قلب بعض عباده، بها يعلم مُخَبَّئَاتْ ما في صدور بعض الناس....المقصود من ذلك أَنَّ الفراسة – وهي النوع الأول الفراسة الإيمانية-، ..(هي) أقرب ما تكون إلى الإلهام، والإلهام قد يكون خارقاً للعادة وقد لا يكون).[٣]

ثالثا: الأدلة على الفراسة:وردت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة على الفراسة منها : **من القرآن: قوله تعالى** ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر: ٧٤-٧٥].ووجه الدلالة من هذه الآية: ما ذكره ابن كثير وهو: أن آثار هذه النقم الظاهرة على تلك البلاد علامات على نبوة لوط عليه السلام . لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته وتفرس بها،وقد قال ابن عباس رضي الله

---

(١) النهاية في غريب الأثر:٣/ ٤٢٨ ،وانظر:تاج العروس: ١٦/ ٣٢٨ -٣٢٩ .

(٢) وزير الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية/ صالح آل الشيخ:١ / ٦٨٣،و إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ :٤٧.

عنهما وغيره من المفسرين :إن المتوسمين هم المتفرسون. [١] وكذلك جعل بعض علماء اللغة الفراسة والتوسم بمعنى واحد يقول الزبيدي:(والفِرَاسَةُ بالكَسْرِ اسمٌ مِن التَّفَرُّسِ وهو التَّوَسُّم يُقال:تَفَرَّسَ فيه الشيْءَ إذا تَوَسَّمَه).[٢]**وقوله تعالى:** ﴿ **لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢٧٣** ﴾ [البقرة: ٢٧٣] . وجه الدلالة : أن السيما وهي صفات هؤلاء الفقراء و علاماتهم الدالة على حاجتهم لا تظهر إلا لذوي الألباب المتفرسين دون غيرهم من الناس.[٣] وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ٣٠** ﴾ [محمد : ٣٠] .ووجه الدلالة :أن السيما :هي الصفة والعلامة و الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدرك جميع المنافقين على أعيانهم سترا من الله على خلقه،وإنما كان تذكر له صفاتهم فيتوسمها صلى الله عليه وسلم في بعضهم؛أي يتثبت ويعرف بعض المنافقين من خلال الصفات ، والتوسم

---

(١) انظر: سنن الترمذي:٥/ ٢٩٨،و تفسير الطبري:١٤/ ٤٥،و تفسير البغوي:٣/ ٥٥،و تفسير القرطبي١٠/ ٤٢ ، وتفسير ابن كثير:٢/ ٥٥٦، وأضواء البيان:٢/ ٢٨٦، وتفسير النسفي ٢/ ٢٤٦،وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية ١٧/ ١١٨،و الروح/ ابن القيم: ١/ ٢٣٨.

(٢) تاج العروس:١٦/ ٣٢٨.

(٣) انظر:تفسير ابن كثير ١/ ٣٢٦.

هي :الفراسة التي هي:المعرفة والتثبت.[١] والعلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها .[٢]

والأدلة على الفراسة من السنة :قوله -ﷺ-:(**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فإنه يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ ثُمَّ قَرَأَ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾**[٣]وقوله - صلى الله عليه وسلم- : (إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم)[٤].

المطلب الثاني:أنواع الفراسة:الفراسة أنواع متعددة، وتختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال، وقوة القلب، وصفائه، وقوة الإيمان، وضعفه، ومنها ما يتعلق بالمتفرس خاصة، ومنها فراسة الحكام والولاة لاستخراج الحقوق لأربابها، وقمع الظلمة[٥]. وقد جعل ابن الأثير الفراسة على نوعين؛ إيمانية وخَلقية(القيافة) ، فقال عند إيراده لحديث:(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[٦] يقال بمعنيين **أحدهما**: ما دل ظاهر هذا الحديث عليه وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس ، **والثاني**: نوع يتعلم بالدلائل

---

(١) تفسير الطبري :٢٦/ ٦٠،وتفسير ابن كثير:١/ ٥٠و ٤/ ١٨١.

(٢) انظر:مختار الصحاح : ٣٠٠،وأضواء البيان ٢/ ٢٨٦.

(٣) سبق تخريجه .

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط:٣/ ٢٠٧ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٦٨:(رواه البزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن)،وقال الألباني في السلسلة الصحيحة :١٦٩٣:إسناده صحيح).

(٥) انظر:فتاوى الشيخ عبدالله بن عقيل - (١ / ٤٨).

(٦) سبق تخريجه .

والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس وللناس فيه تصانيف قديمة وحديثة). [١]وكذلك جعل الإمام ابن القيم[٢] الفراسة نوعين : (فراسة علوية شريفة مختصة بأهل الإيمان ، وفراسة سفلية دنيئة مشتركة بين المؤمن والكافر؛ وهي فراسة أهل الرياضة والجوع والسهر والخلوة وتجريد البواطن من أنواع الشواغل).[٣] لكن أكثر العلماء ومنهم الإمام ابن القيم قد قسموا الفِرَاسَة إلى ثلاثة أنواع وهذا هو الأشهر [٤] وهي:

أولاً:الفراسة الإيمانية وفيها:

١-**تعريفها**: يقول ابن القيم : (والفراسة ثلاثة أنواع : إيمانية وهي المتكلم فيها...وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل والحالي والعاطل والصادق والكاذب..وحقيقتها : أنها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده يثب على القلب كوثوب الأسد على

---

(١) النهاية في غريب الأثر:٣/ ٤٢٨ ،و انظر:تاج العروس/ الزبيدي:١٦/ ٣٢٨ -٣٢٩ .

(٢) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي،، تلميذ الشيخ الإسلام ابن تيمية له العديد من الكتب منها الصواعق المرسلة، زاد المعاد، والكافية الشافية، ت: ٧٥١هـ انظر السحب الوابلة / ابن حميد: ٦/ ٥٦.

(٣) مدارج السالكين:١/ ١٣٠.

(٤) انظر:مدارج السالكين :٢ / ٤٨٣،وشرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ص٥٦٣ -٥٦٤،و شرح العقيدة الواسطية / صالح آل الشيخ :٢ / ٢٥١،و إتحاف السائل / صالح آل الشيخ : ٤٧ / ٦،و شرح عدة متون في العقيدة / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ :٦ / ١٩٥.

الفريسة). [١] (فتكشف أمرا بغير الطريق العادي)[٢].وقال أبو جعفر الحداد[٣]: (الفراسة أول خاطر بلا معارض ، فإن عارضه معارض آخر من جنسه فهو خاطر وحديث نفس).[٤] ويقول المباركفوري[٥]:(هو ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات وإصابة الحدس والنظر والظن والتثبت). [٦]

وقد سبق إيراد تعريف الشيخ صالح آل الشيخ: وهو:(عُرِّفت الفِرَاسَةُ أيضاً بأنها نور يقذفه الله في قلب بعض عباده، بها يعلم مُخَبَّئَاتُ ما في صدور بعض الناس....المقصود من ذلك أَنَّ الفراسة _وهي النوع الأول الفراسة الإيمانية-، ..(وهي) أقرب ما تكون إلى الإلهام، والإلهام قد يكون خارقاً

(١) مدارج السالكين:٢ /٤٨٣- ٤٨٤،وانظر:شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٥٦٣ - ٥٦٤،وتحفة الأحوذي:٨/ ٤٤١ ،والتفسير القيم ٢ / ٩،و شرح عدة متون في العقيدة / صالح آل الشيخ :١٣ / ٢٥١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي :١ / ٣٨٦.

(٣) أحمد بن سهل بن محسن الأنصاري الطليطلي المقرئ،ت:٣٨٩هـ. انظر:تاريخ الإسلام ١٧٩/٢٧.

(٤) مدارج السالكين:٢ / ٤٨٤ -٤٨٦،وانظر:شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٥٦٣ - ٥٦٤،وتحفة الأحوذي ٨/ ٤٤١ ،والتفسير القيم ٢/ ٩،و شرح عدة متون في العقيدة/ صالح آل الشيخ١٣ / ٢٥١.

(٥) هو الحافظ أبو المعلم محمد عبد الرحمن المباركفوري، نسبة إلى مباركفور قرية كبيرة في الهند ولد عام ١٢٨٣، ت: ١٣٥٣هـ. انظر: مقدمة كتاب تحفة الأحوذي: ط/ ٢.

(٦) انظر: تحفة الأحوذي :٨/ ٤٤١

للعادة وقد لا يكون).[١] وأطلق بعض العلماء على الفراسة الإيمانية مسمى:(فراسة علمية: وهذه الفراسة العلمية تسمّى فراسة؛ لأنّ العلم الصحيح يأتي لصاحبه كوُفود صاحب الفرس عليه، ودنو صاحب الفرس منه وتمكنه من ذلك. أيضا هذا يأتيه من العلم ،والإلهام ما يعلم به الحق، وهذا النوع من الفراسة هو الذي يكون كرامة من الكرامات).[٢]

٢-أسبابها: هذه الفراسة تكون للمؤمن الذي قرب من الله تعالى ، فإن القلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه ، وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قربه منه، وأضاء له النور بقدر قربه ذاك قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٥] ...وهذا النور يكون لمن اتقى الله ، وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد:٢٨]. وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ .. ﴾[الشورى : ٥٢]....عن النبي-صلى الله عليه

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / صالح آل الشيخ :١ / ٦٨٣،و إتحاف السائل / صالح آل الشيخ :٤٧.

(٢) كتب صالح آل الشيخ : ٢٦ / ١٩٨. المكتبة الشاملة.

وسلم-أنه قال :**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)**[١]. فهذا النور هو الفراسة ، وفي الحديث القدسي فيما رواه النبي عن ربه عز وجل أنه قال:(**ما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي)**[٢] فأخبر سبحانه أن تقرب عبده منه يفيد محبته له ، فلا تكاد تخطىء له فراسة ، فإن العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه، فإذا سمع بالله سمعه على ما هو عليه ،وليس هذا من علم الغيب، بل علام الغيوب قذف الحق في قلب قريب مستبشر بنوره، وإذا غلب على القلب النور فاض على الأركان وبادر من القلب إلى العين ، فكشف بعين بصره بحسب ذلك النور ، فيُبصر الحق ويبصر الباطل ،وهذا النور هو الفِراسة. ويجعل الله تعالى للمرء فرقانا، في الأمور العملية، وقد يكون في الأمور القُدرية يعني الراجعة إلى القدرة، وهذه هي أنحاء الكرامات. والفراسة الإيمانية من الكرامات التي يهبها الله للمتقي ويتفضل بها عليه. وهي خاصة بالمؤمن، وهي محمودة [٣] ، ويقول ابن القيم:(سببها : نور يقذفه الله في قلب

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: الجواب الصحيح : ٣/ ١٤٥-١٤٦،و درء التعارض:٢/ ١٢٤،وشفاء العليل:١/ ٨٦ ، والروح/ابن القيم: ٢٣٨- ٢٤٠ ، وشرح العقيدة الطحاوية ١/ ٥٦٢، و تحفة الأحوذي: ٨/ ٤٤١-٤٤٢ ، وكتب صالح آل الشيخ: ٢٦ / ١٩٦ ،و شرح العقيدة الطحاوية/ الراجحي: ١/ ٣٨٦،المكتبة الشاملة.

عبده يفرق به بين الحق والباطل ... والصادق والكاذب) [١] وهذه الفراسة تزيد وتنقص بحسب زيادة التقوى والإيمان ونقصانهما. فمن كان أقوى إيمانا فهو أحدّ فراسة وكان شاه الكرماني[٢] حادّ الفراسة لا يخطيء ويقول : من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره بإتباع السنة وتعود أكل الحلال:لم تخطيء فراسته). لأن أصل هذا النوع من الفراسة : من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده فيحيا القلب بذلك ويستنير فلا تكاد فراسته تخطئ قال الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام : ١٢٢].كان ميتا بالكفر والجهل فأحياه الله بالإيمان والعلم ،وجعل له بالقرآن والإيمان نورًا يستضيء به في الناس على قصد السبيل ويمشي به في الظلم. [٣]

---

(١) مدارج السالكين:٢ /٤٨٣- ٤٨٤،وانظر:شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٥٦٣ - ٥٦٤،وتحفة الأحوذي ٨/ ٤٤١ ،والتفسير القيم لابن القيم :٢ / ٩،و شرح عدة متون في العقيدة/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ :١٣/ ١ ٢٥و إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل/ الشيخ صالح آل الشيخ:٤٧ / ٦.

(٢) وهو شاه بن شجاع أبو الفوارس كان من أولاد الملوك وله رسالات مشهورة ومات قبل الثلاثمائة.انظر: طبقات الصوفية :١/ ١٥٦.

(٣) انظر:مدارج السالكين :٢ / ٤٨٦،وانظر:شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٥٦٣ - ٥٦٤،وتحفة الأحوذي :٨/ ٤٤١ ،والتفسير القيم:٢ / ٩،و شرح عدة متون في العقيدة / صالح آل الشيخ:١٣ / ٢٥١.

٣-أهل الفراسة الإيمانية :أهلها وأصحابها هم المؤمنون يرزقهم الله تعالى البصيرة والفراسة بالناس،والدليل قوله- ﷺ -:(اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فإنه يَنْظُرُ بِنُورِ اللهَّ ،ثُمَّ قَرَأَ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[(١)].و قوله - صلى الله عليه وسلم- : (**إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم)**[(٢)].[(٣)]

ثانيا :الفراسة الرياضية وفيها:

١-**تعريفها وبيان أسبابها**:هي: فراسة الرياضة والجوع والسهر والتخلي، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، فسببها هو المشقة من رياضة وجوع وسهر لتتخلص النفس من الفضول .[(٤)]

٢-**أهلها**:(هذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ولا تدل على إيمان ولا على ولاية وكثير من الجهال يغتر بها ،وللرهبان فيها وقائع معلومة وهي فراسة لا تكشف عن حق نافع ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها جزئي من جنس فراسة الولاة وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم،وللأطباء فراسة معروفة من حذقهم في صناعتهم ،ومن أحب الوقوف عليها فليطالع تاريخهم وأخبارهم وقريب من نصف الطب:فراسة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢)سبق تخريجه.

(٣) انظر:تحفة الأحوذي/ المباركفوري ٨/ ٤٤١.

(٤) انظر:مدارج السالكين :٢ / ٤٨٦-٤٨٧ ،و شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٥٦٣ - ٥٦٤،وشرح العقيدة الواسطية - صالح آل الشيخ :٢ / ٢٥١.

صادقة يقترن بها تجربة)[١] وهذا النوع من الفراسة(كثير الأوهام،وأكثر ما تكون عند الفلاسفة والصوفية)[٢].

ثالثا الفراسة الخَلْقية [٣]وفيه:

١-**تعريفها**: هي الاستدلال(بالخَلْق على الخُلُق لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل وبكبره وبسعة الصدر وبعد ما بين جانبيه : على سعة خلق صاحبه ..) [٤].وتسمى القيافة وهي نوعان: قيافة البشر وهي هذا النوع ،وقيافة الأثر ، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله في مبحث القيافة.[٥] وقد قسمها فخر الدين الرازي إلى نوعين ؛ قيافة أثر وقيافة بشر. [٦] وبعضهم قسم فراسة البشر إلى أنواع مثل:فراسة الحركة كالمشي وغيره ،وفراسة القامة والهيئة وفراسةالصوت .[٧]

---

(١) مدارج السالكين:٢ / ٤٨٦-٤٨٧ ،و شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٥٦٣ -٥٦٤.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية/ عبدالعزيز الراجحي: ١ / ٣٨٦،إتحاف السائل / صالح آل الشيخ :٦/٤٧ ،و شرح عدة متون في العقيدة – صالح آل الشيخ :١٣ / ٢٥١.

(٣) انظر:مدارج السالكين ٢ / ٤٨٧،و شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٥٦٣ -٥٦٤،وشرح العقيدة الواسطية / صالح آل الشيخ: ٢ / ٢٥١.

(٤) مدارج السالكين : ٢ / ٤٨٧،و شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز:٥٦٣ -٥٦٤،و شرح عدة متون في العقيدة / صالح آل الشيخ :١٣ / ٢٥١.

(٥) انظر المبحث الرابع: القيافة .

(٦) انظر:الفراسة/ للفخر الرازي:٣١ .

(٧) انظر:كتاب الدراسة في علم الفراسة:٣١-٦٣.وهذا الكتاب مطبوع لكن لا يوجد عليه علامات فلم يكتب اسم المؤلف ولا الناشر ولا سنة النشر.

٢-أصل هذه الفراسة :هو ربط المزاج بالخلقة والصورة ، فاعتدال الخِلْقة والصورة : هو من اعتدال المزاج والروح وعن اعتدالها يكون اعتدال الأخلاق والأفعال أو العكس، لكن صاحب الصورة و الخِلْقة المعتدلة يكتسب بالمقارنة أخلاق من يقارنه فيصير من أخبث الناس،وكذلك صاحب الخلقة المنحرفة عن الاعتدال يكتسب بصحبة الكاملين أخلاقا وأفعالا شريفة تصير له كالطبيعة. [1]

المطلب الثالث:الفرق بين الفراسة الإيمانية والأنواع الأخرى:

يقول ابن القيم مبينا الفرق بين الفراسة الإيمانية والخلقية:(الفراسة:استئناس حكم غيب...فإن أدركت بهذا الاستئناس حكم غيب :كان فراسة وإن كان بالعين : كان رؤية وإن كان بغيرها من المدارك : فبحسبها.... هذا الاستدلال بالشاهد على الغائب أمر مشترك بين البر والفاجر والمؤمن والكافر).[2] كالاستدلال بالبرق والرعود على الأمطار وكاستدلال رؤساء البحر بالكدر الذي يبدو لهم في جانب الأفق على ريح عاصف، وكاستدلال الطبيب بالسحنة على حال المريض وهو نوع فراسة لكنها غير الفراسة الإيمانية ،وكذلك ما علم بالتجربة من مسائل الصناعات والفلاحة وغيرها).[3].فابن القيم يميز بين الفراسة الإيمانية والرياضية فهي عنده:(فراسة علوية شريفة مختصة بأهل الإيمان،

---

(١) انظر:مدارج السالكين :٢ / ٤٨٧ ،و شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٥٦٣ -٥٦٤،و شرح عدة متون في العقيدة – صالح بن عبد العزيز آل الشيخ :١٣ / ٢٥١.

(٢) مدارج السالكين :٢ / ٤٨٨.

(٣) انظر: مدارج السالكين :٢ / ٤٨٨– ٤٩١.

وفراسة سفلية دنيئة مشتركة بين المؤمن والكافر وهي فراسة أهل الرياضة والجوع والسهر والخلوة وتجريد البواطن من أنواع الشواغل، فهؤلاء لهم فراسة كشف الصور والإخبار ببعض المغيبات السفلية التي لا يتضمن كشفها والإخبار بها كمالا للنفس ولا زكاة ولا إيمانا ولا معرفة ،وهؤلاء لا تتعدى فراستهم هذه السفليات لأنهم محجوبون عن الحق تعالى فلا تصعد فراستهم إلى التمييز بين أوليائه وأعدائه وطريق هؤلاء وهؤلاء،وأما فراسة الصادقين العارفين بالله وأمره فإن همتهم لما تعلقت بمحبة الله ومعرفته وعبوديته ودعوة الخلق إليه على بصيرة كانت فراستهم متصلة بالله متعلقة بنور الوحي مع نور الإيمان ، فميزت بين ما يحبه الله وما يبغضه من الأعيان والأقوال والأعمال ،وميزت بين الخبيث والطيب والمحق والمبطل والصادق والكاذب... فهذا أشرف أنواع البصيرة والفراسة وأنفعها للعبد في معاشه ومعاده). [(١)]لأنها فراسة من ينظر بنور الله، و ليست من جهة الفراسة الرياضية التي تُتَعلم بالرياضة أوبالتعود وبالخبرة ،وليست خلقية طبيعية، ولكن هكذا يُقْذَفْ في رُوعه أن هذا الأمر يكون كذا وكذا ، وهذه من جنس الكرامات بل هي كرامة. [(٢)] فهي خرق من الله وليست خرقا من الشياطين.

المطلب الرابع:درجات الفراسة :

قسّم الإمام ابن القيم الفراسة إلى ثلاث درجات هي:

الأولى: فراسة طارئة نادرة وهي التي تقع على لسان شخص مرة واحدة في العمر مثلا ، وهي فراسة الذين لم يأنسوا بذكر الله وقربه ، فهي كرمية

---

(١) مدارج السالكين ١/ ١٣٠ -١٣١.

(٢) انظر:شرح العقيدة الواسطية / صالح آل الشيخ :٢ / ٢٥٢.

من غير رام،وهذا شيء لا يخلص من الكهانة وما شابهها مـن جـنس الخـط بالرمل وضرب الحصا والودع وزجـر الطـير والاستقـسام بـالأزلام وغـير ذلك مما تتعلق به النفوس الجاهلية المشركة ،وصاحبها دائـما في شـك لـيس على بصيرة من أمره. **الثانية**: فراسة تجنى من غرس إيماني وهي تبـع لـصدق الحال،فكلما كان الحال أصدق كانت هذه الفراسة أقوى ،وهي عنده تخـتص بأهل الإيمان وهم فيها متفاوتون .**الثالثة** : فراسة سرية: تهجم عـلى القلـب هجوما لا يعرف سببه فصاحب الولاية يخبر بهذه الفراسة العالية عن أمـور مغيبة تارة بالتصريح وتارة بـالتلويح.(١) ويقـول الـشيخ إبـراهيم البريكـان معلقا على ذلك:(وهي أعلى الأنواع عند صـاحب منـازل الـسائرين مـع أن هذه الدعوى غير مقبولة،لأن المخبر عن الغيب قد يكون سـاحرا أو كاهنـا أو عرافا أو منجما وكل هؤلاء أحوالهم من الشرع مذمومة . قـال ﷺ : (**مـن أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد –ﷺ –**)(٢).(٣)

المطلب الخامس:أسباب الفراسة:هناك أسباب عديـدة للفراسـة والتـي تختلف باختلاف الأشخاص،والأحوال.(٤)وهي:

---

(١) انظر:مدارج السالكين: ٢ / ٤٩٣– ٤٩٥،والتصوف في ميزان النقل والعقل / إبراهيم بن محمد البريكان المنشور في مجلة البحوث الإسلامية العدد:٤١ / ١٩٠ ..

(٢) أخرجه أبو داود :٣٩٠٤،ح/ ٣٩٠٤ كتاب، الطِّبِّ،بَاب كَيْفَ الرُّقَى،والترمذي : ،ح/ ١٣٥بَاب ما جاء في كَرَاهِيَةِ إِتْيَانِ الْحَائِضِ ،كِتَاب أبواب الطَّهَارَةِ ، و ابن ماجه ،ح/ ٦٣٩كِتَاب الطَّهَارَةِ وَسُنَنِهَا ،بَاب النَّهْيِ عن إِتْيَانِ الْحَائِضِ، أحمد ٢/ ٤٧٦،و الدارمي: ١١٣٦.

(٣) انظر:التصوف في ميزان النقل والعقل/ البريكان المنشور في مجلة البحوث الإسلامية العدد:٤١ / ١٩٠ .

(٤) انظر:فتاوى الشيخ عبدالله بن عقيل :١ / ٤٨.

أولاً:نوريقذفه الله في قلب عبده المؤمن ،وهذا يختص بالفراسة الإيمانية قال صلى الله عليه وسلم:(اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظربنورالله)(١)فهي تكون بسبب قوة الإيمان فمن كان أقوى إيمانا فهوأحدُّ فراسة(٢).

فمن حفظ الرأس والبطن والفرج عن المعاصي كان من أهل الفراسة الصادقة، فقد ذَكَرَ الله تعالى آيَةَ النُّورِ بَعْدَ آية غَضِّ الْبَصَرِ وَحِفْظِ الْفَرْجِ وَالأَمْر بِالتَّوْبَةِ،فمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ مُحَرَّمٍ أَوْرَثَهُ اللهُّ بِذَلِكَ حِكْمَةً عَلَى لِسَانِهِ يَهْتَدِي بِهَا وَيَهْدِي بِهَا. وَهَذَا لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ؛ وَإِذَا كَانَ النَّظَرُ بِنُورِ الْعَيْنِ مَكْرُوهًا أَوْ إلَى مَكْرُوهٍ فَتَرَكَهُ للهَّ أَعْطَاهُ اللهُّ نُورًا فِي قَلْبِهِ وَبَصَرًا يُبْصِرُ بِهِ الْحَقَّ . قَالَ شَاه الكرماني : مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ الْمَحَارِمِ وَعَمَّرَ بَاطِنَهُ بِدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ وَظَاهِرَهُ بإتباع السُّنَّةِ وَعَوَّدَ نَفْسَهُ أَكْلَ الْحَلَالِ وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنْ الشَّهَوَاتِ : لَمْ تُخْطِئْ لَهُ فِرَاسَةٌ. (٣)وَلِهَذَا يُقَالُ : إنَّ غَضَّ الْبَصَرِ عَنْ الصُّورَةِ الَّتِي يُنْهَى عَنْ النَّظَرِ إلَيْهَا يُورِثُ ذَلِكَ ثَلَاثَ فَوَائِدَ جَلِيلَةِ الْقَدْرِ،:**أَحَدُهَا** : حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ وَلَذَّتُهُ الَّتِي هِيَ أَحْلَى وَأَطْيَبُ مِمَّا تَرَكَهُ للهَّ. الثانية: نُورُ الْقَلْبِ وَالْفِرَاسَةِ فَالتَّعَلُّقُ بِالصُّوَرِ يُوجِبُ فَسَادَ الْعَقْلِ وَعَمَى الْبَصِيرَةِ وَسُكْرَ الْقَلْبِ بَلْ جُنُونَهُ وَاَللهَّ تَعَالَى يَجْزِي الْعَبْدَ عَلَى عَمَلِهِ بِمَا هُوَ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر:مدارج السالكين:٢ / ٤٨٣- ٤٨٤ و٤٨٦،وشرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٥٦٣ -٥٦٤،وتحفة الأحوذي:٨/ ٤٤١ ،و التفسير القيم :٢ / ٩،و شرح عدة متون في العقيدة - صالح بن عبد العزيز آل الشيخ :١٣ / ٢٥١،و إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل/ الشيخ صالح آل الشيخ: ٤٧ / ٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى / ابن تيمية :١٥ / ٣٩٦.

فَيُطْلِقُ نُورَ بَصِيرَتِهِ وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ بَابَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْكُشُوفِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يُنَالُ بِبَصِيرَةِ الْقَلْبِ . الثَّالِثَةُ : قُوَّةُ الْقَلْبِ وَثَبَاتُهُ وَشَجَاعَتُهُ ؛ فَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ سُلْطَانُ الْبَصِيرَةِ مَعَ سُلْطَانِ الْحُجَّةِ.(١) والذي لا يملك هذه البصيرة والنور يعيش أعمى ولو كانت له عيون ، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢ ﴾ [الإسراء:٧٢] ويقول عز وجل: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ ﴾ [الحج:٤٦] ويقول عز وجل: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣ ﴾ [فاطر:١٩-٢٣] .فالكافر يتخبط بالظلمات بسبب كفره،أما المؤمن فبسبب حفظه لبصره وإيمانه يكون على بصيرة يرى الطريق المستقيم أمامه ، ولا تتشعب به سبل الشيطان.قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف:١٠٨] .وقال – صلى الله عليه وسلم- مبيناً سبيل المتقين:(افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ على إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَافترَّقَتْ النَّصَارَى على اِثنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَستَفْتَرِقُ أُمَّتِي على ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً) (٢)، و(خط رسول الله ﷺ خطا وخط عن يمين الخط وعن شماله خطا ، ثم قال: هذا صراط الله مستقيما وهذه السبل على كل سبيل منها

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى / ابن تيمية (١٥ / ٤٢٠ -٤٢٦).

(٢) أخرجه : أبو داود ٤/ ١٩٧،ح/ ٤٥٩٦،كِتَاب السُّنَّةِ ،بَاب شَرْحِ السُّنَّةِ ، واللفظ له ، وأحمد ٢/ ٣٣٢، والحاكم :١/ ٢١٧ وقال:(هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شواهد)،والبيهقي في الكبرى:١٠/ ٢٠٨، وأبو يعلى في مسنده ١٠/ ٣١٧.

شيطان يدعو إليه ،ثم قرأ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (١).فأولياء الله المتقون المحسنون هم الذين آمنوا بالله عز وجل واستشعرت قلوبهم ونفوسهم إحاطة الله عز وجل بهم علما وقدرة ولطفا وخبرة بأقوالهم ونياتهم وجميع أحوالهم ،فكان عملهم خالصا لله موافقا لشرعه مستحضرين ذلك بقلوبهم نافذة فيه بصائرهم فأخلصوا لله العمل وعاذوا به منه وأحبوه من كل قلوبهم فامتلأت بنور معرفته فلم تتسع لغيره فبه يبصرون وبه يسمعون وبه يبطشون وبه يمشون).(٢)

ثانيا:التجارب.

ثالثاً:قوة الملاحظة وجودة الذهن والذكاء في المتفرس وحدة قلبه وحسن فطنته.

رابعاً :صحة وسائل الفراسة لدى المتفرس:**الأولى**:العين **والثانية**:فراسة الأذن والسمع،**والثالثة**:فراسة القلب فكما جعل سبحانه العينين مؤديتين للقلب ما يريانه فيوصلانه إليه كما ترياه ،جعلهما مرآتين للقلب يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض والخير والشر والبلادة والفطنة والزيغ والاستقامة ،فيستدل بأحوال العين على أحوال القلب،وهو أحد أنواع الفراسة الثلاثة:وهي فراسة العين وفراسة الأذن وفراسة القلب ،فالعين مرآة للقلب وطليعة ورسول.

---

(١) أخرجه :ابن ماجه: ١/ ٦، ح/ ١١،بَاب اتِّبَاعِ سُنَّةِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ،وأحمد: ١/ ٤٣٥، والحاكم: ٢/ ٢٦١وقال:(هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) .

(٢) معارج القبول/ الحكمي ٣/ ١٠٠٠-١٠٠٢.

خامساً :ظهورالعلامات والأدلة على المتفرس فيه(١).وهذه الأسباب من الثاني إلى الخامس خاصة بالفراسة الخلقية والتي تسمى القيافة (٢).

سادساً: الرياضة والجوع والسهر لتتخلص النفس من الفضول(٣).وهذا السبب خاص بالفراسة الرياضية(٤).

المطلب السادس:حكم العمل بها:الفراسة الخلقية أو ما يدعى بعلم القيافة هو من علوم الطبيعة(٥). وقد اعتمد جمهور الفقهاء على القيافة في ثبوت النسب و الاستلحاق؛ بناء على العلامات والأمارات الظاهرة التي يعرفها القائف. فعلم الفراسة؛ هو: الاستدلال بالأمر الظاهر على الأمور

---

(١) انظر:الفراسة/ الرازي:٤،و مدارج السالكين / ابن القيم: ٢ / ٤٨٣ -٤٨٩،و التبيان في أقسام القرآن / ابن القيم الجوزية ١ / ١٨٩،و التصوف في ميزان النقل والعقل/ البريكان المنشور في مجلة البحوث الإسلامية :٤١ / ١٩٠ -١٩١.شرح العقيدة الطحاوية / عبدالعزيز الراجحي :١ / ٣٨٦،و شرح عدة متون في العقيدة / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ :٦ / ١٩٩.

٢ - انظر:الفراسة/ الرازي:٣١،ومدارج السالكين ٢ / ٤٨٧،و شرح العقيدة الطحاوية:٥٦٣ - ٥٦٤،وشرح عدة متون في العقيدة / صالح آل الشيخ :١٣ / ٢٥١،وكتاب الدراسة:٣١- ٦٣،والمبحث الرابع: القيافة .

(٣) انظر:مدارج السالكين:٢ / ٤٨٦-٤٨٧،و شرح العقيدة الطحاوية:٥٦٣ -٥٦٤،وشرح العقيدة الواسطية - صالح آل الشيخ:٢ / ٢٥١.

(٤) مدارج السالكين:٢ / ٤٨٦-٤٨٧،و شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٥٦٣ -٥٦٤ ، وشرح العقيدة الطحاوية/ الراجحي:١ / ٣٨٦،وإتحاف السائل/ صالح آل الشيخ:٤٧ / ٦،و شرح عدة متون في العقيدة / صالح آل الشيخ :١٣ / ٢٥١.

(٥) انظر:أبجد العلوم / لقنوجي : ٢٤٣ .

الخفية. والعمل بالفراسة(القيافة) يمثل جانباً من جوانب العمل القضائي[١] أما بالنسبة للإيمانية فلا يؤخذ بها،لأنه لا يعرف صدقها فهي على وجه الظن قد تعطي مؤشرات وعلامات لكن لا يبنى عليها أحكام ، وهذا هو مذهب أهل السنة الجماعة ،فهي مثل الرؤيا والإلهام، ولايعمل بها لثبوت النسب والاستلحاق إذ يحتاج إلى عرضه على الشرع ليحكم عليه ، أما الصوفية فقد جعلوها مصدرا من مصادرهم، يقول الشيخ إبراهيم البريكان: (غلا الصوفية في الفراسة حتى جعلوها مصدرا من المصادر الأساسية للمعرفة حتى حكموها في أمور الديانة[٢] مع أن صاحب الفراسة إن كانت إيمانية لا يعرف صدقها إلا بوقوعها، وجزمه بمجرد الواردات يحتاج إلى عرضه على الشرع ليحكم عليه بالنفي أو الإثبات والحق أو الباطل.وغاية الأمر إن لم يدل الدليل على أنه باطل أو حق أن تكون الفراسة من المرجحات ، ولذا لم يعرف أن النبي -صلى الله عليه وسلم-حكم بفراسة في مال أو عرض أو نفس أو نسب أو عقل بل بالبينات والشهود،وغاية الفراسة أن تكون أمارة ظنية لا تصل إلى مقام الدليل من حيث دلالته على إثبات الحكم فلا تصلح للاستقلال بالحكم في أمر شرعي

---

(١) انظر: القواعد / ابن رجب :١ / ٢٠،والموافقات/ الشاطبي: ٢ / ١٢٥ ،والطرق الحكمية/ ابن القيم ج١/ ٩٧- ٩٨،وعمدة القاري:١٦/ ٢٣٢،ومرقاة المفاتيح :٦/ ٤٣٢ وسبل السلام :٤ / ١٣٧،وشرح عمدة الأحكام من باب الوصايا/ عبد الله بن عبد الرحمن ابن جبرين: ١ / ٢،و وسائل الإثبات للدكتور محمد الرحيلي: ٥٤٢ ،و مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة بجامعة اليرموك :١٢ / ١٧.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين/ الغزالي:٤/ ١٠٥- ١٠٦،و مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ١٠/ ٤٧١.

أو قدري بل لا بد من عرض ما دلت عليه على نصوص الكتاب والسنة وما دل عليه معقولهما).[١] صحيح أنه (خاطر يأتي للقلب، ويكون في أهل الولاية وأهل الإيمان الصحيح والتقوى فراسةً، لكن لا يسوغ لصاحبه أن يحكم به وأن يستعمله، فيظن بالناس الظنون لأجل هذه الفراسة أو أن يحمدهم لأجل هذه الفراسة، لأن هذه الفراسة دليل ناقص؛ قد تكون من نور الله جل وعلا وقد لا تكون...فله أن يستعمله من جهة الاحتياط)[٢].

المطلب السابع :أمثلة على الفراسة:

الأمثلة على أنواع الفراسة كثيرة لا يكفي لجمعها الأسفار العديدة لكن قصدت من هذا المطلب ضرب أمثلة عليها لا الاستغراق،وذكر الإمام ابن القيم أن من أنواع الفراسة :الفراسة الصادقة(الإيمانية):وهو:ما أرشدت إليه السنة النبوية من التخلص من المكروه بأمر سهل جدا ، من تعريض بقول أو فعل ، ومن ذلك فراسة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه:(أن رجلا أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فشكا إليه جاره فقال:يا رسول الله إن جاري يؤذيني ، فقال:أخرج متاعك فضعه على الطريق ، فأخرج متاعه فوضعه على الطريق ، فجعل كل من مر عليه قال:ما شأنك قال:إني شكوت جاري إلى رسول الله -صلى الله عليه

(١) التصوف في ميزان النقل والعقل/إبراهيم البريكان،و مجلة البحوث الإسلامية : ٤١ / ١٩٠،وانظر: مجموع الفتاوى،و٣/ ٢٦٣ و٤/ ٥٨٧ ،و١٠/ ٤٧٣ ،ومطالب أولي النهى:٤/ ٢٦٥ ،و منار السبيل ١/ ٤٣٤.

(٢) كتب صالح آل الشيخ:٢٦ / ١٩٨،المكتبة الشاملة،وانظر:مجموع الفتاوى/ابن تيمية :١٠/ ٤٧١- ٤٧٣.

وسلم- فأمرني أن أخرج متاعي فأضعه على الطريق، فجعلوا يقولون : اللهم العنه اللهم أخزه قال:فبلغ ذلك الرجل فأتاه،فقال:ارجع فو الله لا أؤذيك أبدا).[١]ومن الفراسة الصادقة كذلك والتي هي توفيق من الله تعالى: فراسة حذيفة بن اليمان ، وقد بعثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-عينا إلى المشركين فجلس بينهم .فقال أبو سفيان : لينظر كل منكم جليسه ، فبادر حذيفة ، وقال لجليسه : من أنت ؟ فقال: فلان بن فلان)[٢]. فقد ألهم الله عز وجل حذيفة بن اليمان لهذا الفعل والذي يدل أيضاً على سرعة البديهة والذكاء ، والتي هي من أسباب الفراسة كما مر ذكرها سابقا.

وَمن هذا النوع أيضا ما جاء في السُّنَّةِ أن الرسول -صلى الله عليه وسلم-ركب قدام الجيش مع أحد أصحابه ، فوجد شيخا سألهم:(**مِمَّنْ أَنْتُمْ ؟ فقَال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ :نَحْنُ مِنْ مَاءٍ**)[٣] وَكَانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي سَفَرِ الْهِجْرَةِ لِمَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-:**مَنْ هَذَا الذي بَيْنَ يَدَيْك فَيَقُولُ: هَادٍ يَدُلُّنِي عَلَى الطَّرِيقِ**)[٤]وقد ذكر ابن مسعود ﷺ بعض الأمثلة على الفراسة الإيمانية فقال:أفرس الناس ثلاثة:العزيز في يوسف،حيث قال لامرأته : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك:٤/ ١٨٣،وقال:(هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد آخر صحيح على شرط مسلم). وقال الألباني في صحيح المفرد:٩٢ :(حسن صحيح).

(٢) أخرجه أحمد:٥/ ٣٩٢،رقم: ٢٣٣٨٢،و وقال الألباني في فقه السيرة :٣٠٨ :(هذه القصة صحيحة وسياقها هنا مركب من ثلاث روايات).

(٣) أخرجه ابن حبان في الثقات ١/ ١٥٩.

(٤) أخرجه أحمد : ٣/ ١٢٢.

مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ .. ﴾ [يوسف : ٢١] .وابنة شعيب حين قالت لأبيها في موسى :﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص :٢٦]، وأبو بكر في عمر رضي الله عنهما حيث استخلفه وفي رواية أخرى : وامرأة فرعون حين قالت: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ [القصص :٩][(١)(٢)]، وممن كان له فراسة إيمانية وفراسة في خلق الناس وخلقهم وهي التي تسمى بقيافة البشر إياس بن معاوية فهومن أعظم الناس فراسة وله وقائع مشهورة، وكذلك الشافعي رحمه الله وقيل : إن له فيها تآليف[(٣)] في الفراسة الخلقية وهي:(قيافة البشر) وممن يضرب به المثل بالفراسة وهي:(قيافة البشر والأثر) ولد نزار بن معد بن عدنان وهم: مضروربيعة وإياد وأنمار،وعندما حضر نزار الموت جمع بنيه هؤلاء الأربعة فقال:أي بني: هذه القبة الحمراء وهي من أدم وما أشبهها من المال لمضر ،وهذه البدرة والمجلس لأنمار ،وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود وما أشبهها من مالي لربيعة و،هذا الخادم وكانت شمطاء وما أشبهها من مالي لإياد، وإن أشكل عليكم كيف تقتسمون فأتوا الجرهمي ومنزله بنجران، وإن أنتم رضيتم (وهنا قد خفت

---

(١) أخرجه الحاكم : ٢/ ٣٧٦:(هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(٢) مدارج السالكين: ٢ / ٤٨٦،وانظر:شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٥٦٣ -٥٦٤،وتحفة الأحوذي ٨/٤٤١ ،و التفسير القيم :٢ / ٩،و شرح عدة متون في العقيدة / صالح آل الشيخ:١٣ / ٢٥١.

(٣) مدارج السالكين :٢ / ٤٨٥.

صوته إذ لم يسمع الصوت) ،ثـم مـات فتـشاجروا في ميراثـه ،فتوجهـوا إلى الجرهمي بنجران ،فرأى مضر أثر بعير قد رعى فقـال:إن الـذي رعـى هـذا الموضع لبعير أعور فقال ربيعة: إنه لأزور فقال إياد: إنه لأبتر فقال أنمار: إنه لشرود ،فساروا قليلاً فإذا برجل يوضع على جمله فسألهم عن البعـير ،فقـال مضر :أعور قال:نعم قال ربيعة: أزور قال: نعم قال إياد: أبتر قال: نعم قال أنمار :شرود قال: نعم ،فسألهم عن البعير وقال :هذه صفة بعيري فقـالوا :لم نره فدخلوا نجران فقال صاحب البعير: هؤلاء أصـابوا بعـيري وصـفوا لي صفته وقـالوا:لم نـره فاختـصموا إلى الجرهمـي وهـو يومئـذ حكـم العـرب فأخبروه بقولهم فحلفوا له ما رأوه،فقال الرجل :نعتوا لي صفة بعـيري قـال لمضر: كيف عرفت أنه أعور قال :إنه رعى جانبًا وتـرك جانبًـا فعرفـت أنـه أعور ، فقال لربيعة :كيف عرفت أنه أزور قـال :رأيـت إحـدى يديـه ثابتـة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعرفت أنه أفسدها بـشدة وطئـه ،فقـال لإيـاد :كيف عرفت أنه أبتر قال :باجتماع بعره فقال لأنمار: كيف عرفت أنه شرود قال: إنه رعـى في المكـان إلى مكـان أغـزر منـه نبتـا،فقـال للرجـل: ليـسوا بأصـحاب بعـيرك فاطلبـه، ثـم سـألهم مـن أنـتم ،فـأخبروه ،فرحـب بهـم ،وأخبروه ما جاء بهم، فقال :تحتاجون إلي وأنتم كما قـد أرى ، فـذبح لهـم ، وأقاموا عنده ،ثم قام إلى خازن له يستحثه بالطعام ،ثـم جلـس معهـم، ثـم أكلوا وشربوا وتنحـى عـنهم حيـث لا يـرى وهـو يـسمع كلامهـم ،فقـال ربيعة:لم أر كاليوم لحمًا أطيب منه لـو لا أن شـاته غـذيت بلـبن كلبـة، فقـال مضر:لم أر كاليوم خمرًا لو لا أن نبتت على قبر ، فقال إياد :لم أر كاليوم رجـلاً

أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى إليه ، فقال أنمار:لم أر كاليوم قط كلاما أنفع في حاجتنا من كلامنا ،وكان كلامهم بأذنه فقال :ما هؤلاء إلا شياطين فدعا القهرمان فقال :أخبرني خبر هذه الكرمة فقال :إني غرستها على قبر أبيك وسأل الراعي عن العناق فقال: هي عناق أرضعتها بلبن كلبة ولم يكن ولد في الغنم غيرها وماتت أمها ثم أتى أمه فقال:من أبي فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال لا يولد له فخفت أن يموت ولا يولد له فمر بي رجل فوقع علي وكان نازلاً علي فولدت ، فرجع إليهم فقال:قصوا علي قصتكم ، فقضى بالقبة الحمراء والدنانير والإبل لمضر فسميت مضر الحمراء،وأما صاحب الخباء الأسود فله كل أسود ،فأخذ ربيعة الفرس وما أشبهه وكان الفرس أدهم فسميت ربيعة الفرس، وقضى بالخادم والخيل البلق والغنم والنعم لإياد،والدراهم لأنمار فانصرفوا من عنده[1].وفراسة هؤلاء خلقية .

(١) انظر تاريخ الطبري :١/ ٥١٤،وأخبار مكة/ الفاكهي أبو عبد الله: ٥/ ١٤٨ – ١٥٩.

المبحث الثاني:

علاقة الفراسة بالتوسم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التوسم والاستدلال عليه وفيه:

أولا:معنى التوسم في اللغة:وسمه إذا أثر فيه بسمة وكي ، و الوسمي مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات نسب إلى الوسم ،والأرض موسومة .وموسم الحاج مجمعهم ،ووسم الناس توسيما شهدوا الموسم، والميسم المكواة، والميسم أيضا الجمال ،وفلان وسيم أي:حسن الوجه ،وفلان موسوم بالخير ،وقد توسمت فيه الخير أي:تفرست و اتسم الرجل جعل لنفسه سمة يعرف بها.[1]

ثانيا :معنى التوسم في الاصطلاح:(التوسم النظر إلى السيمة)[2]و(هو العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها ،يقال: توسمت فيه الخير إذا رأيت ميسمه فيه أي:علامته التي تدل عليه)[3] (واتسم الرجل إذا جعل لنفسه علامة يعرف بها ...(و) الواسم الناظر إليك من فرقك إلى قدمك وأصل التوسم التثبت والتفكر ...وذلك يكون بجودة القريحة وحدة الخاطر وصفاء الفكر ... وتفريغ القلب من حشو الدنيا وتطهيره من

(١) انظر:مختار الصحاح : ٣٠٠.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل:٢/ ١٤٨.

(٣) أضواء البيان:٢/ ٢٨٦.

أدناس المعاصي وكدورة الأخلاق وفضول الدنيا)[1] والمتوسمين هم:المتفرسين[2]وقال ابن قتيبة :يقال :توسمت في فلان الخير أي:تبينته).[3]

ثالثا:الأدلة على التوسم:

أولا: من القرآن وهي كثيرة سبق ذكرها في الاستدلال على الفراسة، منها:قوله تعالى ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٣] .

ثانيا:من السنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم:(اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فإنه يَنْظُرُ بِنُورِ اللهَّ ثُمَّ قَرَأَ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[4] . وقد فسر كثير من العلماء و المفسرين وغيرهم هذه الْآيَةِ بالمتفرسين وهو ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما[5].وقوله – صلى الله عليه وسلم- : (**إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم**)[6].

---

(١) تفسير القرطبي:١٠/ ٤٣،وانظر: فتح القدير:٣/ ١٣٨،و اعتقاد أهل السنة :٧/ ١٣٢٥ ، وتحفة الأحوذي/ المباركفوري:٨/ ٤٤١ –٤٤٢.

(٢) انظر:تحفة الأحوذي :٨/ ٤٤١.

(٣) مجموع الفتاوى:١٧/ ١١٨.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) نظر: سنن الترمذي :٥/ ٢٩٨ ،و تفسير الطبري:١٤/ ٤٥،و تفسير البغوي:٣/ ٥٥، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٢،وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية ١٧/ ١١٨،و الروح ١/ ٢٣٨.

(٦) سبق تخريجه.

أهلهــــا: هي لعباد الله الصالحين.(١)

المطلب:الثاني: علاقة الفراسة بالتوسم:لقد جعل بعض العلماء الفراسة والتوسم بمعنى واحد ،يقول الزبيدي(٢):(والفِرَاسَةُ بالكَسْرِ اسمٌ مِن التَّفَرُّسِ وهو التَّوَسُّم يُقال تَفَرَّسَ فيه الشيْءَ إِذا تَوَسَّمَه..وبه فُسِّرَ الحَدِيثُ اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فإِنَّه ينظُر بنُورِ الله)(٣).(٤) فالتوسم مرادف للفراسة من حيث الاسم و المعنى ، وهو الاستدلال على بعض الأمور بالعلامات الظاهرة ،يقول الراغب:(التوسم هو الذي سماه قوم الزكانة(٥) وقوم الفراسة وقوم الفطنة)(٦) قال ﷺ :(اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فإنه يَنْظُرُ بِنُورِ اللهَّ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر : ٧٥] (٧)(فسمى المتفرس متوسما لأنه يستدل بما يشهد على ما غاب فيستدل بالعيان على الإيمان).(٨)
وقد فسر كثير من العلماء و المفسرين وغيرهم هذه الآيَةِ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

---

(١) انظر:تفسير القرطبي :١٠/ ٤٣.

(٢) هو: محمد مرتضى الحسيني. ولد في الهند،له عدد من المؤلفات منها ،إتحاف السادة المتقين،وتاج العروس في اللغة،توفي في مصر:١٢٠٥هـ انظر:الأعلام / الزركلي:٤/ ١٢٢.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) تاج العروس/ الزبيدي :١٦/ ٣٢٨.

(٥) (الزكن والإزكان هو الفطنة والحدس الصادق وأن تنظر إلى الشيء فتقول ينبغي أن يكون كذا وكذا .... أزكنته الخبر حتى زكنه أي: فهمه). الفائق:٢/ ١١٩.

(٦) المفردات في غريب القرآن :١/ ٥٢٤.

(٧) سبق تخريجه.

(٨) مدارج السالكين ١/ ١٣٠.

لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر : ٧٥] .بالمتفرسين وهو ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما [١].ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى:(﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ [محمد : ٣٠] . فمعرفة المنافقين في لحن القول ثابتة مقسم عليها ، لكن هذا يكون إذا تكلموا ،وأما معرفتهم بالسيما فموقوف على مشيئة الله فإن ذلك أخفى ، و...عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)ثم قرأ قوله تعالى﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر : ٧٥].[٢](قال مجاهد وابن قتيبة :للمتفرسين)[٣]

(١) انظر: سنن الترمذي :٥/ ٢٩٨ ،و تفسير الطبري :١٤/ ٤٥،و تفسير البغوي :٣/ ٥٥،و تفسير القرطبي ١٠/ ٤٢،وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية :١٧/ ١١٨ ، و الروح ١/ ٢٣٨.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ١٧/ ١١٨ .

المبحث الثالث :

علاقة الفراسة بالكرامة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول :تعريف الكرامة وفيه:

أولا:معنى الكرامة في اللغة:يقول الرازي[١]:(الكرم بفتحتين ضد اللـؤم .. و الكرم شجر العنب والكـرم أيـضا القـلادة)[٢](والعـرب تقـول:هـذه البلدة إنما هي كرمة ونخلة يعني بذلك الكثرة...وإذا جـاد الـسحاب بغيثـه قيـل كـرم وكـرم فـلان علينـا كرامـة والكـرم أرض مثـارة منقـاة مـن الحجـارة)[٣]والتكـريم و الإكـرام بمعنـى واحـد والاسـم منـه الكرامة[٤]و(الكرامة طبق يوضع على رأس الحب ...والكرامة اسم للإكـرام مثل الطاعة للإطاعة)[٥].

ثانيا:معنى الكرامة في الاصطلاح:يقول الجرجاني:(الكرامة هـي ظهـور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لـدعوى النبـوة فـما لا يكـون

(١) الرازي هو: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، لغوي، فقيه، صوفي، مفسر، أديب له مؤلفات منها: مختار الصحاح، ت: ٧٢١هـ. انظر: معجم المؤلفين، رضا كحالة: ٩/ ١١٢.

(٢) مختار الصحاح :١/ ٢٣٧.

(٣) العين:٥/ ٣٦٨ – ٣٦٩.

(٤) انظر:لسان العرب :١٢/ ٥١١.

(٥) العين ٥/ ٣٦٨ .

مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة).[١]

المطلب الثاني:علاقة الفراسة بالكرامة:أن مذهب أهل السنة من الكرامة هو إثباتها بشروطها وضوابطها للولي ،يقول الإمام الطحاوي:(ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم)[٢] والكرامة تكون للولي وجماعها : الأمر الخارق للعادة ،فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة : العلم والقدرة والغنى، وهذه الثلاثة لا تصلح على الكمال إلا لله وحده فإنه الذي أحاط بكل شيء علما وهو على كل شيء قدير وهو غني عن العالمين،ولهذا أمر الله النبي-صلى الله عليه و سلم-أن يتبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[الأنعام : ٥٠]. وكذلك قال نوح عليه السلام ،فهذا أول أولي العزم وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض وهذا خاتم الرسل وخاتم أولي العزم وكلاهما تبرأ من ذلك ،وهذا لأنهم يطالبونهم تارة بعلم الغيب،وتارة بالتأثير ،فأمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك وإنما ينال من تلك الثلاث بقدر ما يعطيه الله فيعلم ما علمه الله [إياه] ويستغني عما أغناه عنه ويقدر على ما أقدر عليه من الأمور المخالفة للعادة المطردة أو لعادة أغلب الناس ، فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الأنواع فالخارق ثلاثة أنواع : محمود في الدين ومذموم ومباح،فإن كان

(١) التعريفات/ الجرجاني: ١/ ٢٣٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز : ١ / ٤٩٤.

المباح فيه منفعة كان نعمة ،وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهي كل الكرامة).[١]والفراسة لها علاقة مع الكرامة قد تقصر أو تبعد، لذا أوردها كثير من العلماء بعد مبحث الكرامة[٢].يقول الشيخ صالح آل الشيخ(مما يتصل بالكرامة من المباحث مبحث الفراسة...)[٣]. ويقول أيضا: (قال صلى الله عليه وسلم:(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[٤]هذه فراسة إيمانية ليست من جهة الفراسة الرياضية التي تُتَعلم بالرياضة بالتعود وبالخبرة ، وليست خلقية طبيعية ولكن هكذا يُقْذَفْ في رُوعه في نفسه [٥]أن هذا كذا وكذا،وهذه من جنس الكرامات بل هي كرامة،ولهذا أهل العلم يبحثون الفراسة إذا بحثوا الكرامة ، فمبحث الفراسة في كتب العقيدة بعد كرامات الأولياء،لأنه من أنواع الفراسة الإيمانية وهي جزء أو نوع من أنواع الكرامة).[٦] وهي(تسمّى فراسة؛ لأنّ العلم الصحيح يأتي لصاحبه كوُفود صاحب الفرس عليه، ودنو صاحب الفرس منه وتمكنه من ذلك. أيضا هذا يأتيه من العلم والإلهام ما يعلم به الحق، وهذا النوع من الفراسة هو الذي يكون كرامة من الكرامات).[٧]؛ لأنها قد تكون خارقة للعادة ليس لحدوثها سبب معتاد .

---

(١) المصدر السابق :١ / ٤٩٤.

(٢) انظر: المصدر السابق :١ / ٤٩٤.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية / صالح آل الشيخ :١ / ٦٨٣.

(٤) سبق تخريجه .

(٥) أي:بدون سبب معتاد ولا يكون ذلك عن رياضة وتدرب.

(٦) شرح عدة متون في العقيدة / صالح آل الشيخ: ١٣ / ٢٥١،وانظر: مجموع الفتاوى:١١/ ٣١٤.

(٧) كتب صالح آل الشيخ (في العقيدة): ٢٦ / ١٩٨ :المكتبة الشاملة.

المبحث الرابع:

علاقة الفراسة بالقيافة

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تعريف بالقيافة وفيه:

أولا:معنى القيافة في اللغة:القفو مصدر قولك قفا يقفو وهو أن يتبع شيئا وقفوته إذا اتبعت أثره لأن المتهم متتبع متجسس أقفوه قفوا وتقفيته أي:اتبعته .وقفوته قذفته بالزنية أي:قذفه والقفا مؤخر العنق وتقفيته بعصا أي:ضربت قفاه بها واستقفيته بعصا إذا جئته من خلف وضربته بها،وسميت قافية الشعر قافية،لأنها تقفو البيت وهي خلف البيت كله وقفي السكن هو ضيف أهل البيت .[١]

ثانيا:معنى القيافة في الاصطلاح :(القائف هو من يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه،والجمع القافة،يقال فلان يقوف الأثر ويقتافه قيافة مثل قفا الأثر واقتفاه).[٢]و(هو الذي يلحق الفروع بالأصول بالشبه والعلامات)[٣]

---

(١) انظر: العين :٥/ ٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٣ ،والفائق :٣/ ٢١٤ أساس البلاغة :١/ ٥١٨.

(٢) عمدة القاري:١٦/ ١١٠ ،وانظر: الفائق:٣/ ٤٥،و النهاية :٤/ ١٢١،و تهذيب اللغة:٩/ ٢٤٩،و مشارق الأنوار: ٢/ ١٩٧ ،ولسان العرب ٩/ ٢٩٣.

(٣) عمدة القاري:١٦/ ٢٣٢.

المطلب الثاني: أنواع القيافة:القيافة تنقسم إلى نوعين:

١ -**قيافة الأثر**[١]: **وهي**: تتبع آثار الأقدام[٢] والأخفاف والحوافر في المقابلة للأثر في تربة حرة ،إذ القائف يجد بهذا العلم الفار من الناس والضال من الحيوان بقوة الباصرة وقوة الخيال والحافظة. [٣]

القسم الثاني: قيافة البشر[٤]: وهي علم باحث عن كيفية الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة ، والاستدلال بهذا الوجه مخصوص ببني مدلج وذلك لمناسبة طبيعة حاصلة فيهم لا يمكن تعلمه، وحصول هذا العلم بالحدس والتخمين لا بالاستدلال واليقين ، وإنما سمي بقيافة البشر لكون صاحبه متتبعا بشرة الإنسان وجلده وأعضاءه وأقدامه ، وهذا العلم لا يحصل بالدراسة والتعليم ،ولهذا لم يصنف فيه ، بل تكون في بعض الناس فلا يشتبه عليه شيء أصلًا لسبب كماله في القوتين أي:القوة الباصرة والقوة الحافظة اللتين لا يحصل هذا العلم إلا بهما، وهذا العلم موجود في قبائل العرب ويندر في غيرهم ،لأن هذا العلم لا يحصل إلا بالتجارب والمزاولة عليه مددا متطاولة فهو متوارث، ولاهتمام العرب بهذا العلم اختص بهم وتوارثوه خلفا عن

---

(١) انظر:الفراسة/ للفخر الرازي:٣١ وقد جعلها نوع من أنواع الفراسة..

(٢) وقد سماها القنوجي في أبجد العلوم:٢/ ٣٨٥ وصاحب كشف الظنون:٢/ ١٣٦٦العيافة لكن الصحيح أن العيافة تختلف عنها تماما. انظر: المبحث الحادي عشر :مبحث العيافة.

(٣) انظر:صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ١٤/ ٢٤٥،و كشف الظنون: ٢/ ١١٨١،و أبجد العلوم:٢/ ٣٨٥ / القنوجي،ت: ١٣٠٧ هـ- ١٨٩٠ م.

(٤) انظر:الفراسة/ للفخر الرازي:٣١ وقد جعلها نوع من أنواع الفراسة..

سلف ،ولهذا لم يوجد في غيرهم .[١] ويدخل فيها الاستدلال بالكلام على الشخصية.ومن هذا النوع: فراسة التمييز بين الصادق والكاذب في أقواله وأفعاله وأحواله[٢]وبعضهم قسم القيافة -وهي علم (البراسيكولوجي)- إلى فراسة الوجوه وتسمى: (علم الفيسيونومي)وفراسة الإيماءات والحركات وتسمى: (علم الكينيسيكز) وفيه فراسة الإحساس والنبرات والهيئات والمظهر والوضعيات..الخ ،وفراسة خط اليد وتسمى: (علوم الجرافولوجي، الجرافونومي، والجرافوثيرابي) ، والفراسة المتخصصة (يعرفها الشخص مع الخبرة والتجربة والدراسة في مجال العمل :مثل بائع العسل،وبائع الذهب والألماس، وبائع العطور.[٣]

المطلب الثالث:الأدلة على القيافة:ماروته عَائِشَةُ رضي الله عنها قالت : دخل قَائِفٌ وَرَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم شَاهِدٌ ، وَأُسَامَةُ بن زَيْدٍ وَزَيْدُ بن حَارِثَةَ مُضْطَجِعَانِ فقال:إِنَّ هذه الْأَقْدَامَ بَعْضُهَا من بَعْضٍ فَسُرَّ بِذَلِكَ النبي -ﷺ- وَأَعْجَبَهُ وَأَخْبَرَ بِهِ عَائِشَةَ)[٤]وزاد في رواية(وكان مُجَزِّزٌ[٥]

---

(١) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:١٤/ ٢٤٥ ،و كشف الظنون ٢/ ١٣٦٦ ،و أبجد العلوم:٢/ ٤٣٦-٤٣٧ .

(٢) مدارج السالكين : ٢ / ٤٨٨ -٤٨٩.

(٣)انظر:http://www.baghdad٤ever.net/vb/archive/index.php/t-٧٩٩٠٦.html، وwww.bezaat.com

(٤) أخرجه مسلم:٢/ ١٠٨٢ ح/ ١٤٥٩،بَاب :الْعَمَلِ بِإِلْحَاقِ الْقَائِفِ الْوَلَدَ ،كِتَاب: الرِّضَاعِ .

(٥)(ونسبته إلى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بطن من كنانة كبير مشهور بالقيافة)عمدة القاري ١٦/ ١١٠.

قَائِفًا)[١]وقد بوّب البخاري في صحيحه فقال:(بَاب الْقَائِفِ).[٢] وفي رواية مسلم عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: دخل عَلَيَّ قَائِفٌ وَالنَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- شَاهِدٌ ، وَأُسَامَةُ بن زَيْدٍ وَزَيْدُ بن حَارِثَةَ مُضْطَجِعَانِ فقال: إِنَّ هذه الْأَقْدَامَ بَعْضُهَا من بَعْضٍ قال :فَسُرَّ بِذَلِكَ النبي -صلى الله عليه وسلم- وَأَعْجَبَهُ).[٣] وذكر الرسول -صلى الله عليه وسلم-أنه(مُجَزِّز الْمُدْلِجِي). [٤](القايف: قد يعرف بالأثر: من هو الواطىء، وأين ذهب؟ [٥]

المطلب الرابع:علاقة البصمة[٦]الوراثية (DNA)[٧] بالقيافة:هي: نوع من علم القيافة،وقد تميزت بالبحث في خفايا وأسرار النمط الو راثي للحامض النووي بأجسام الكائنات الحية بدقة كبيرة،وعمق ومهارة علمية بالغة،مما يجعلها تأخذ حكم القيافة في هذا المجال من باب أولى ، فيثبت

---

(١) أخرجه مسلم ٢/ ١٠٨٢، ح/ ١٤٥٩،بَاب :الْعَمَلِ بِإِلْحَاقِ الْقَائِفِ الْوَلَدَ ،كِتَاب: الرِّضَاعِ .

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٤٨٦

(٣) أخرجه البخاري ٣/ ١٣٦٥،ح/ ٣٥٢٥،كتاب: فضائل الصحابة ،بَاب :مَنَاقِبِ زَيْدِ بن حَارِثَةَ .

(٤) أخرجه البخاري ٣/ ١٣٦٥،ح/ ٣٥٢٥،كتاب: فضائل الصحابة ،بَاب :مَنَاقِبِ زَيْدِ بن حَارِثَةَ .

(٥) النبوات / ابن تيمية:٢٥ / ٢.

(٦) في المعجم الوسيط ١/ ٦٠(بصما ختم بطرف إصبعه...البصم فوت ما بين طرف الخنصر إلى البنصر البصم كثافة الثوب البصمة أثر الختم بالإصبع)وانظر:تاج العروس:٣١/ ٢٩٠،و جمهرة اللغة ١/ ٣٥٠.

(٧) هي المادة الوراثية الموجودة في خلايا جميع الكائنات الحية أي(الحمض النووي) (DNA) وانظر:http://ar.wikipedia.org/wiki/DNA

بالبصمة ما يثبت بالقيافة مع وجوب توافر الشروط والضوابط التي وضعها الفقهاء في القافة [١] .

المطلب الخامس:علاقة القيافة بالكهانة: علم القيافة من علوم الطبيعة[٢]. وقد اعتمد جمهور الفقهاء على القيافة في ثبوت النسب و الاستلحاق؛ بناء على العلامات والأمارات الظاهرة التي يعرفها القائف. [٣]فعلم الفراسة؛ هو: الاستدلال بالأمر الظاهر على الأمور الخفية. والعمل بالفراسة يمثل جانباً من جوانب العمل القضائي.[٤] فالقيافة ليس فيها ادعاء للغيب كالتنجيم التي يدعي صاحبها علم الغيب عن طريق معرفة النجوم، ويستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ، وليست كالكهانة والعرافة التي يدعي صاحبها علم المغيبات في المستقبل أو يخبر عما في

---

(١) انظر البصمة الجينية وأثرها في إثبات النسب للدكتور الشاذلي ضمن ثبت أعمال ندوة الوراثة والهندسة الوراثية ١/ ٤٩٤،و ملخص أعمال الحلقة النقاشية حول حجية البصمة الوراثية في إثبات النسب ص٤٦،والبصمة الوراثية/ عمر السبيل ١ / ٢٥.

(٢) انظر:أبجد العلوم للقنوجي : ٢٤٣ .

(٣) انظر: القواعد لابن رجب :١/ ٢٠ ،والموافقات:٢/ ١٢٥،والطرق الحكمية/ ابن القيم ج١/ ٩٧-٩٨، وعمدة القاري :١٦/ ٢٣٢ ،ومرقاة المفاتيح:٦/ ٤٣٢ وسبل السلام :٤ / ١٣٧،وشرح عمدة الأحكام من باب الوصايا : عبدالله ابن جبرين: ١ / ٢،و وسائل الإثبات للدكتور محمد الرحيلي : ٥٤٢ ،و مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة بجامعة اليرموك :١٢ / ١٧.

(٤) مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة بجامعة اليرموك:١٢ / ١٧.

الضمير، ويكون له رائيّ من الجن يأتيه ويخبره، أو الذي يدعي معرفة مكان المسروق، ومكان الضالة .[١]

المطلب السادس:علاقة الفراسة بالقيافة:إن كثيرا من العلماء جعل القيافة أحد أنواع الفراسة ،وهي الفراسة الخَلْقية.[٢]

المطلب السابع:أدوات المتفرس(القائف):هناك أدوات تساعد القائف على الاستدلال وهي:العين والأذن والقلب ، فالعين للبشرة والحركة والعلامات ،والأذن:للكلام تصريحه وتعريضه والقلب لتعبير ذلك : والاستدلال من المنظور والمسموع إلى باطنه وخفيه . [٣]

المطلب الثامن:أسباب (القيافة):للقيافة سببان **أحدهما** في القائف وهو:جودة ذهنه وحدة قلبه وحسن فطنته[٤]، ويقول الزمخشري عن القائف[٥]:(أن يعرف بفطنة وصدق فراسة أن هذا ابن فلان أو أخوه وكانت في بني مدلج..)[٦]**والثاني:**ظهور العلامات والأدلة على المتفرس فيه ، فإذا اجتمع السببان لم تكد تخطىء للعبد فراسة والعكس صحيح . [٧]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية/ الراجحي:١ / ٣٩١ ،وانظر: شرح كتاب التوحيد ١/ ٣٦٠ ،و معارج القبول/ الحكمي:٢/ ٥٧٢.

(٢) انظر: المبحث الأول الفراسة :النوع الثالث.

(٣) انظر:مدارج السالكين :٢ / ٤٨٨ -٤٨٩.

(٤) انظر:مدارج السالكين :٢ / ٤٨٩.

(٥) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي النحوي كبير المعتزلة وصاحب الكشاف والمفصل والفائق، ت: ٥٣٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء : ٢٠/ ١٥١.

(٦) الفائق :١/ ١٧٤.

(٧) مدارج السالكين :٢ / ٤٨٩.

المبحث الخامس:
علاقة الفراسة بالريافة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:تعريف الريافة وفيه:أولا:معنى الريافة في اللغة:(ريف بكسر الراء هو ... ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها).[١]

ثانيا:معنى الريافة في الاصطلاح:علم الريافة :هو معرفة:(استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده، فيعرف بعده وقربه بشم التراب أو بالنباتات فيه أو بحركة حيوان مخصوص وجد فيه ، فلا بد لصاحبه من حس كامل وتخيل شامل). [٢]

المطلب الثاني:علاقة الفراسة بالريافة:أدخل كثير من العلماء علم الريافة ضمن الفراسة وبالذات القيافة ،لأنه علم يقوم على الاستدلال والاستنباط والقيافة كذلك.[٣] وعلم استنباط المعادن والمياه أي معادن الذهب والفضة هو علم يبحث فيه عن تعيين محل المعدن والمياه، إذ المعدنيات لا بد لها من علامات تعرف بها عروقها في الجبال والأرض ومباديه وآلاته قريبة من علم الريافة ،وهو من فروع علم الفراسة).[٤] و(معرفة استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة عليه ...(و)هو من فروع الفراسة)[٥].

---

(١) مشارق الأنوار:١/ ٣٠٤.

(٢) كشف الظنون:١/ ٩٣٩،و أبجد العلوم ٢/ ٣٠٩.

(٣) انظر: أبجد العلوم ٢/ ١٤و٥٥.

(٤) أبجد العلوم/ القنوجي ٢/ ٥٥.

(٥) كشف الظنون ١/ ٩٣٩،وأبجد العلوم/ القنوجي ٢/ ٣٠٩.

المبحث السادس:

علاقة الفراسة بالبصيرة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول:تعريف البصيرة وفيه:

أولا:معنى البصيرة في اللغة:يقول الرازي:(البصر حاسة الرؤية و أبصره رآه و البصير ضد الضرير و بصر به أي: علم...ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا ﴾ [طه : ٩٦] .و التبصر:التأمل والتعرف و التبصير:التعريف والإيضاح و المبصرة المضيئة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ [النمل : ١٣]... معناه أنها تبصرهم أي:تجعلهم بصراء...و البصرة حجارة رخوة إلى البياض .. و بصر تبصيرا صار إلى البصرة و البصيرة الحجة و الاستبصار في الشيء وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [القيامة : ١٤] ... و البصر بوزن البسر جانب كل شيء وحرفه ، وفي الحديث بصر كل سماء مسيرة كذا يريد غلظها).[1] ويقول الزبيدي:(ويقال بَصِيرٌ بكذا وكذا أي:حاذِقٌ له عِلْمٌ دَقيقٌ به ...(و) البَصِيرَةُ هي قُوَّةُ القَلْبِ المُدْرِكَةُ ... و البَصِيرَةُ الفِطْنَةُ تقول العربُ:أَعْمَى اللهُ بصائِرَه أي:فِطَنَه)[2].(ويقال البصيرة الدِّرع وكلُّ ما لُبِس من السلاح فهو بَصائرُ السّلاح)[3].

---

(١) مختار الصحاح/ الرازي ١/ ٢٢،وانظر: لسان العرب ٤/ ٦٥،و المعجم الوسيط ١/ ٥٩.

(٢) تاج العروس/ الزبيدي: ١٠/ ١٩٨.

(٣) تهذيب اللغة ١٢/ ١٢٥.

ثانيا:معنى البصيرة في الاصطلاح:هي:(قوة القلب المدركة ...وبصر بكذا :علم)[١]ويقول أبو حيان:(البصيرة: نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي به تبصر.. والبصيرة للقلب مستعارة من إبصار العين.. (و)البصيرة الحجة البينة الظاهرة)[٢]ويقول الشيخ الفوزان:(البصيرة معناها:العلم، بل هي أعلى درجات العلم)[٣].

المطلب الثاني:أصحاب البصيرة:أهل البصيرة هم المؤمنون ،فهي جزاء عاجل لهم في الدنيا ، قال تعالى ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق : ٨] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا أن بصيرة المؤمن السليمة تبين له تلبيسات الشيطان ووسوسته:((تبصرة) إذا قدر أنه مسه طيف من الشيطان فشككه فيما عرفه ..فإذا رأى آياته المستلزمة لوجوده كان ذلك تبصرة من ذلك الطيف كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[الأعراف:٢٠١][٤]فالعبد إذا زل تذكر وعرف أنها معصية فأبصر وتاب.[٥] يقول شيخ الإسلام:(وتكون تذكرة إذا حصل نسيان وغفلة تذكرة بالله فهي تبصرة لما قد يعرض من الجهل وتذكرة لما قد يحصل من غفلة ، وإن كان أصل المعرفة فطريا حصل

---

(١) كتاب الكليات ١/ ٢٤٧.

(٢) تفسير البحر المحيط ٤/ ١٩٩

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد/ الفوزان: ١ / ١٠٢.

(٤) درء التعارض/ ابن تيمية :٨/ ٥٣١.

(٥) انظر:تفسير البغوي:٢/ ٢٢٥.

في النفس بلا واسطة ألبتة).[١] فالبصيرة هي :هدى الله وبيانه وطاعته فيه[٢]. وقال رسول الله- -صلى الله عليه وسلم-مبينا أن البصيرة تكون للمؤمنين: (يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال فيأمر الدجال به فيقول :خذوه وشجوه. فيوسع ظهره وبطنه ضربا قال:فيقول:أوما تؤمن بي قال:فيقول:أنت المسيح الكذاب . قال : فيؤمر به فيؤشر[٣] بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال : ثم يمشى الدجال بين القطعتين ثم يقول له :قم. فيستوي قائما . قال : ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول :ما ازددت فيك إلا بصيرة)[٤] .(أي: زيادة علم ويقين بأنك كاذب)[٥].

المطلب الثالث:مكان البصيرة:مكان البصيرة هو القلب[٦] والدليل على أن مكان البصيرة القلب قوله تعالى عن الكفار: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ ﴾ [الحج:٤٦] لقد نفى الله تعالى عن الكفار عمى البصر وأثبت لهم عمى القلب مع وجود حاسة الرؤية وهي العين

---

(١) درء التعارض/ ابن تيمية ٨/ ٥٣١.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ١٥٩.

(٣) أي: ينشر ويقطع نصفين.

(٤) أخرجه مسلم: ٤/ ٢٢٥٦ ،ح/ ٢٩٣٨، كتاب: الفتن ،بَاب: ذِكْرِ الدَّجَّالِ وصفة وما معه.

(٥) مرقاة المفاتيح ١٠/ ١٢٨.

(٦) شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية / عمر بن سعود بن فهد العيد: ١٢ / ٨ المكتبة الشاملة.

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يونس :٤٣] .وقوله تعالى﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف :١٩٨] وقوله تعالى : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾[هود:٢٠] وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [يس:٩]وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [البقرة:١٧].فالبصيرة تكون في القلب السليم الخالي من الشبهات الملبسة والشهوات المزلة فهو يبصر الحق النابع من الكتاب والسنة ويتتبعه بإخلاص تفضلا من الله تعالى للمتقي ، قال صلى الله عليه وسلم: (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ،ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ،فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته)[1].

---

(١) أخرجه: البخاري:٥/ ٢٣٨٤ ،ح/ ٦١٣٧،كِتَاب الرِّقَاقِ ،بَاب الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ .

المطلب الرابع: علاقة الفراسة بالبصيرة: الفراسة والبصيرة متشابهتان من حيث المعنى والمكان ،فمكانهما القلب ،ومن حيث إنهما نور من الله يقذفه الله في القلب فيرى المؤمن التقي ما لا يراه غيره فضلا من الله ،وقد مر معنى البصيرة في الاصطلاح وأنها :(البصيرة: نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي به تبصر.. والبصيرة للقلب مستعارة من إبصار العين..(و)البصيرة الحجة البينة الظاهرة)[١] و كذلك مر معنى الفراسة في الاصطلاح كما عرفها ابن القيم بأنها(خاطر يهجم على القلب ينفي مايضاده يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة..)[٢].وكما عرفها ابن الأثير بأنها:(ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس).[٣](ويقال للفِراسة الصادقة فِراسةٌ ذاتُ بصيرة ويقال أعمى الله بصائره أي:فِطَنَه).[٤]و(البصيرة قوة الإدراك و الفطنة و العلم و الخبرة، و يقال فراسة ذات بصيرة صادقة،و فعل ذلك عن بصيرة)[٥](وله فراسة ذات بصيرة وذات بصائر وهي الصادقة)[٦] (ويقال للفِراسَةِ الصّادِقَةِ فِرَاسَةٌ ذاتُ بَصِيرَةٍ ومِن ذلك قولُهم رأَيتُ عليك ذاتَ البَصَائِرِ والبَصِيرَةُ الثَّباتُ في

(١) تفسير البحر المحيط ٤/ ١٩٩

(٢) مدارج السالكين:٢/ ٤٨٤، وانظر:معجم مقاليد العلوم ج١/ ٢٢١،و فتاوى الشيخ عبدالله بن عقيل:١ / ٤٨.

(٣) النهاية في غريب الأثر:٣/ ٤٢٨ ،و انظر:تاج العروس: ١٦/ ٣٢٨ -٣٢٩ .

(٤) تهذيب اللغة:١٢/ ١٢٥،وانظر: لسان العرب:٤/ ٦٥.

(٥) المعجم الوسيط ١/ ٥٩.

(٦) أساس البلاغة ١/ ٤١.

الدِّين...)[١].ويقول الإمام ابن القيم إن الفراسة الإيمانية:(تبصرة وبرهان وفراسة صادقة فهذا شأن الفراسة وهي نور يقذفه الله في القلب فيخطر له الشيء فيكون كما خطر له وينفذ إلى العين فيرى مالا يراه غيره).[٢]فمن ذلك يتبين أن أخص أنواع الفراسة وهي الفراسة الصادقة مرادفة للبصيرة ،لأنه يقال للفراسة الصادقة ذات بصيرة.ويذكر الإمام ابن القيم أن البصيرة هي سبب الفراسة بقوله:(إن البصيرة تنبت في أرض القلب الفراسة الصادقة وهي نور يقذفه الله في القلب يفرق به بين الحق والباطل والصادق والكاذب قال الله تعالى﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر :٧٥]. قال مجاهد: للمتفرسين) [٣] [٤]ويقول ابن القيم أيضًا:(وعلى حسب قوة البصيرة وضعفها تكون الفراسة)[٥]والله أعلم.

---

(١) تاج العروس ١٠/ ٢٠٩.
(٢) الروح/ ابن القيم: ١/ ٢٤٠ ،وانظر تحفة الأحوذي/ المباركفوري: ٨/ ٤٤٢.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) مدارج السالكين ١/ ١٢٩.
(٥) مدارج السالكين :١/ ١٣٠.

المبحث السابع:
علاقة الفراسة بالنور

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النور والاستدلال عليه وفيه:أولا:معنى النور في اللغة: هو:الضياء والجمع أنوار وهو أيضا الإسفار ،وهو أيضا إزهار الشجرة يقال نورت الشجرة تنويرا أي:أخرجت نورها ،و النوار مضموما مشددا نور الشجر ،و المنار علم الطريق، و المنارة التي يؤذن عليها .(١)

ثانيا:معنى النور في الاصطلاح:عرف الإمام ابن كثير النور المعنوي:بأنه (هدى يتبصر به من العمى والجهالة).(٢)و يقول المناوي(٣) عن النور المحسوس:(النور كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر المبصرات)(٤)وقال الراغب:الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار وذلك ضربان ؛ دنيوي وأخروي ،والدنيوي ضربان ؛ ضرب معقول بعين البصيرة ...كنور العقل والقرآن وضرب محسوس بالبصر وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم).(٥)

---

(١) انظر:مختار الصحاح :١/ ٢٨٥.

(٢) تفسير ابن كثير:٤/ ٣١٨ ،وانظر أضواء البيان:٢/ ٥٢.

(٣) هو:محمد عبد الرؤوف المناوي،من مؤلفاته:شرح على العقائد للتفتازاني، وشرح الجامع الصغير، ت:١٠٣١هـ.انظر:الأعلام/ الزركلي: ٧/ ٧٥.

(٤) التعاريف :١/ ٧١٢ ،وانظر: التعريفات ١/ ٣١٦.

(٥) التعاريف ١/ ٧١٢ ،وانظر: التعريفات ١/ ٣١٦.

ثالثا:الأدلة على النور:لقد سمى الله - عز وجل- في كتابه القرآن نورا وأثبته لعباده المتقين فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) ﴾ [الحديد:٢٨]. وسبب نزولها أنه لما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بمحمد-صلى الله عليه وسلم- ، بقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤) ﴾ [القصص:٥٤] . ففخروا على المسلمين ، فقالوا يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا ، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ .. ﴾ فجعل لهم أجرهم ، وزادهم النور والمغفرة .ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال:٢٩].ومن الفرقان الهدى الذي يفرق به بين الحق والباطل[١]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢) ﴾ [الزمر:٢٢] . وقوله تعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾ [الأنعام:١٢٢] . وهذا النور الذي ذكر في القرآن أربعة أقوال :- أحدها: أنه القرآن ، والثاني: أنه النور الذي يمشي به المؤمنون على الصراط ، والثالث:

(١) انظر: شفاء العليل/ ابن القيم ١/ ٨٦.

أنه الهدى، والرابع: أنه الإيمان .والراجح أنه القرآن ، ولا مانع من اجتماعها في حق المؤمن في الدنيا والآخرة .[١]لأن النور الذي يجعل للمؤمن يشمل جميع جوانب حياته الحسية والمعنوية. **ومن السنة** :قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:اللهم اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وفي لِسَانِي نُورًا وفي سَمْعِي نُورًا وفي بَصَرِي نُورًا وَمِنْ فَوْقِي نُورًا وَمِنْ تَحْتِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ شِمَالِي نُورًا وَمِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُورًا وَمِنْ خَلْفِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا وَأَعْظِمْ لِي نُورًا)[٢]

المطلب الثاني:أنواع النور

النور الأول :**في الدنيا** وهو قسمان:

أولا:النور الحسي والدليل ما جاء عن أَنَس قوله :أَنَّ رَجُلَيْنِ من أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم خَرَجَا من عِنْد النبي -صلى الله عليه وسلم- فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلُ الْمِصْبَاحَيْنِ يُضِيئَانِ بين أَيْدِيهِمَا فلما افْتَرَقَا صَارَ مع كل وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حتى أتى أَهْلَهُ).[٣]

ثانيا:النور المعنوي:فقد كان - صلى الله عليه وسلم- يدعو ربه وهو يمشي للمسجد بهذا فيقول :(اللهم اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وفي لِسَانِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا وَاجْعَلْ من خَلْفِي نُورًا وَمِنْ

---

(١) انظر: جامع البيان/ الطبري ٢٧: ٢٤٢- ٢٤٥، وزاد المسير/ ابن الجوزي ٨ : ١٧٨- ١٧٩.

(٢) أخرجه البخاري:٥/ ٢٣٢٧،ح/ ٥٩٥٧،كِتَاب الدَّعَوَاتِ، بَاب الدُّعَاءِ إذا انْتَبَهَ بِاللَّيْلِ،مسلم:١/ ٥٢٩ ،ح/ ٧٦٣ ،كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَاب الدُّعَاءِ في صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ .

(٣) أخرجه البخاري ١/ ١٧٧،ح/ ٤٥٣ ،كِتَاب الصَّلَاةِ، بَاب إِدْخَالِ الْبَعِيرِ في الْمَسْجِدِ.

أَمَامِي نُورًا وَاجْعَلْ من فَوْقِي نُورًا وَمِنْ تَحْتِي نُورًا اللهم أَعْطِنِي نُورًا).(١)
يعني :اجعل النور يحفني من جميع الجهات الست ونورا في سمعي ونورا في بصري لأن إبليس يأتي الإنسان من هذه الأعضاء فيوسوس فدعا بإثبات النور فيها ليدفع ظلمته عنها ،والأولى أن يقال هي مستعارة للعلم والهداية كما قال تعالى: ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٢٢].وقوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢].مظهر ما نسب إليه وهو يختلف بحسبه ،فنور السمع مظهر للمسموعات ونور البصر كاشف للمبصرات ونور القلب كاشف عن المعلومات ونور الجوارح ما يبدو عليها من أعمال الطاعات وكل هذه الأمور راجعة إلى الهداية والبيان وضياء الحق.(٢)

النوع الثاني في الآخرة:والدليل قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد:١٣].

المطلب الثالث:أهل النور:النور جزاء من الله للمؤمنين فيمنعهم بإذن الله من الضلال ،فيكونوا على حذر من فعل المعاصي من الظلم وغيره بسبب البصيرة التي تكون في قلوبهم ،وأما العاصي لله فإن الظلم بأنواعه يطمس بصيرته فيزيد ظلامه وظلمه.

المطلب الرابع:أسباب النور:إن النور الذي يكون في الدنيا للمتقين فضل من الله ليجنبهم البغي و الظلم بأنواعه الذي هو ظلمات على صاحبه في الدنيا والآخرة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم:(الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يوم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر:تحفة الأحوذي:٩/ ٢٦١ -٢٦٢ .

الْقِيَامَةِ).[١] ومنه يظهر أن سبب الظلمات يوم القيامة هو الظلم كما قال ابن حجر:(إنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر ، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئا يوم القيامة).[٢]

المطلب الخامس:علاقة الفراسة بالنور:قال سبحانه وتعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد:٢٨].ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم، وهذا النور هو الفِراسة وقوله عليه الصلاة والسلام «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.)[٣][٤]وقد استنبط شيخ الإسلام ابن تيمية استنباطا جيدا من قوله تعالى:﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النور :٣٠]. وقوله تعالى :﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ

---

(١) أخرجه البخاري:٢/ ٨٦٤،ح/ ٢٣١٥،كِتَاب :المظالم ،بَاب :الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يوم الْقِيَامَةِ .

(٢) فتح الباري/ ابن حجر:٢/ ٦٦.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: الجواب الصحيح :٣/ ١٤٥ -١٤٧،وكتب صالح آل الشيخ (في العقيدة:٢٦ / ١٩٦المكتبة الشاملة.

يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور:٣١] . وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[النور:٣٥] .فذكر أن فِي هَذِهِ السُّورَةِ ذَكَرَ الله آيَةَ النُّورِ بَعْدَ الأمر بغَضِّ الْبَصَرِ وَحِفْظِ الْفَرْجِ وَأَمْرُهُ بِالتَّوْبَةِ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ أَنْ يُدْرِكَ ابْنُ آدَمَ مِنْ ذَلِكَ .فإِذَا كَانَ النَّظَرُ بِنُورِ الْعَيْنِ مَكْرُوهًا أَوْ إِلَى مَكْرُوهٍ فَتَرَكَهُ للهَّ أَعْطَاهُ اللهُّ نُورًا فِي قَلْبِهِ وَبَصَرًا يُبْصِرُ بِهِ الْحَقَّ.قَالَ شَاهُ الكرماني:مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ الْمَحَارِمِ وَعَمَّرَ بَاطِنَهُ بِدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ وَظَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَعَوَّدَ نَفْسَهُ أَكْلَ الْحَلَالِ وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنْ الشَّهَوَاتِ:لَمْ تُخْطِئْ لَهُ فِرَاسَةٌ .[١]

(١) انظر:مجموع الفتاوى :١٥/ ٣٩٦.

المبحث الثامن:
علاقة الفراسة بالظن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الظن وفيه:

أولا: معنى الظن في اللغة: الظن العلم دون يقين، والظنين المتهم، والظنة التهمة ، وأظنه بالطاء والظاء إذا اتهمه ، و مظنة الشيء موضعه ومألفه الذي يظن كونه فيه والجمع المظان.(١)

ثانيا: معنى الظن في الاصطلاح: يقول الجرجاني: (الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك ،وقيل الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان).(٢)

المطلب الثاني: علاقة الفراسة بالظن: هناك فرق بين الفراسة بالأمور و التي هي نور وبصيرة يقذفه الله بقلب التقي وبين سوء الظن الذي يوسوس به الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء ، يقول الإمام ابن القيم: (والفرق بين الفراسة والظن أن الظن يخطئ ويصيب وهو يكون مع ظلمة القلب ونوره وطهارته ونجاسته ،ولهذا أمر تعالى باجتناب كثير منه وأخبر أن بعضه إثم ، يقول سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾[الحجرات:١٢]. وأما الفراسة فأثنى على أهلها

---

(١) انظر: مختار الصحاح ١/ ١٧١.

(٢) التعريفات/ الجرجاني: ١/ ١٨٧.

ومدحهم بها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[الحجر:٧٥]. قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره(أي:للمتفرسين) وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. ، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾[محمد : ٣٠]. فالفراسة الصادقة تكون لقلب قد تطهر وتصفى وتنزه من الأدناس وقرب من الله فهو ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه... قال رسول الله :((اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فإنه يَنْظُرُ بِنُورِ الله))[١][٢]. و:(عن النَّوَّاسِ بن سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قال سَأَلْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فقال: الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ ما حَاكَ في صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه الناس).[٣] وقوله لوابصة[٤]:(يا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ أو تسألني ؟قلت:لاَ بَلْ أخبرني ،فقال: جِئْتَ تسألني عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ ؟فقال: نعم ،فَجَمَعَ أَنَامِلَهُ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِنَّ في

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: الروح/ ابن القيم: ١/ ٢٣٨- ٢٤٠ ،و تحفة الأحوذي/ المباركفوري: ٨/ ٤٤١-٤٤٢.

(٣) أخرجه مسلم ٤/ ١٩٨٠.

(٤) هو:وابصة بن معبد الجهني من أهل الصفة.انظر: حلية الأولياء/ الأصبهاني:٢/ ٢٣.

صدري وَيَقُولُ:يا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، الْبِرُّ ما اطْمَأَنَّتْ إليه النَّفْسُ ، وَالإِثْمُ ما حَاكَ في النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ وان أَفْتَاكَ الناس وَأَفْتَوْكَ)[١] يقول ابن حجر:(جعل شهادة قلبه حجة مقدمة على الفتوى....فثبت بهذا أن الإلهام حق وأنه وحي باطن وإنما حرمه العاصي لاستيلاء وحي الشيطان عليه قال:وحجة أهل السنة الآيات الدالة على اعتبار الحجة والحث على التفكر في الآيات والاعتبار والنظر في الأدلة وذم الأماني والهواجس والظنون وهي كثيرة مشهورة ، وبأن الخاطر قد يكون من الله وقد يكون من الشيطان وقد يكون من النفس ، وكل شيء احتمل أن لا يكون حقا لم يوصف بأنه حق قال:والجواب عن قوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ [الشمس:٨].أن معناه عرفها طريق العلم وهو الحجج ، وأما الوحي إلى النحل فنظيره في الآدمي فيما يتعلق بالصنائع وما فيه صلاح المعاش ، وأما الفراسة فنسلمها لكن لا نجعل شهادة القلب حجة لأنا لا نتحقق كونها من الله أو من غيره .... قال ابن السمعاني:وإنكار الإلهام مردود ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه به، ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك أن كل ما استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول وإلا فمردود يقع

(١) أخرجه أحمد:٤/ ٢٢٨،وصححه الألباني في صحيح أبي داود:٩٤٨وصححه أحمد شاكر في عمدة التفسير: ١/ ٣٣٢.

من حديث النفس ووسوسة الشيطان، ثم قال:ونحن لا ننكر أن الله يكرم عبده بزيادة نور منه يزداد به نظره ويقوي به رأيه، وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لا يعرف أصله ولا نزعم أنه حجة شرعية وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة ...ويؤخذ من هذا ما تقدم التنبيه عليه أن النائم لو رأى النبي -ﷺ- يأمره بشيء هل يجب عليه امتثاله ولا بد أو لا بد أن يعرضه على الشرع الظاهر فالثاني هو المعتمد).[1]

(١) فتح الباري/ ابن حجر: ١٢/ ٣٨٨-٣٨٩ .

المبحث التاسع:
علاقة الفراسة بسرعة البديهة وحسن التصرف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:تعريف:البديهة:سريع البديهة هو الذكي الذي يفاجئ خصمه عند الحاجة لذلك. يقول ابن منظور[1]:(البده والبديهة والبداهة أول كل شيء وما يفجأ منه....وتقول:بادهني مبادهة أي:باغتني مباغتة... (ويقول) ابن الأعرابي:بده الرجل إذا أجاب جوابًا سديدًا على البديهة)[2].

المطلب الثاني: علاقة الفراسة بسرعة البديهة:البديهة سبب من أسباب التخلص من المأزق.والبداهة والفراسة كلاهما من وسائل حسن التصرف ،فقد تكون البداهة للصغير والكبير والصالح وغيره ، ومن بداهة المؤمن والتي تعد من الفراسة مارواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر وأبو بكر شيخ يعرف ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف قال:فيلقى الرجل أبا بكر فيقول:يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول :هذا الرجل يهديني السبيل قال:فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق وإنما يعني سبيل الخير)[3].فلقد تخلص أبو بكر ببداهته وحسن تصرفه من قريش التي كانت تتربص بالرسول ﷺ فبثت العيون،ورصدت الجوائز لمن يأتي به .

---

(١) هو:محمد بن مكرم الأنصاري الأفريقي ثم المصري جمال الدين كان ينسب إلى رويفع بن الأنصاري جمع كتاباً في اللغة سماه لسان العرب جمع فيه التهذيب والمحكم والصحاح ت: ٧١١هـ انظر الدر الكامنة ٥/ ٣١-٢٢.

(٢) لسان العرب/ ابن منظور: ١٣/ ٤٧٥، ط/ ١، دار صادر، بيروت.

(٣) أخرجه البخاري: ٣/ ١٤٢٣،ح/ ٣٩١١ ،كتاب بدء الوحي، باب هجرة النبي ﷺ .

المبحث العاشر:
علاقة الفراسة بالإلهام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإلهام وفيه:

أولا: معنى الإلهام في اللغة: قال ابن منظور: (ألهمه الله خيرا لقنه إياه و استلهمه إياه سأله أن يلهمه إياه ، و الإلهام ما يلقى في الروع ويستلهم الله الرشاد و ألهم الله فلانا وفي الحديث(أسألك رحمة من عندك تلهمني بها رشدي)[1] الإلهام أن يلقي الله في النفس أمرا يبعثه على الفعل أو الترك وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده). [2]

ثانيا: معنى الإلهام في الاصطلاح: يقول الإمام الطبري: (وقوله ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ [الشمس:٨]. يقول تعالى ذكره فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير أو شر أو طاعة أو معصية).[3]. و يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن :(الإلهام هو: أن يلهم الله المرء التوجه إلى عمل ما ينفعه في الدين والدنيا وإلى الكف عما يضره ،ويرشده إلى ذلك ويقوي عزمه عليه ويملأ قلبه ثباتا ويقينا ويشرح صدره لذلك العمل المعزوم عليه ، وينفذه عمليا لما وقر في قلبه ، كل ذلك يتم من غير علم من المرء نتيجة ذلك العمل المبرم ،ولكن توجهه هذا موفق لأنه إلهام

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٤٨٢ -٤٨٣،ح/ ٣٤١٩،كِتَاب الدَّعَوَاتِ، **باب ما يقول إذا قام من الليل** ،وابن خزيمة ٢/ ١٦٦.

(٢) لسان العرب ١٢/ ٥٥٥،وانظر: النهاية في غريب الأثر:٤/ ٢٨٢،ومختار الصحاح:١/ ٢٥٣.

(٣) تفسير الطبري:٣٠/ ٢١٠ وانظر: تفسير ابن كثير:٤/ ٥١٧،و أضواء البيان:٨/ ٥٤١،و الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار:٢ / ٤١٦.

من عالم الغيب الذي لا يضل ولا ينسى سبحانه وتعالى ، وهـذا التوفيـق لا علاقة للمرء بعلم الغيب، وكذلك ما يراه النائم).[١]ويقول أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري:(الإلهام إلقاء معنى في القلب يطمئن له الصدر يخص الله به بعض أصفيائه وليس بحجة من غير معصوم)[٢] وهم الرسل فهو من أنواع الوحي قال الله عز وجل:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى:٥١]، فذكر الله عز وجل في هذه الآية مراتب الوحي، وجعلها **ثلاث مراتب.المرتبة الأولى**:الوحي(الإلهام والرؤيا) .**المرتبة الثانية**: التكليم من وراء حجاب.**المرتبة الثالثة**: التكليم بواسطة ملك.[٣] فالإلهام قد يكون للبشر وغيرهم ممن شاء الله أن يلهمه، كما قال الله تعالى:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾[النحل:٦٨] ،فأخبر بإيحائه إلى النحل،ومنه قول الله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [القصص:٧] .[٤] فالخلاصة أن الإلهام من غير الأنبياء ليس بحجة وهذا مجمع عليه[٥] يقول شيخ الإسلام:(الإلهام هو

---

(١) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية / عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن:١ / ٩٢.

(٢) الحدود الأنيقة:١/ ٦٨.

(٣) انظر:مجموع الفتاوى/ ابن تيمية ١٢ / ٢٧٩،و تفسير الطبري:٣/ ٢٦٦،و مختصر سيرة الرسول / الشيخ محمد بن عبد الوهاب :١ / ٧٧ ،وشرح لمعة الاعتقاد / خالد بن عبدالله بن محمد المصلح:٤ / ١٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٣/ ٢٦٦،و إعانة المستفيد:١ / ٢٢٩،وشرح لمعة الاعتقاد / المصلح:٤ / ١٠.

(٥) انظر: جماع العلم/ الشافعي :١١، وجامع بيان العلم وفضله/ ابن عبد البر :٢/ ٣٣ ، ومجموع الفتاوى/ ابن تيمية:١٩/ ٩،وزيارة هود عليه السلام وما فيها من ضلالات ومنكرات/ أحمد بن حسن المعلم :١ / ١٩،و قواعد معرفة البدع / محمد بن حسين الجيزاني:١ / ٣١ و٩١.

تخايل يقع في القلب قد يكون ذلك من الله ،وقد يكون من وسوسة الشيطان، وليس على أحدهما دليل يدل عليه ،ولأن من يدعي الإلهام يمكن خصمه أن يدعي خلافه ، فإنه إذا قال ألهمت بكذا فيقول خصمه: وأنا ألهمت بكذا، فكان العمل به عملا بلا دليل) .[١]

المطلب الثاني:الأدلة على الإلهام: هناك أدلة كثيرة على الإلهام منها:**الدليل الأول** : يقول الله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ [الشمس:٧-٨] (المقصود بالإلهام هنا: أن يوقع الله في قلب الإنسان تمييز بين الحق والباطل ، وما يقذفه اللهّ تعالى في قلب العبد).[٢] **الدليل الثاني**: لما أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قال يا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي فقال: (قُلْ اللهم أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي من شَرِّ نَفْسِي).[٣]والإلهام هنا بمعنى التوفيق يقول القارئ:(اللهم ألهمني رشدي بضم فسكون وبفتحتين أي:وفقني إلى الرشد وهو الاهتداء إلى الصلاح).[٤] **الدليل**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل/ ابن تيمية :٨ / ٢٩.

(٢) تفسيرأبي السعود :٥ / ٣٠٧،وانظر:تفسير الطبري:٣٠/ ٢١٠،وتفسير ابن كثير:٤/ ٥١٧ ،و مفاتيح الغيب/ الرازى: ٣ / ١٧٥،وأضواء البيان: ٨/ ٥٤١،وروح المعانى/ الألوسي:١١ / ١٢١،و التفسير الوسيط/ طنطاوى:١٥ /٤١٢- ٤١٣،و شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية/ عمرالعيد: ٥ / ٢٣ المكتبة الشاملة.

(٣) أخرجه الترمذي ٥/ ٥١٩،ح/ ٣٤٨٣ ، كِتَاب الدَّعَوَاتِ ،بَاب جَامِعِ الدَّعَوَاتِ عن النبي ﷺ . وقال:(قال هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وقد رُوِيَ هذا الْحَدِيثُ عن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ من غَيْرِ هذا الْوَجْهِ) ،و الطبراني في المعجم الكبير:١٨/ ١٧٤ والمعجم الأوسط:٢/ ٢٨٠،والبزار في مسنده :٩/ ٥٣ والعراقي في المغني عن حمل الأسفار:١/ ٢٨٢ رواه(الترمذي ..ورواه النسائي في اليوم والليلة والحاكم من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين)و صححه ابن القيم في الوابل الصيب:١٩٩.

(٤) مرقاة المفاتيح ٥/ ٣٨٣.

الثالث: قال -صلى الله عليه وسلم- لَيْلَةً حين فَرَغَ من صَلَاتِهِ:(اللهم إني أَسْأَلُكَ رَحْمَةً من عِنْدِكَ تَهْدِي بها قَلْبِي وَتَجْمَعُ بها أَمْرِي وَتَلُمُّ بها شَعَثِي وَتُصْلِحُ بها غَائِبِي وَتَرْفَعُ بها شَاهِدِي وَتُزَكِّي بها عَمَلِي وَتُلْهِمُنِي بها رُشْدِي وَتَرُدُّ بها أُلْفَتِي وَتَعْصِمُنِي بها من كل سُوءٍ).[١] **الدليل الرابع** : قوله صلى الله عليه وسلم:(قد كان يَكُونُ في الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ في أُمَّتِي منهم أَحَدٌ فإن عُمَرَ بن الْخَطَّابِ منهم)(قال بن وَهْبٍ تَفْسِيرُ مُحَدَّثُونَ مُلْهَمُونَ)[٢] وفي رواية (لقد كان فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ من بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ من غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ من أُمَّتِي منهم أَحَدٌ فَعُمَرُ).[٣] قال الكرماني :(يعني الملائكة تكلمهم). فهو رضي الله عنه المحدث الملهم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه).[٤](ولأجل ذلك يكثر موافقته للسنة وموافقته للقرآن، فإنه أشار على النبي -صلى الله عليه وسلم-أن يبقي زوجاته محجبات وأشار باتخاذ مقام إبراهيم مصلى والمرة الثالثة قال لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم لما اجتمعن في الغيرة عليه: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ [التحريم:٥][٥]، و كذلك أيضاً في قصة أسارى بدر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم:٤/ ١٨٦٤،ح/ ٦٣٥٧، كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ،باب من فضائل عمر ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري ٣/ ١٣٤٩،ح/ ٣٤٨٦،كتاب فضائل الصحابة،بَاب مَنَاقِبِ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ.

(٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية: ١٥/ ١٨٥،وانظر: تفسير الخازن:٤ / ٣٥٣،وشرح الزرقاني ٤/ ٤٥٢،و عمدة القاري:ج١٦/ ١٩٩،وكتاب موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الرافضة.

(٥) أخرجه البخاري ١/ ١٥٧،ح ٣٩٣ ، ،كِتَاب الصَّلَاةِ ،بَاب ما جاء في الْقِبْلَةِ بلفظ:(قال عُمَرُ وَافَقْتُ رَبِّي في ثَلَاثٍ فقلت: يا رَسُولَ اللهِ لو اتَّخَذْنَا من مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى فَنَزَلَتْ وَاتَّخِذُوا من مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى وَآيَةُ الْحِجَابِ قلت يا رَسُولَ اللهِ لو أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فإنه يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ

لما أشار بقتلهم فنزل القرآن موافقاً له(١)، فذلك دليل على أنه رضي الله عنه كان من المحدثين الملهمين. (٢)لكن الإلهام إذا لم يكن في الكتاب والسنة أو كان في خلافهما فإنه لا يعتد به ،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(وكذلك من اتبع ما يرد عليه من الخطاب أو ما يراه من الأنوار والأشخاص الغيبية ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسنة فإنما يتبع ظنا لا يغني من الحق شيئا ،فليس في المحدثين الملهمين أفضل من عمر كما ﷺ قال: أنه قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر منهم،وقد وافق عمر ربه في عدة أشياء ومع هذا فكان عليه أن يعتصم بما جاء به الرسول، ولا يقبل ما يرد عليه حتى يعرضه على الرسول، ولا يتقدم بين يدي الله ورسوله ،بل يجعل ما ورد عليه إذا تبين له من ذلك أشياء خلاف ما وقع له فيرجع إلى السنة وكان أبو بكر يبين له أشياء خفيت عليه فيرجع إلى بيان الصديق وإرشاده وتعليمه).(٣) وقال ابن حجر(٤):(إن المحدَّث منهم إذا تحقق وجوده لا يحكم بما وقع له بل لابد له من عرضه على القرآن فإن وافقه أو وافق السنة عمل

وَالْفَاجِرُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النبي ﷺ في الْغَيْرَةِ عليه فقلت لَهُنَّ : عَسَى رَبُّهُ إن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ هذه الْآيَةُ).

(١) أخرجه مسلم:٣/ ١٣٨٥، / ١٧٦٣، كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ ،باب الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ في غَزْوَةِ بَدْرٍ.

(٢) انظر:شرح العقيدة الطحاوية/ عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين ٤ / ٣٥-٣٦.

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير:١٣/ ٧٣ -٧٥،و أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية -٢ / ٣٥٦،و الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية/ سليمان بن سحمان: ٣ / ٥٧.

(٤) هو:أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، المحدث والأديب،والمؤرخ،والشاعر له مصنفات منها:فتح الباري والدرر الكامنة.ت: ٨٥٢هـ. انظر:البدر الطالع/ الشوكاني: ١/ ٨٧-٢/ ٩٢، الضوء اللامع/ السخاوي: ١/ ٣٦.

به وإلا تركه وهذا وإن جاز أن يقع لكنه نادر ممن يكون أمره منهم مبنيا على اتباع الكتاب والسنة).[١]

المطلب الثالث:علاقة الفراسة بالإلهام:يقول ابن القيم:(التحقيق في هذا : أن كل واحد من الفراسة والإلهام ينقسم إلى عام وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر ، وعام كل واحد قد يقع كثيرا ، وخاصة قد يقع نادرا ، ولكن الفرق الصحيح : أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل[٢] ، وأما الإلهام فموهبة مجردة ، لا تنال بكسب البتة..)[٣]. والفراسة الإيمانية أقرب ما تكون إلى الإلهام، و الإلهام قد يكون خارقاً للعادة وقد لا يكون، فإن كان خارقا كان كرامة إذا كان الملهم من البشر لكن من غير الرسل لأنه في حقهم معجزة، وقد مر في تعريف الفراسة:(بأنها نور يقذفه الله في قلب بعض عباده، بها يعلم مُخَبَّآتْ ما في صدور بعض الناس.... وهي...أقرب ما تكون إلى الإلهام، والإلهام قد يكون خارقاً للعادة وقد لا يكون).[٤]

---

(١) فتح الباري ٧/ ٥١ ،وانظر: الإحكام في أصول الأحكام/ ابن حزم: ١/ ٢٠.

(٢) وذلك في الفراسة الخلقية أو الرياضية التي تكون عن طريق الرياضة والتجربة.

(٣) تفسير القرآن الكريم/ ابن القيم ١ / ٤٨ دار ومكتبة الهلال،بيروت،١٤١٠ هـ.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية / صالح آل الشيخ :١ / ٦٨٣،و إتحاف السائل / صالح آل الشيخ :٤٧.

المبحث الحادي عشر:
علاقة الفراسة بالعيافة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العيافة والكهانة: وفيه:

أولا: معنى العيافة في اللغة: معنى أعافه أي: أكرهه عفته عيافا وعيافة والعيافة تأتي في اللغة بمعنى الحومان وحام الطير على الشيء حوما داوم. يقول ابن سيده: (وعاف الطائر عيفانا حام في السماء وعاف عيفا حام حول الماء وغيره)[1]. ويقول ابن الأثير: (يقال عاف يعيف عيفا إذا زجر وحدس وظن).[2] ويقول ابن منظور: (و عاف الطائر وغيره من السوانح يعيفه عيافة زجره وهو أن يعتبر بأسمائها ومساقطها وأصواتها).[3] وممرها لمعرفة الغيب و ما سيقع من الشر والخير، وقد كانت العرب تفعل ذلك من باب التشاؤم والتفاؤل. إذا أرادوا فعل أمر كسفر أو تجارة أتوا إلى الغربان أو الحمام أو غيرهما فينفرونهما أو يزجرونهما فإذا طارت باتجاه اليمين تفاءلوا وأقدموا على هذا الأمر، وإذا اتجهت نحو الشمال تشاءموا وأحجموا عن هذا الأمر.[4]

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم/ ا بن سيده : ٢/ ٢٥٨ ،و مشارق الأنوار: ٢/ ١٠٧.

(٢) النهاية في غريب الأثر: ٣/ ٣٣٠.

(٣) لسان العرب: ٩/ ٢٦١.

(٤) انظر: معارج القبول: ٣/ ٩٩٠-٩٩٣، والشرح الميسر لكتاب التوحيد/ عبد الملك القاسم: ١ / ١٤، المكتبة الشاملة.

ثانيا: معنى العيافة في الاصطلاح:قال القاضي عياض:(العيافة بكسر العين هو زجر الطير والتخرص على الغيب بالحدس والظن).[١]فهو مرادف للطيرة يقول ابن قتيبة:(فالأصل في العيافة للطير ، ومنه قيل فلان يتطير وهو شديد الطيرة)[٢]وأصل التطير:(التشاؤم بالشيء تراه أو تسمعه فتتوهم وقوع المكروه به واشتقاقه من الطير كتطيرهم من الغراب رؤية وصوتا).[٣]و(التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما)[٤]وقد خصه ابن الأثير بمعرفة ماغُيب من الخير وهو التفاؤل بالطير بقوله:(العيافة زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها وهو من عادة العرب كثيرا وهو كثير في أشعارهم).[٥] ومن الاعتبار بأسمائها كالتشاؤم بالعقاب على العقاب وبالغراب على الغربة ويتفاءل بالهدهد على الهدى.[٦] (والعائف:المتكهن)[٧](وربما قالوا للمتكهن:عائف).[٨]وأشهر من عرف

---

(١) مشارق الأنوار/ القاضي عياض: ٢/ ١٠٧،وانظر:غريب الحديث لابن سلام ج٢/ ص٤٤-٤٥ و٤/ ٢١٩،و غريب الحديث للخطابي ١/ ٧٢١ ،وأساس البلاغة ١/ ٤٤٢.

(٢) غريب الحديث / ابن قتيبة ٢/ ٥١٧.

(٣) تفسير غريب ما في الصحيحين : ١/ ٢٢٠ ،وانظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين :٩ / ٥١٥.

(٤) النهاية في غريب الأثر:٣/ ١٥٢.

(٥) النهاية في غريب الأثر:٣/ ٣٣٠.

(٦) انظر: مرقاة المفاتيح/ القارئ: ٨/ ٣٩٨،وعون المعبود/ الطيبي: ١٠/ ٢٨٦-٢٨٧.

(٧) لسان العرب:٩/ ٢٦١.

(٨) مقاييس اللغة ٤/ ١٩٧.

بالعيافة ووصف بها هم بنوأسـد.[١] (وقـد كـان في العـرب جماعـة يعرفـون بذلك كعراف اليمامة والأبلق الأسدي والأجلح وعروة بن يزيد).[٢]ولهب من أزد شنوءة كان عائفا.[٣](ومنهم من أنكرها بعقله وأبطل تأثيرهـا بنظـره وذم من اغتربها واعتمد عليها وتوهم تأثيرها[٤] فمنهم الرقـشى..(و)جهـم الهذلي)[٥] ومن التعريفات الـسابقة يظهـر والله أعلـم أن العيافـة قـد تكـون أشمل من الطـيرة لأن الطـيرة هـي: التـشاؤم والتفـاؤل مـن حركـة الطـير وأصواتها وأنواعها، أما العيافة فيدخل فيها الحدس ، فابن سـيده لم يعلقهـا بزجر الطير بل بالحدس ، يقول:(وقـد تكـون العيافـة :بالحـدس وإن لم تـر شيئا)[٦] أيضا لا تقتصر العيافة على زجر الطير(فقد تجدهم يعيفون بـالبروج والسنوح وعضب القرن).[٧]والعائف: عراف وهو اسـم للكـاهن والمـنجم والرمال ونحوهم كالحازر الذي يدعي علم الغيب أو يدعي الكشف ومـن اشتهر بإحسان الزجر عند العرب سموه عائفا وعرافا ، وعلى هذا فكل مـن

---

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر:٣/ ٣٣٠.

(٢) مفتاح دار السعادة :٢/ ٢٢٩.

(٣) البداية والنهاية :٢/ ٢٨٣،و السيرة النبوية ١/ ٣١٩.

(٤) لأنه قد يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر .والإنسان إذا فتح على نفسه باب التشاؤم، ضاقت عليه الدنيا، وصار يتخيل كل شيء أنه شؤم. انظر:النهاية في غريب الأثر:٣/ ١٥٢،ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين : ٩ / ٥١٥.

(٥) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٠.

(٦) المحكم والمحيط الأعظم/ أبي الحسن علي بن سيده المرسي: : ٢/ ٢٥٨.

(٧) غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٥١٧.

يدعي علم شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن وإما مشارك لـه في المعنى فيلحق به.[١]

ثالثا: معنى الكهانة لغة: بـيّن الفراهيـدي معنـى الكهانـة بقولـه:(كَهَـنَ يَكْهَنُ..قضى له بالغيب)[٢].

رابعا: معنى الكهانة في الاصطلاح: قال العيني:(هي ادعاء علم الغيـب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب ، ويقال هي:الإخبار بما يكون في أقطار الأرض إما من جهة التنجيم أو العرافة ،وهـي:الاسـتدلال على الأمور بأسـبابها أو بـالزجر أو نحـوه ،والكـاهن يطلـق عـلى العـراف والمنجم الذي يضرب بالحصى ،وفي المحكم : الكاهن القاضي بالغيب و.. العرب تسمى كل من آذن بشيء قبل وقوعه كاهناً)[٣]و(قال الخطابي:الكهنـة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فألفتهم الشياطين لما بيـنهم من التناسب في هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه) .[٤]

المطلب الثاني:علاقة الفراسـة بالعيافـة:الفراسـة الإيمانيـة وكـذلك الفراسة الخَلْقية"القيافة"ليس فيها ادعاء علم غيب ولا استعانة بالـشياطين مثل العيافة والتي هـي مـن بـاب الكهانـة والعرافـة، قـال صـلى الله عليـه

(١) انظر:تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / ٣٦٠.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٤/ ١٤٣،وانظر: مختار الصحاح / ٢٤٢.

(٣) عمدة القاري ٢١/ ٢٧٥.

(٤) فتح الباري ١٠/ ٢١٧.

وسلم:(إن العيافة والطيرة والطرق من الجبت)[١]:أي من السحر والكهانة.[٢]فهي من الكهانة والعرافة:لأن فيهما ادعاء للغيب ومعرفة الأمور الغائبة : كالأخبار بما سيقع في الأرض وما سيحصل.[٣]يقول الزمخشري:(الجبت هو:السحر والكهانة).[٤] ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(قد قال غير واحد من السلف: الجبت ؛السحر والطاغوت والأوثان وبعضهم قال:الشيطان وكلاهما حق.وهؤلاء يجمعون بين الجبت الذي هو السحر و الشرك الذي هو عبادة الطاغوت كما يجمعون بين السحر وعبادة الكواكب ،وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام بل ودين جميع الرسل أنه شرك محرم بل هذا من أعظم أنواع الشرك الذي بعثت الرسل بالنهي عنه ومخاطبة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه لقومه كانت في نحو هذا الشرك).[٥]ويقول الشنقيطي:(ولا خلاف بين العلماء في منع

---

(١) أخرجه أبو داود:٤/ ١٦،ح/ ٣٩٠٧،كِتَاب الطِّبِّ،بَاب فِي الْخَطِّ وَزَجْرِ الطَّيْرِ ،و أحمد :٥/ ٦٠،و ابن حبان :١٣/ ٥٠٢، والطبراني في الكبير: ١٨/ ٣٦٩،وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى :٣٥ / ١٩٢رواه:(أَبُو دَاوُد فِي سُنَنِهِ بِإِسْنَادِ حَسَنٍ) وقال عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: ٢٧٥:(إسناده جيد).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز:١/ ٥٦٨،وكشف خفايا علوم السحرة :١ / ٢٣٢.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد:١/ ٣٣٥،و التوحيد / الفوزان : ٣٥.

(٤) الفائق/ الزمخشري: ٢/ ٣٧٢ ،و التيسير بشرح الجامع الصغير: ٢/ ١٥٨،وعون المعبود / لأبي الطيب آبادي:١٠/ ٢٨٨.

(٥) اقتضاء الصراط / ابن تيمية:١/ ٤٠٥،و تيسير العزيز / سليمان بن عبد الله :٣٢٩ ،ومعارج القبول/ الحكمي: ٢/ ٥٦٣.

العيافة والكهانة والعرافة والطرق والزجر والنجوم وكل ذلك يدخل في الكهانة؛لأنها تشمل جميع أنواع ادعاء الإطلاع على علم الغيب)[١]والعيافة من السحر، وذلك لأن السحر اسم لما خفي ولطف سببه[٢]وكذلك هي مرادفة للكهانة. والعيافة والسحر والكهانة محرمة ورد النهي عن تعلمها و فعلها وعن إتيان من اتصف بها ، فعن مُعَاوِيَةَ بن الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم:(إِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قال:فلا تَأْتِهِمْ قال:وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قال:ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ في صُدُورِهِمْ فلا يَصُدَّنَّهُمْ).[٣]و قالت عائشة سأل أناس رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، عن الكهان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ليسوا بشيء قالوا : يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقا ، فقال رسول الله -ﷺ-:تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة).[٤] يقول النووي[٥] :(معناه بطلان قولهم

---

(١) أضواء البيان/ الشنقيطي : ١/ ٤٨٢ ،وانظر: شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ١/ ٥٦٨.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ج١/ ص٣١٣،و الشرح الميسر لكتاب التوحيد / عبد الملك القاسم :١/ ١٤٦.

(٣) أخرجه مسلم ١/ ٣٨١ ، ٥٣٧،كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ ،بَاب تَحْرِيمِ الْكَلَامِ في الصَّلَاةِ .

(٤) أخرجه البخاري ٨ / ٥٨ و ٧ / ١٧٦،و٥٨٥٩،كِتَاب :الْأَدَبِ،بَاب :قَوْلِ الرَّجُلِ لِلشَّيْءِ ليس بِشَيْءٍ، مسلم : ٧/ ٣٦، ح/ ٢٢٢٨،بَاب الطِّبِّ وَالْمَرَضِ وَالرُّقَى ،بَاب الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ .

(٥) هو: شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي ت: ٦٧٦هـ.له مؤلفات عديدة منها :شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، والمهذب، الأذكار. انظر طبقات المحدثين / الذهبي: ١/ ٢١٥.

وأنه لاحقيقة له).[١]ومن يذهب للكهان ويسألهم ولو كان على سبيل التجربة ونحوها ولم يصدقهم فذنبه عظيم ،يقول رسول الله -ﷺ-:(من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)[٢]أما من ذهب للكهان وصدقهم بما يقولون وإن لم يسأل ، فحكمه كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم:(**من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**-ﷺ-).[٣]وقال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى:(وهذا قد يكون من العبث أحياناً ، وقد يكون تخيلاً ، وهو في الحقيقة خدمة للشياطين، وأخذ بأقوالهم وطاعتهم ، ودعوى علم الغيب ، وكله كذب ، وهي لا تفيد شيئاً). [٤]

فظهر أن الفراسة الإيمانية والخلقية لا علاقة لها بالكهانة أما الفراسة الرياضية فقد تدخل في الكهانة .

المطلب الثالث:أنواع الكهانة:الكهانة أنواع عديدة ولها أسماء كثيرة لكن المعنى والمبنى واحد ،فهي ادعاء علم الغيب واستعانة بالشياطين، وأبينها هنا حتى لا يغتر بها أحد فيظنها ليست من الكهانة أو أنها فراسة،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٤/ ٢٢٣.

(٢) أخرجه مسلم: ٧ / ٣٧، ٢٢٣٠،بَاب الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وما يَكُونُ فيه من الشُّؤْمِ ،باب تحريم الكهانة .

(٣) أخرجه ابن ماجه: ١/ ٢٠٩، ح/ ٦٣٩،كِتَاب الطَّهَارَةِ وَسُنَنِهَا ، بَاب النَّهْيِ عن إِتْيَانِ الْحَائِضِ،و الدارمي :١/ ٢٧٥،و أحمد ٢/ ٤٧٦،و الحاكم : ١/ ٤٩، وقال:(هذا حديث صحيح على شرطهما .. ولم يخرجاه).

(٤) شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب / للهيميد :١ / ١٩٤ .

ومن هذه الأنواع:فتح المنديل،و قراءة الكف والفنجان،وفتح الكتاب، وبرج اليوم ،والتخطيط في الرمل ،أو ضرب الودع أو كرة الكريستال والمرايا ،وكما يعلن في بعض المجلات الساقطة عن الخزعبلات حول البروج وما يجري فيها من الحظوظ، والاستدلال بها سيحدث في العالم عن طريق النجوم ، مع أن النجوم مسخرة مخلوقة ليس لها من الأمر شيء فيما يحصل في العالم.وطريقة قراءة الكف هو أن يأخذ الكاهن يد الشخص فينظر فيها ويقول لصاحبها سيحدث لك كذا وكذا. وربما يقع شيء من ذلك، لأن ذلك من جملة الكهانة، ويكون باستخدام الجن والشياطين وجميعها محرمة لأنه لا يجوز الاعتقاد في السحرة والعرافين بأنهم يعلمون الغيب فهو محرم وداخل في الوعيد، حتى ولو كان ما يخبر به من الأمور الغيبية يسيراً أو كان حقيراً، فإنه يعد كفراً.وهذه جميعها لا تجوز(١)ومن الكهانة أيضا ما يسمى بعلم(الرعديات علم يزعم أهله أن الرعد إذا كان في وقت كذا من السنة والشهر فهو علامة على أمور غيبية من جدب وخصب وكثرة الرواج في الأسواق وقلته وكثرة الموت وهلاك الماشية وانقراض المالك ونحو ذلك، والفرق بين العرافة والكهانة مع أنهما يشتركان في دعوى الاطلاع على الغيب أن العرافة مختصة بالأمورالماضية والكهانة مختصة بالأمورالمستقبلة).(٢) وقد اختص اللهّ تعالى بعلمه ،وقال تعالى:﴿ قُل لَّا

---

(١) انظر:فوائد من شرح كتاب التوحيد/ السدحان: ٧٨ ،و شرح الطحاوية/ الغفيص:١ / ٣٠٦،وكلمات و أفعال و معتقدات خاطئة/ الشيخ ياسر برهامي:١ / ٤٤،و شرح الترمذي للشنقيطي:٦٤ / ٨.

(٢) أضواء البيان/ الشنقيطي: ٤/ ٤٩.

يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[النمل : ٦٥]،وقال تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾[الجن : ٢٦ – ٢٧]، أي:لا يطلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته ، فيظهره على ما يشاء من الغيب .. فمن ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل – فهو كاذب مشرك كافر. ،وسبب شركه أنه يدعي مشاركة اللهّ فيما هو من خصائصه، وكافر لأنه يدعي علم الغيب وقد ثبت بالكتاب والسنة أنه لا يعلم الغيب إلا الله فكفر بهما.ومن صدّقه فيما يدعيه فهو مشرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة اللهّ في علمه ، وشرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير اللهّ بشيء من العبادة ،وكافر لأنه صدق بأن الكهان يعلمون الغيب، وقد ثبت بالكتاب والسنة أنه لا يعلم الغيب إلا الله فكفر بهما .[1]وقد(شاع في أيامنا ما يعرف بقراءة الفنجان وقراءة الكف .وقد عكف جماعة على دراسة خطوط الكف عندما رأوا صدق دلالتها في بعض الأحوال فنرى مثلا الدكتورة إكرام عبد السلام أحمد(أستاذ طب الأطفال بقصر العيني) تقول : هناك نوعان من خطوط اليد، خطوط ثنايا الكف ، وهي واضحة عند النظر إليها وأساسها ثلاثة خطوط ، اثنان عرضيان تحت الأصابع الأربعة ، والثالث بحد منطقة الإبهام وهو منحن وهي متشابهة في جميع

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز:٨ / ١٢٥ –١٢٦،وأضواء البيان:١/ ٤٨٢،والتوحيد / الفوزان:٣٥ –٤١ ،وفتاوى حسنين مخلوف:١ / ٢١٤،وفتوى دار الإفتاء المصرية،و كشف خفايا علوم السحرة/ شيخو:٢٣٢،وفوائد من شرح كتاب التوحيد/ السدحان: ٧٨ ،وشرح الطحاوية / الغفيص:١ / ٣٠٦،وكلمات و أفعال و معتقدات خاطئة/ طلعت زهران ٤٤،وشرح الترمذي/ الشنقيطي: ٦ / ٨،ومحرمات استهان بها الناس/ محمد المنجد:١٠.

الناس ، وإذا تغيرت يكون هناك شذوذ ، أما خطوط الأصابع فهي عكس ذلك لا تكاد تتشابه أو لا تتشابه مطلقا من شخص لآخر، وعليها الاعتماد في البصمات ، وهي ترى إما بالعدسة المكبرة وإما بالطبع بالحبر .واكتشفت أن تغير الخطوط الثلاثة في الكف يدل على تأخر عقلي أو اختلاف في الكروموسومات التي تنشأ عنها تشوهات خلقية . وسبب ارتباط ذلك باليد أن اليد يبدأ تكوينها في الأشهر الثلاثة الأولى مع تكوين أعضاء الجسم ، فأي اختلال في التكوين يظهر فيها .وقد بحثت ارتباط الخطوط ببعض الأمراض كالتأخر العقلي وروماتيزم القلب وأمراض الجهاز العصبي، كما يمكن دراسة بعض الأمراض أو التكهن بها من خلال بصمات الأصابع"الأهرام ٢٦ / ٨ " .وواضح من هذا الكلام أن هذه الخطوط لها ارتباط بالتكوين العضوي لجسم الإنسان وما ينشأ عنه من تأثير في القوى العقلية ، لكن التنبؤ بالمستقبل من النظر في هذه الخطوط هو الذي ما يزال رجما بالغيب لم تقم له قواعد ثابتة يقينية [1].و كل ذلك لا يتعدى مرحلة الظن ، فلا ينبغي الاعتماد على أقوال هؤلاء في رسم الخطوط لحياتنا المستقبلة ، فإن المقدمات غير اليقينية لا تلزم عنها نتائج يقينية .وقد علمنا النبي -صلى الله عليه وسلم-دعاء الاستخارة في كل ما يهمنا من الأمور،والأولى الالتجاء إلى الله بها، فهو وحده مالك الأمر كله، يقول سبحانه:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى

---

(١) القبس ٤ / ٦ / ١٩٧٩ .

كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:٥٩] .[1]حتى الجن والشياطين لا يعلمون الغيب وما ذكره تعالى لنا عن الجن الذين سخَّرهم لسيدنا سليمان عليه السلام في الأعمال الشاقة المضنية، بأنهم ظلّوا قائمين على أعمالهم مدة طويلة بعد وفاته عليه السلام يظنون أنه مازال حياً ،قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ:١٤]يقول ابن كثير:(يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة فإنه مكث متوكئا على عصاه وهي منسأته ...مدة طويلة نحوا من سنة فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة ضعفت وسقطت إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، تبينت الجن والإنس أيضا أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك).[2] فلو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا هذه المدد في العذاب المضني من الأعمال الشاقة،يخافون سيدنا سليمان عليه السلام ويخشون هيبته، ظنّاً منهم أنه لا يزال على قيد الحياة متربعاً على عرشه وهو أمام مرأى أعينهم لا عن بُعدٍ،[3](قال شيخ الإسلام ابن تيمية:والكهان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثرة عن المغيبات بما يسترقه من السمع .وكانوا يخلطون الصدق بالكذب)[4] فالشياطين تسترق السمع من

---

(١) فتوى دار الإفتاء المصرية فتاوى دار الإفتاء المصرية :٧/ ٣٧٥ مايو ١٩٩٧.

(٢) تفسير ابن كثير:٣/ ٥٣٠.

(٣) انظر: كشف خفايا علوم السحرة/ محمَّد أمين شيخو:١ / ٢٣٢.

(٤) التوحيد / الفوزان : ٣٥-٤١.

السماء ، فيسمعون الكلمة من السماء مما تتحدث به الملائكة فيكذبون معها مائة كذبة قال -صلى الله عليه وسلم-:(إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وهو السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ من عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ) [1]، فيصدقهم الناس بكذبهم ؛ بسبب تلك الكلمة التي استرقوها.[2]أما المستقبلية فلا يعلمون منها شيئا لكن ما مضى قد يعلمون بسبب قرين الإنسان، فبعض الجن يخبر بعضهم بعضا و(الذي يحصل من بعض المشعوذين والدجالين من الإخبار عن مكان الأشياء المفقودة والأشياء الغائبة أو بعض المغيبات عنهم ليس لعلم الكهان الغيب ،بل عن طريق استخدام الشياطين الذين يأتون بالأخبار من بعضهم ،أو عن طريق استراق السمع من السماء.قال تعالى ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٣] وقال - صلى الله عليه وسلم-عن الكهان :(ليسوا بشيء قالوا : يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة).[3] ومع حرمة الكهانة والتنجيم وبيان دجل الكهان والمنجمين إلا أنها انتشرت في كثير من الدول الإسلامية عن طريق وسائل الإعلام الغربية والعربية ،وعن طريق تيسير نشر الكتب المؤلفة في هذا الفن قديما

---

(١) أخرجه البخاري :٣/ ١١٧٥ ح/ ٣٠٣٨،كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ،بَاب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ .

(٢) انظر:مجموع فتاوى ابن باز :٨ / ١٢٦ .

(٣) سبق تخريجه.

وحديثا في كثير من الدول الإسلامية وغيرها، وكذلك عن طريق إنشاء معاهد تقوم بتعليم التنجيم في كثير من أنحاء العالم ، وإعطاء المتعلمين شهادات، وتتيح للباحث دراسات جادة في كيفية صناعة التنجيم، حتى إن جامعة هارفارد قبلت في عام ١٩٦٠م رسالة دكتوراه تقدم بها طالب في موضوع التنجيم، وأنشئت في بريطانيا كلية للدراسات التنجيمية. كما أنشئ في مصر معهد للغرض نفسه ويقوم المعهد بتدريس العلوم الفلكية الروحانية داخل المعهد وخارجه عن طريق المراسلة.وإنشاء اتحاد للمنجمين في كثير من أنحاء العالم أشهرها وأوسعها صيتاً هو الاتحاد العالمي للفلكيين الروحانيين في فرنسا، والذي يقوم على إدارته حميد الأزري العراقي.[1]

المطلب الرابع: علاقة الفراسة بالكهانة: ذكر الشاطبي عند كلامه على أنواع العلوم الفرق بين الفراسة والعيافة مبينا حرمة العيافة ، وأنها ادعاء علم مغيب ، أما الفراسة فهي تعرف على بعض ما غيب ، لكنها من الله بقوله :(ومنها ما كان أكثره باطلا أو جميعه كعلم العيافة والزجر والكهانة وخط الرمل والضرب بالحصى والطيرة ، فأبطلت الشريعة من ذلك الباطل ونهت عنه كالكهانة والزجر وخط الرمل ،وأقرت الفأل لا من جهة تطلب الغيب ، فإن الكهانة والزجر كذلك، وأكثر هذه الأمور تحرص على علم الغيب من غير دليل فجاء النبي -صلى الله عليه وسلم- بجهة من تعرف علم الغيب مما هو حق محض وهو الوحي والإلهام ،وأبقى للناس من

---

(١) انظر: التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام: عبد المجيد المشعبي ١٤٩-١٥٣.

ذلك بعد موته عليه السلام جزءاً من النبوة وهو الرؤيا الصالحة وأنموذجاً من غيره لبعض الخاصة وهو الإلهام والفراسة).[١]لكن قد يقال لصادق الحدس ومصيب الظن عائف كما قال ابن سيرين :(أن شريحا يعيف هذه العيافة). يريد أنه مصيب الظن صادق الحدس لا العيافة المحرمة ،لأنها جبت ، لكن قصد أن حدسه صادق فكأنه عائف ،وهذا كما يقال ما أنت إلا ساحر إذا كان رفيقا لطيفا ،وما أنت إلا كاهن إذا أصاب بظنه). [٢]ونحوه ما ورد عن ابن عمر أنه جاء رجلان من المشرق فخطبا فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:(إن من البيان سحرا).[٣]

---

(١) الموافقات:٢/ ٧٤.

(٢) غريب الحديث/ ابن قتيبة: ٢/ ٥١٨،والنهاية:٣ / ٦٢٢ وانظر:لسان العرب :٩/ ٢٦١، لكن ورد في بعض الكتب لفظ أن شريحا (كان شاعرا قائفا) لا عائفا. انظر:تهذيب الكمال:١٢/ ٤٣٨،و الطبقات الكبرى ٦/ ١٣١.

(٣) أخرجه البخاري: ٧ / ٢٥، ح/ ٤٨٥١،كِتَاب النِّكَاحِ ،بَاب لَا يَخْطُبُ على خِطْبَةِ أَخِيهِ.و مسلم :٣/ ١٢.

المبحث الثاني عشر :
علاقة الفراسة بالكشف

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول التعريف بالكشف وفيه:أولا:معنى الكشف في اللغة: يقول الفراهيدي:(الكشف رفعك شيئا عما يواريه ويغطيه كرفع الغطاء عن الشيء).(١)

ثانيا:معنى الكشف في الاصطلاح:يقول الجرجاني:(الكشف في اللفظ رفع الحجاب وفي الاصطلاح هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا).(٢)وهذا هو تعريفه عند الصوفية ، ويقول الغزالي:(كل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم، فهو بطريق الكشف والإلهام).(٣)

المطلب الثاني:الكشف عند الصوفية:

هو أمر اخترعه الصوفية وهو رفع الحجب من أمام قلب الصوفي وبصره ليعلم بعض الأسرار الروحانية أو الغيبية. و يكون الكشف في غالب الأحيان أثناء اليقظة التامة، و أحياناً يحصل الكشف الروحاني أثناء المنام .يقول الغزالي:(ولمثل هذا قالت الصوفية إن العلم حجاب ،وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم ، فأما العلم

---

(١) العين/ الفراهيدي:٥/ ٢٩٧ ،وانظر: تهذيب اللغة ١٠/ ١٨.

(٢) التعريفات/ الجرجاني: ١/ ٢٣٧ ،و التعاريف ١/ ٦٠٤.

(٣) إحياء علوم الدين/ الغزالي: ٣/ ٢٣.

الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب، وهذا التقليد قد يكون باطلا..)[1] .وقال أيضاً:(قال بعض المكاشفين :ظهر لي الملك فسألني أملي عليه شيئا من ذكرى الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال: ما نكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به إلى الله عز وجل فقلت: ألستما تكتبان الفرائض؟ قالا:بلى قلت: فيكفيكما ذلك.وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب ،وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة ،وقال بعض العارفين: سألت بعض الأبدال[2] عن مسألة من مشاهدة اليقين ،فالتفت إلى شماله فقال:ما تقول رحمك الله ثم التفت إلى يمينه فقال:ما تقول رحمك الله ،ثم أطرق إلى صدره وقال: ما تقول رحمك الله ثم أجاب بأغرب جواب سمعته

---

(١) إحياء علوم الدين/ الغزالي: ١/ ٢٨٤،وانظر فيض القدير/ المناوي:١/ ٥١و٢/ ٤٥٣.

(٢) يقول المناوي :(الأبدال جمع بدل وهم طائفة من الأولياء) التعاريف:١/ ٢٩،و يقول محمد هراس في شرح العقيدة الواسطية: ١/ ٣٦٢:(وَأَمَّا الْأَبْدَالُ ؛ فَهُمْ جَمْعُ بَدَلٍ ، وَهُمُ الَّذِينَ يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي تَجْدِيدِ هَذَا الدِّينِ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ : « يَبْعَثُ اللهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا » . أخرجه أبو داود :٤/ ١٠٩،والحاكم: ٤/ ٥٦٧.ويقول الشيخ صالح آل الشيخ:(والأبدال جمع بدل وهو لفظ جاء في بعض الأحاديث ، لكن لم يصح حديث في الأبدال على الصحيح وإن كان بعض أهل العلم صحح في الأبدال بعض الأحاديث .والأبدال هم أهل الحديث وأهل الأثر وأهل السنة ، إذا ذهبت منهم طائفة أبدل الله جل وعلا بهم طائفة أخرى). شرح العقيدة الواسطية / صالح آل الشيخ:٢ / ٣٧٠،و يكثر هذا الإطلاق عند الصوفية وهو يطلق على بعض رجال الصوفية .قال ابن تيمية في أولياء الرحمن وأولياء الشيطان :١ / ١٠٣ (ومن هؤلاء من يظهر بصورة شعراني جلده يشبه جلد الماعز، فيظن من لا يعرفه أنه إنسي وإنما هو جني ويقال : بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال وهؤلاء الذين يظنون أنهم الأبدال هم جن بهذه الجبال كما يعرف ذلك بطرق متعددة).

فسألته عن التفاته فقال:لم يكن عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال:لا أدري فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال:لا أدري ،فنظرت إلى قلبي وسألته فحدثني بما أجبتك ، فإذا هو أعلم منهما ، وكأن هذا هو معنى قوله -صلى الله عليه وسلم- :إن في أمتي محدثين وإن عمر منهم).[(١)](٢)فهذا الغيب والوحي الذي يدعيه هؤلاء الصوفية، كالاطلاع على المستور والمكنون ومعرفة الأحداث المستقبلية هو من الكهانة التي اشتهر بها أحبار اليهود والنصارى. فهؤلاء يزعمون أنهم يكاشفون مريديهم بما في صدورهم، ويطلعون على حملة العرش وما في اللوح المحفوظ. وكثير من مريديهم يقلعون عن المعاصي ويتوبون مخافة أن يطلع مشايخهم على حالهم.وأن الكشف هو الفرقان بين الحق والباطل ،وهو الميزان في قبول أو رد ما وقع فيه الاختلاف بين الأمة. وقد دعوا إلى فض الاختلاف بالاحتكام إلى الكشف فما وافقه الكشف فهو الصحيح الذي يؤخذ به، وما خالفه فهو باطل مردود ، والكشف يبتدئ ببداية سلوك طريق التصوف، ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد [(٣)]وأدهى من ذلك أنهم استعملوا الكشف

(١) سبق تخريجه.

(٢) إحياء علوم الدين/ الغزالي: ٣/ ٢٦

(٣) انظر:إحياء علوم الدين/ الغزالي:١-٣و١٠٤والمنقذ من الضلال/ الغزالي:٥٠،وفيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة/ الغزالي: ٥،وروح المعاني/ الألوسي: ١٢/ ١٣٠،وأولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني:١/ ٨٦.

والخواطر لتقوية أحاديث ضعيفة أو لتضعيف أحاديث قوية بحسب مزاج (المكاشف) الذي قد يكون فهمه في الواقع دون فهم الأمي الجاهل.[١] يقول ابن عربي[٢] في رسالة أرسلها إلى أبي بكر الرازي:(ارفع الهمة في أن لا تأخذ علما إلا من الله تعالى على الكشف، وأنه من المحال للعقل والفكر أن يصل إلى ما يطمئن إليه الإنسان في معرفة الله تعالى، وعليك أن تلزم طريق الرياضات والمجاهدات والخلوات).[٣]وطريقة تحصيل الكشف عندهم تكون؛ بتقديم المجاهدة، وقطع علائق الدنيا كلها، و الخلوة في بيت مظلم، والمداومة على ذكر الله تعالى، ويجب على السالك أن يقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن، وعن العلم والولاية والجاه، مع اقتصاره على الفرائض والرواتب ، ولا يشغل نفسه بقراءة قرآن، ولا ينظر في كتب العلم، فيواظب على هذا الحال حتى يحصل له كشف الصوفية.[٤] وهم

---

(١) انظر:الفتوحات المكية/ابن عربي ١/٢٤٢.،و شرح جوهرة التوحيد /البيجوري ٢٢و٤٣،وتلبيس إبليس/ابن الجوزي: ٣٢،ودراسات في التصوف والفلسفة/ الرقب ١ / ٣٨و٤٠،وموسوعة الرد على الصوفية :٧/ ٨٧.

(٢) هو: محمد بن علي ، الحاتمي الطائي المرسي، الملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، المشهور بابن عربي ولد في مدينة مرسية بالأندلس، له مصنفات عدة منها: الفتوحات المكية، تفسير القرآن العظيم المسمى بالإجمال والتفصيل وكتاب الفصوص،قال عنه ابن تيمية في الصفدية:١/ ٥:(ابن عربي وابن سبعين وأمثالهما من ملاحدة المتصوفة)، توفي سنة ٦٣٨هـ بدمشق. انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ١٣/ ١٥٦، وميزان الاعتدال الذهبي: ٦/ ١٦٩، طبقات المفسرين/ الأدنهوي: ١/ ٢٣٠.

(٣) رسالة إلى الإمام الرازي ضمن رسائل ابن عربي : ١٨٥ .

(٤) انظر:إحياء علوم الدين ٣/ ١٩،و دراسات في التصوف والفلسفة/ صالح الرقب ١ / ٣٣.

يقولون :(حدَّثني قلبي عن ربِّى ، ويقولون : أنتم تأخذون علمَكم ميِّتاً عن ميِّت - حدثنا فلان عن فلان عن فلان ، كله ميِّت عن ميِّت - ونحن نأخذ علمَنا عن الحيِّ الذي لا يموت).[١].نعوذ بالله من انتكاس الفطرة فقد جعلوا ما نزل من عند الله ميتا، وما تلقاه أهل الكشف عن الشياطين روحا تبث فيها الحركة والحياة، فصاروا ينفرون من العلم وطلب الحديث ويذمون الفقه والفقهاء، وكأن من أراد الله به شرا في نظرهم يفقهه في الدين..[٢] ويقول القشيري: (من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعة والعصمة من المعاصي والمخالفات). [٣]وينتقد شيخ الإسلام هذا المذهب الخبيث المتحلل من الشريعة بقوله:(هذا الكلام

---

(١) انظر: الفتوحات المكية/ ابن عربي: ١/ ٣٦٥ ،وذخائر الأعلاق لابن عربي ١٥٣ ،والجواهر والدرر للشعراني التي بهامش الإبريز:٢٦٨، و تلبيس إبليس:٣٢٠،والواسطة بين الحق والخلق / ابن تيمية١:/ ١،و الرسائل الكبرى/ ابن تيمية ١: ١٦٢- ١٦٤،و سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٨،و التعرف لمذهب أهل التصوف/ الكلاباذي: ١/ ٦،والتزكية بين أهل السنة والصوفية/ أحمد فريد ١ / ٤٩،والتصوف المنشأ والمصادر/ إحسان إلهي ظهير :١ / ٣١٤،والرد على الخرافيين/ سفر الحوالي :١ / ٤٤،والصوفية نشأتها وتطورها/ محمد العبدة طارق عبد الحليم :١ / ٨٦،و الصوفية والوجه الآخر/ محمّد جَميل غَازي :١ / ١٨الطريقة النقشبندية / الشيخ فريد الدين آيدن:١ / ٢١،والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة/ عبد الرحمن بن عبد الخالق:١ / ١٩،والكشف عن حقيقة الصوفية / محمود عبد الرؤوف ١ / ٧٦،والمعجم الصوفى / د. محمود عبد الرازق :٣/ ٩.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين/ الغزالي: ٣/ ١٩،ودراسات في التصوف والفلسفة/ الرقب :١ / ٤٠،وموسوعة الرد على الصوفية :٧ / ٨٧ -٨٨.

(٣) الرسالة القشيرية :١٦٠.

مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- شيء من الأمور العلمية بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة وهذان أصلان للإلحاد فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة وإلا دخل في الضلالات).[1] ويقول أيضا:(وهذا الكلام أصله من مادة المتفلسفة والقرامطة الباطنية [2]الذين يجعلون النبوة فيضا يفيض من العقل الفعال على نفس النبي ويجعلون ما يقع في نفسه من الصور هي ملائكة الله وما يسمعه في نفسه من الأصوات هو كلام الله ولهذا يجعلون النبوة مكتسبة فإذا استعد الإنسان بالرياضة والتصفية فاض عليه ما فاض على نفوس الأنبياء وعندهم هذا الكلام باطل باتفاق المسلمين واليهود والنصارى).[3]فالحق الذي لا باطل فيه هو ما جاء عن الله تعالى، وذلك لا يعرف إلا من الكتاب والسنة والإجماع قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩]. فمن مذهب أهل السنة والجماعة عدم جواز التحاكم إلى الرؤى المنامية

(١) درء التعارض :٥/ ٣٤٨.

(٢) هي :دعوة باطنية من حمدان قرمط وعبد الله بن ميمون القداح ولا يعدون من فرق المسلمين ، فإنهم في الحقيقة على دين المجوس. واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان كان من الصابئة الحرانية واستدل أيضا بأن صابئة حران يكتمون أديانهم ولا يظهرونها إلا لمن كان منهم ، والباطنية أيضا لا يظهرون دينهم إلا لمن كان منهم بعد إحلافهم إياه على أن لا يذكر أسرارهم لغيرهم.انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية/ الإسفراييني :١/ ٢٢،و الفرق بين الفرق/ البغدادي: ١/ ٢٧٨.

(٣) درء التعارض/ ابن تيمية: ٥/ ٣٥٣،وانظر: الجواب الصحيح:٥/ ٢٧.

ولا إلى المكاشفات،لأن ذلك ليس بمنضبط ولا يعلم الصادق من الكاذب. فمن أين لهم أن هذا رحماني، ولما لا يكون الشيطان هو الذي أمرهم بهذا.[١]..(فالإخبار بالمغيبات يكون عن أسباب نفسانية ويكون عن أسباب خبيثة شيطانية وغير شيطانية ويكون عن أسباب ملكية)[٢](فالمخاطبة التي تقع لهؤلاء المنافقين والغالطين المتشبهين بالمؤمنين هي من الشياطين التي تنزل على أمثالهم من كل أفاك أثيم ومن حديث النفس ، ولهذا يكثرون من الشعر والكهانة التي يقترن بأهلها الشياطين كثيرا..)[٣].و(لو فتح بابه لأدى إلى مفاسد كثيرة ولكان للمتدلسين مدخل لإفساد أكثر الشرع ، فالصواب أن لا يلتفت إليه وإلا لادعى كثير منهم إثبات ما يلذ لهم بالإلهام والكشف)[٤]فالكشف عندهم تكهن وادعاء غيب ويكثر ذلك عند الصوفية يقول الشعراني (ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي: شمي لروائح المعاصي إذا وقعت في معصية من معاصي أهل الطريق، فأشم نتان كل معصية على حسب تناولها في القبح من كبائر وصغائر ومكروهات).[٥] وذكر أن شيخه على الخواص كان إذا نظر في الميضأة التي يتوضأ منها الناس يعرف جميع

(١) انظر:الفتاوى الكبرى/ ابن تيمية: ٢/ ٢٦٩، ودراسات في التصوف والفلسفة/ الرقب:١/ ٣٨-٤٠،وموسوعة الرد على الصوفية :٧/ ٨٧ -٨٨.

(٢) الصفدية / ابن تيمية : ١٨٧ - ١٨٩،وانظر:مدارج السالكين ٣ / ٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) بيان تلبيس الجهمية / / شيخ الإسلام ابن تيمية: ٥ / ٦٣،مؤسسة قرطبة.

(٤) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل/ عبد القادر بن أحمد بدران، ت: ١٣٤٦هـ. ٢٩٧ .

(٥) لطائف المنن/ الشعراني: ٦٨٩،و انظر:أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي/ عبد الرحمن دمشقية:٨٥.

الذنوب التي غفرت وخرت في الماء من غسالتها، ويعرف أهل تلك الذنوب على التعيين ويميز بين غسالة كل ذنب عن آخر من كبائر وصغائر ومكروهات "[1].وينقل عن الداراني أنه كان يصف أبا عدى الأنطاكي وغيرهم أنهم ((جواسيس القلوب))[2].ولكن هذا افتراء وكذب ، فعلم القلوب عند علام الغيوب لا يعلم ما في قلب الإنسان إلا الله ثم صاحبه، والغيب عموما علمه عند الله لا يطلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة ، ودليلهم الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الجن:٢٦] .وقال صلى الله عليه وسلم: [مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله][3].[4] وكان عمر بما حصل له من المكاشفات والمخاطبة يعلم أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما أكمل منه معرفة ويقينا، وأعلم منه بقدر الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان خضوع عمر هذا الذي هو أفضل الأولياء المحدثين الملهمين المخاطبين لأبي بكر الصديق كخضوع من رأى

(١) لطائف المنن/ الشعراني:٥٠،و انظر:أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني/ عبد الرحمن دمشقية:٨٥.

(٢) الرسالة القشيرية / القشيري:١٨.

(٣) أخرجه: البخاري ٤/ ١٧٣٣ ح/ ٤٤٢٠ ،كتاب التفسير، باب تفسير سُورَةُ الرَّعْدِ.

(٤) انظر: الجواب الصحيح/ ابن تيمية: ٣/ ١٥٩ .،و متن العقيدة الطحاوية/ الطحاوي: ١/ ٣٢.

غيره من مشاركيه في فنه أكمل منه ، وإذا كان هذا حال أفضل المحدثين المخاطبين، فكيف حال سائرهم. [١]

المطلب الثالث:علاقة الفراسة بالكشف: الفراسة نوع من الكشف.[٢] لكنها كشف رباني لا شيطاني (فمن أنواع الفراسة ما يكون فيه خرق للعادة ، فيكون كالعلوم والمُكَاشَفَات التي يُجريها الله على يد أوليائه).[٣] (فهي داخلة في أحد نوعي الخارق؛ الكشف والتأثير، وهي استدلال ومعرفة وتفرس بالشيء).[٤]وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا أنواع الكشف:(نحن لا ننكر أن النفس يحصل لها نوع من الكشف؛ إما يقظةً وإما مناماً بسبب قلة علاقتها مع البدن إما برياضة أو بغيرها ، وهذا هو الكشف النفساني وهو القسم الأول من أنواع الكشف .لكن قد ثبت أيضاً بالدلائل العقليَّة مع الشرعيَّة وجود الجن وأنها تخبر الناس بأخبار غائبة عنهم كما للكهان والمصروعين وغيرهم ...وهو القسم الثاني من أنواع الكشف .وأما القسم الثالث : وهو ما تخبر به الملائكة)[٥]كما حصل

(١) انظر:الأسباب الحقيقية لحرق إحياء علوم الدين من قبل ابن تاشفين/ المغراوي :١ / ٤٨ -٥٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي ١ / ٣٨٦.

(٣) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل/ الشيخ صالح آل الشيخ:٤٧.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي :١ / ٣٨٦.

(٥)الصفدية / ابن تيمية : ١٨٧ - ١٨٩،وانظر:مدارج السالكين ٣ / ٢٢٧، ٢٢٨.

لعمر رضي الله عنه عندما قال:يا سارية الجبل[١][٢](فالفراسة هي أمر يقذفه الله في قلب المؤمن وهو خاطر يخطر للإنسان يميز فيه بين الحق والباطل.[٣] والكشف يحصل بطريق الرياضة والجوع والسهر وهذا قد يحصل للكافر كما يحصل للمؤمن فقد حصل على ذلك كثير من المرتاضين من كفرة الهند والنصارى والمجوس[٤].[٥]فالميزان بين الفراسة وإلقاء الشيطان هو التقوى[٦]). (فإذا كان الشخص مباشرا للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير ... أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه ولا يخلص الدين لرب العالمين ... فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن ، وإن كان الرجل خبيرا بحقائق الإيمان الباطنة فارقا بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره كما قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه أحمد ١ / ٢٦٩ وصححه الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة : ١١١٠ .

(٢) انظر: النبوات/ ابن تيمية: ١/ ٢٩١.

(٣) مدارج السالكين/ ابن القيم ٢/ ٤٨٤.

(٤) المجوس هم :القائلون بالأصلين ؛ النور والظلمة ،وأن العالم صدر عنهما ، وهم متفقون على أن النور خير من الظلمة ،وهو الإله المحمود ،وأن الظلمة شريرة مذمومة.انظر:الفرق بين الفرق/ البغدادي: ج١/ ص٢٦٩،و شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ١/ ٧٧ -٧٨.

(٥) مدارج السالكين/ ابن القيم ٢/ ٢٢٨.

(٦) دراسات في التصوف والفلسفة/ صالح الرقب :١ / ٣٩.

ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد:٢٨]...قال:(اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله ..)[١].فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف ، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء ، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان وكما أنه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المتنبئ الكذاب).[٢]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى/ ابن تيمية:١١/ ٢١٦ – ٢١٨.

المبحث الثالث عشر :
علاقة الفراسة بعلم (البراسيكولوجي)[١] أو (بالتلباثي) (telepathy) أو ما يسمى علم ما وراء الطبيعة أو الاتصال عن بعد أو التأثير على نفوس الآخرين)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: تعريف التلباثي :يقول العقاد:(هو الشعور على البعد أو (التلباثي) كما سمي في أواخر القرن التاسع عشر -تركيبا مزجيا من كلمتي البعد والشعور في اللغة اليونانية).[٢] فهو الانتقال عن بعد: للخواطر والوجدانيات وغيرهما من الخبرات الشعورية من عقل إلى عقل بغير الوسائل الحسية المعروفة.أي:اتصال عقلي بين بشريين واستقبال طاقة صادرة من العقل وتحليلها بعقل المرسل إليه ، بحيث يدرك الفكرة ويعمل

---

(١) يتألف مصطلح الباراسيكولوجي من شقين هما:

(Para) البارا ويعني قرب أو جانب أو ما وراء علم النفس (Psychology) ويعني علم النفس, وفي الوطن العربي هناك من سماه الخارقية, وهناك من سماه الخارقية أوعلم القابليات الروحية, ومن سماه علم نفس الحاسة السادسة ولكنه ظل محتفظا باسمه لعدم الاتفاق على تسمية عربية موحدة له.... (فقد)تعددت التسميات حتى أصبح يطلق عليه في كثير من الأحيان «الساي», وللباراسيكولوجي موضوع يدرسه وهو القدرات فوق الحسية الخارقة» كالتخاطر والتنبؤ والجلاء البصري والاستشفاء وتحريك الأشياء والتنويم الإيحائي «المغناطيسي»)فعلم الباراسيكولوجي يبحث في علم الخوارق

http://webcache.googleusercontent.com

(٢) كتاب الله لعباس محمود العقاد : ١ / ١٩وانظر بقية الصفحات من نفس الكتاب من٢٠إلى ٢٥.

على توفيق حواسه على تلقي مجال كهرومغناطيسي صادر من الآخرين.فهي عبارة عن نوع من الاتصال العقلي عند البشر بصورة غير مادية ملموسة بين شخصين فيستقبل كل منهما رسالة الآخر العقلية في نفس الوقت الذي يرسلها الآخر إليه مهما بعد مكان وجودها. كما يحصل بين المحبوبين والأم وولدها والتوائم،وفي قصة سيدنا عمر بن الخطاب ياسارية الجبل[1] .وهي من أنواع الحاسة السادسة:أي استشعار خارج الحواس وله أشكال متعددة منها : الجلاء البصري والسمعي، ومنها : ما يختص بالحواس.فهي نوع من أنواع التخاطر عن بعد ،وهي :حالة لا إرادية ،ولا تخضع لمسببات مباشرة، ولا علاقة لها بصفة اجتماعية أو نفسية ، ولا تخضع لسن محددة لكنها تظهر في موقف معين تحت ما يسمى الاستشعار الحسي اللاإرادي أو استشعار خارج الحواس .[2]**والحاسة السادسة عرفت بأنها** :معرفة غير عادية تحصل بانتقال تأثيرات وموجات كهربائية ساكنة وموجات مغناطيسية وهي عبارة عن مشاعر وأحاسيس تنتقل بين دماغين دون الحاجة إلى استخدام أي من الحواس الظاهرة المعروفة، وتعد أكثر المشاعر المرسلة والمستقبلة بهذه الحاسة السادسة هي مشاعر الكره والخوف والحب .[3]وهو الباراسيكلجي

(١) سبق تخريجه.

(٢) كتاب موسوعة الظواهر الخارقة/ احمد توفيق حجازي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١/ ٠١/ ٠١انظر:-http://www.ibtesama.com/vb/showthread .t_٣٥٢٧١.html

(٣) http://www.baghdad٤ever.net/vb/archive/index.php/t-٧٩٩٠٦.html ، وwww.bezaat.com

وهـذه أصـبحت في اسـتخدامات الآلـة تـسمى الاستـشعار عـن بعـد، والبارانورمال،و البيوكيمياء،أو الحاسة الـسادسة ،والغـرب يتحـدث عـن الحاسة التاسعة والاستبصار،والرؤية الثانية.[١]وبعـضهم قـال:إن ماحـصل لعمر لرضي الله عنه لـيس مـن التلبثـاي أو التخـاطر وإنـما يـسمى الإدراك الحسي خارج نطاق الحواس ولا يمكن تعلمه ، بـل هـو هبـة ربانيـة وهـذا عكس التلبثاي الذي يمكـن التـدرب عليـه وتـستخدمه كثـير مـن أجهـزة المخـابرات المرموقـة في تبـادل المعلومـات بـين عملائهـا دون الحاجـة إلى وسـائط بـشرية ويمكـن أن يكـون ماديـا أو عقليـا أو روحيـا[٢]ومـن هـذه مايسمى الحدس(الحدس الظـن... ويقـال:حدسـت بالرجـل أحـدس بـه حدسـا إذا صرعتــه ...وحدســت في ســبلة البعــير إذا وجــأت لبتــه والحدس:السير الشديد)[٣]و(الحدْس:الظن والتخمين ... يقال:هو يحـدس أي:يقول شـيئا برأيـه..)[٤]و(الحـدس: إدراك مبـاشر لمـا يـراد معرفتـه دون الاستعانة بالعقل أو الحواس، وهي معرفة تأتي إلى الشخص دون أي تـذكُّر واع أو مبررات عقليـة شـكلية).[٥] (ويـدعو بعـض النـاس الحـدْس خطـأ الحاسـة الـسادسة، ولكـن منتقـدي هـذه الفكـرة يقولـون:إن الحـدس

---

(١) انظر الموقع التالي:
www.harunyahya. com/Arabic/index.php

(٢) http://www.sudanforum.net/archive/index.php/t-٨٥٦١٥.html ، و
http://samahalali.maktoobblog.com/?post=٢٩٢٧٦٦

(٣) جمهرة اللغة:١/ ٥٠٢.

(٤) مختار الصحاح ١/ ٥٤ .

(٥) الموسوعة العربية العالمية :١.

هو:استدلال سريع له مبررات عقلية مرتكزة على حقائق معروفة. ويُظهر البحث عادة أن الحدس يرتكز على الخبرة؛ وخصوصًا خبرة الأشخاص ذوي الحساسية المرهفة. فالخبرة الشخصية هي مخزون من الذكريات والانطباعات. وهذه النتف من الخبرات ــ إذا توافر لها حافز مناسب ــ تتشكل أفكارًا وأحكامًا. وعندها نقول إن الشخص يعرف شيئًا، ولكنه لا يستطيع أن يقول من أين أتت تلك المعرفة. ويدعو الناس هذا النوع من الانطباع المفاجئ حدسًا أو إلهامًا.. .)[1].ويجمع هذه الأنواع ما أطلق عليه عباس العقاد الملكات النفسانية يقول:(الملكات النفسانية التي يدور عليها بحث العلماء في الوقت الحاضر أكثر من نوع واحد في أفعالها وتجاوزها لمألوفات الحواس الإنسانية والحيوانية ، ولكنها تتلخص في بضعة أنواع هي :الشعور على البعد أوالـ**Telepathy** والتوجيه على البعد أو الـ **Telergy** والتنويم المغناطيسي أو الـ**Magnetism** وقراءة الأشياء أو معرفة الأخبار عن الإنسان من ملامسة بعض متعلقاته كمنديل أو قلم أو خاتم أو علبة أو ما شاكل هذه المتعلقات **Object, reading or psychometry** وتفسير الأحلام**Dream Interpretation** والاستحياء الباطني أو**Automatism** والوسواس أو **Hallucination** واستطلاع المستقبل أو **Precognition** واستطلاع الماضي أو **Retrocognitlion** والكشف **Clairvoyance** وتحضير الأرواح **Spiritualism** .وكل هذه الملكات قديم معهود في جميع

(١) الموسوعة العربية العالمية :١.

الأجيال والعصور لم يجد عليه إلا التسمية العصرية ومحاولة العلماء أن يحققوه بالتجربة والاستقصاء .وربما كان أشيع هذه الملكات وأقربها إلى الثبوت وأغناها عن أدوات المعالجة والتناول بأساليب التلقين والتدريب هو الشعور على البعد أو (التلباثي) كما سمي في أواخر القرن التاسع عشر -تركيبا مزجيا من كلمتي البعد والشعور في اللغة اليونانية).[1]

المطلب الثاني: حكم هذه المصطلحات في الشريعة الإسلامية:

جميع ما سبق فيها ادعاء علم غيب فهي تكهن وإن سميت بمسميات حديثة وأُضفي عليها العلم التجريبي تمويها. وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النمل:٦٥] ،﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة:١١٦] .

ويقول القرطبي مبينا نوع ذلك وحكمه عند قوله تعالى﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦] أي: لا تتبع ما لا تعلم .... وقال القتبي :المعنى لا تتبع الحدس.والظنون وكلها متقاربة).[2]وقال القرطبي أيضا عند قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الذاريات:١٠] :في التفسير لعن الكذابون وقال ابن

---

(١) كتاب الله لعباس محمود العقاد ،(ت:١٩٦٤م):١ / ١٩وانظربقية الصفحات من نفس الكتاب:٢٠- ٢٥.

(٢) تفسير القرطبي:١٠/ ٢٥٧ -٢٥٨.

عباس أي: قتل المرتابون يعني الكهنة ... ويدخل في الخرص قول المنجمين وكل من يدعي الحدس والتخمين).[1]وهو الذي عند الصوفية وإن اختلف المسمى (والطريقة هي .... خلوة وجوع وسهر وصمت وجلسة من جلسات اليوغا وتركيز الذهن على الأمر المراد تحقيقه مع تركيز البصر على شيء يختاره الشيخ.يبقى المريد مثابراً على هذه الرياضة مدة قد تقصر وقد تطول ...وهذه الرياضة صالحة لبعض الخوارق، وخاصة منها ما يتصل بالتأثير على نفوس الآخرين، أو بالاتصال عن بعد (التلباثي).... وقد يضاف إليها البخور لتسريع الوصول (للخرق)...حيث يحصل الخرق أمامه بترديد العبارة المعينة (الطلسم) مرات قليلة...أي: إن السحر هو نفس الصوفية بطريقته ونتائجه، والفرق بينهما هو في الادعاء والتوجه).[2]و(الحاسة السادسة) فهي لا تختلف عن التلباثي وهناك كتاب يسمى بـ"الحاسة السادسة"لأبي العذافر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العذافر من أهل قرية من قرى واسط،تعرف بشلغمان وضعه لأصحابه ، وكان يدعي أن روح الإله قد حلت فيه ، وكان يسمي نفسه

---

(١) تفسير القرطبي ١٧/ ٣٣ -٣٤.

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية :٢/ ٣٢١ -٣٢٣،وموسوعة الرد على الصوفية :٧٩ / ٣١٦-٣١٧و٨٧/ ٢٣٨-٢٤١.المكتبة الشاملة،وانظر:إحياء علوم الدين:٢ / ٦٦،والرسالة القشيرية ٣٠:و ١٨١و٩٣،والأنوارالقدسية: ١ – ١٨٧،الفتوحات المكية/ ابن عربي:١- ٥ و٥و ١٨٣،و كتاب مشارق شموس الأنوار ص١٣٥ و١٦١. الطريقة الرفاعية/ محمد أبي الهدى الصيادي الرافعي ص١١٥-١٢٧مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥ هـ /١٩٠٧م ،والفكر الصوفي (في ضوء الكتاب والسنة/ عبد الرحمن بن عبد الخالق: ١٩و٧١و ١٠٥ و١٢٤و١٧٥.

روح القدس ، وكان قد أباح لهم اللواط في ذلك الكتاب وأتباعه كانوا يبيحون له حرمهم ، وقد أمر الخليفة بقتله مع أعوانه[١]وهذه هي ما تقوم به الروحية الحديثة وتدعو إليه لكن بمسمى مختلف ، وهي(دعوة هدامة وحركة مغرضة مبنية على الشعوذة. تدَّعي استحضار أرواح الموتى بأساليب علمية وتهدف إلى التشكيك في الأديان... ظهرت في بداية هذا القرن[٢]في أمريكا ومن ورائها اليهود ثم انتشرت في العالمين العربي والإسلامي).[٣]

المطلب الثالث: أسباب ظهور هذه المصطلحات:لقد حاول البعض من القديم والحديث أن يتكئ على الغيبيات التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية والخاصة بالعوالم غير المحسوسة من مثل عالم الجن والملائكة والأموات وحادثة الإسراء والمعراج والتي صدقنا بها لأنها وردت عن طريق الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الكتاب والسنة ، أما هؤلاء فإنهم اتجهوا إلى عوالم ما يسمى بتحضير الأرواح والاتصال بالجن وما في حكمها مما يسمى باتصالات وقدرات روحانية في طابعها المعاصر، وأمور تتصل بالباراسيكولوجي و التي تتجاوز نسق التفسير العلمي في

(١) انظر: التبصير في الدين / الإسفراييني: ١ / ١٣٤،عالم الكتب - بيروت ط/١ ، ١٩٨٣و، معجم الأدباء/ ياقوت الحموي :١ / ٣٤،و مصرع التصوف/ عبدالرحمن الوكيل :١ / ٢٩،و موسوعة الرد على الصوفية ٢٣٤ / ٤.

(٢) أي القرن العشرين.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب:١٥٨ – ٣ ،ومجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها:٦٨ / ٢٤٣- ٢٤٦،ومذاهب عصرية ضالة :١ / ١- ٢و٧/١-٤ كشف خفايا علوم السحرة :١ / ١٩٢ –٢٠٠.

حقول العلوم الطبيعية والنفسية [١] مثل:التخاطر عن بعد (التلباثى)،وقراءة عقل وفكر الآخر ، والتوقع لأحداث ستأتي ،وقد وجدت بدايات هذا الضرب من التفكير لدى الفلاسفة الذين حاولوا تفسير النبوات بما يشبه ذلك.[٢] فالجن لا يفسره العلم على الرغم من وجوده كما أن التلباثي والباراسيكولوجي معترف به ولكن لم يعثر العلم على تفسيرات منضبطة فقدم تفسيرات بدائية لذلك .إن مسألة الحقائق قد حسم الإسلام طريق الحصول عليها بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].[٣] ،وقد(أنكر الشيخ محمود شلتوت هذه البدعة لأنه لم تقم عليها حجة...بهذه العقيدة السخيفة

---

(١) (قام زاخرمان بتأليف جدول خاص للمعرفة أدرج فيها فروع المعرفة التي يعدها علمية ، وكذلك فروع المعرفة التي يعدها خارج نطاق العلم. وحسب جدوله تشمل الفروع العلمية والتي تستند إلى أدلة مادية علمي الكيمياء والفيزياء. ويليهما علم الأحياء، فالعلوم الاجتماعية وأخيرا، أي:في حافة الجدول تأتي فروع المعرفة الخارجة عن نطاق العلم. ووضع في هذا الجزء من الجدول علم تبادل الخواطر والحاسة السادسة والشعور أو التحسس النائي(التلباثي) وأخيرا علم تطور الإنسان ويضيف زاخرمان تعليقا على هذه المادة الأخيرة في الجدول كما يلي: " عند انتقالنا من العلوم المادّية إلى الفروع التي تمت بصلة إلى علم الأحياء النائي أو الاستشعار عن بعد وحتى استنباط تاريخ الإنسان بواسطة المتحجرات نجد أنّ كل شيء جائز وممكن خصوصا للمرء المؤمن بنظرية التطور حتى أنه يضطر أن يتقبل الفرضيات المتضادة أو المتضاربة في آن واحد") السلوك الواعي لدى الخلية/ ١ / ٨٨ -٨٩ وانظر: معجزة الذرة ترجمة : أحمد ممتاز سلطان:١ / ١٠٣.

(٢) انظر:درء التعارض/ ابن تيمية:٥/ ٣٥٣، الجواب الصحيح ٥/ ٢٧.،و أرشيف ملتقى أهل الحديث: ٣ / ١٤٦المكتبة الشاملة ،وركائز الإيمان بين العقل والقلب: ١ / ٢٢٥ -٢٢٦.

(٣) أرشيف ملتقى أهل الحديث: ٣ / ١٤٧-١٤٨ المكتبة الشاملة،وركائز الإيمان بين العقل والقلب:١ / ٢٢٥.

الوثنية القديمة ... وكفاهم بذلك مكراً ودجَلاً وزوراً.الحقيقة إن هذه الدعوة بابٌ من أبواب السحر، فالله تعالى أورد الكثير من الآيات الكريمة التي تنفي نفياً قاطعاً أي اتصال بين عالم الأحياء وعالم الأموات، من المكالمة وغيرها ، فيقول تعالى في وصفِ حال الإنسان ساعة الموت: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]، وكلمة:{كَلاَّ}الواردة في الآية تفيد بما ليس فيه أدنى شك رفض الطلب...وهناك من الآيات الكثيرة التي تدل على ذلك أيضاً: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يس:٤٩-٥٠] .إذن: كل نفس بعد الموت وإلى يوم القيامة ستبقى بلا رجعة،ولا مكالمة مع الأحياء، وادعاء إرجاع الأرواح من قِبَل السحرة المحضِّرين لا أصل له...(و)تحضير الأرواح هو تحضير قرين الميت، وهو الذي يتكلم بلسان الميت، فيظن البسطاء أن الميت يتكلم)[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(وهذا واقع كثيرا حتى أنه يتصور لمن يعظم شخصا في صورته فإذا استغاث به أتاه فيظن ذلك الشخص أنه شيخه الميت، وقد يقول له إنه بعض الأنبياء أو بعض الصحابة الأموات ويكون هو الشيطان ،وكثير من الناس أهل العبادة والزهد من يأتيه في اليقظة من يقول إنه رسول الله ، ويظن ذلك حقا ومن يرى إذا زار بعض قبور الأنبياء أو الصالحين أن صاحب القبر قد خرج إليه ، فيظن أنه صاحب القبر ذلك

---

(١) كشف خفايا علوم السحرة:١ / ١٩٨ - ١٩٩وانظر: مصادر مياه الينابيع في العالم / محمد أمين شيخو.

النبي أو الرجل الصالح وإنما هو شيطان أتى في صورته إن كان يعرفها وإلا أتى في صورة إنسان قال:إنه ذلك الميت وكذلك يأتي كثيرا من الناس في مواضع ويقول إنه الخضر وإنما كان جنيا من الجن ، ولهذا لم يجترئ الشيطان على أن يقول لأحد من الصحابة إنه الخضر ولا قال أحد من الصحابة :إني رأيت الخضر وإنما وقع هذا بعد الصحابة وكلما تأخر الأمر كثر حتى إنه يأتي اليهود والنصارى ويقول : إنه الخضر، ولليهود كنيسة معروفة بكنيسة الخضر ،وكثير من كنائس النصارى يقصدها هذا الخضر ، والخضر الذي يأتي هذا الشخص غير الخضر الذي يأتي هذا ،ولهذا يقول من يقول منهم: لكل ولي خضر ، وإنما هو جني معه ، والذين يدعون الكواكب تتنزل عليهم أشخاص يسمونها روحانية الكواكب وهو شيطان نزل عليه لما أشرك ليغويه ، كما تدخل الشياطين في الأصنام ، وتتكلم أحيانا لبعض الناس وتتراءى للسدنة أحيانا ولغيرهم أيضا، وقد يستغيث المشرك بشيخ له غائب فيحكى الجني صوته لذلك الشيخ حتى يظن أنه سمع صوت ذلك المريد مع بعد المسافة بينهما ، ثم أن الشيخ يجيبه فيحكي الجني صوت الشيخ للمريد حتى يظن أن شيخه سمع صوته وأجابه وإلا فصوت الإنسان يمتنع أن يبلغ مسيرة يوم ويومين وأكثر ، وقد يحصل للمريد من يؤذيه فيدفعه الجني ويخيل للمريد أن الشيخ هو دفعه، وقد يضرب الرجل بحجر فيدفعه عنه الجني، ثم يصيب الشيخ بمثل ذلك حتى يقول : إني اتقيت عنك الضرب وهذا أثره في، وقد يكونون يأكلون طعاما فيصور

نظيره للشيخ ويجعل يده فيه ويجعل الشيطان يده في طعام أولئك حتى يتوهم الشيخ وهماً أن يد الشيخ امتدت من الشام إلى مصر وصارت في ذلك الإناء .فعمر بن الخطاب لما نادى يا سارية الجبل[١] قال:إن لله جندا يبلغونهم صوتي فعلم أن صوته إنما يبلغ بما ييسره الله من تبليغ بعض الملائكة أو صالحي الجن فيهتفون بمثل صوته كالذي ينادي ابنه وهو بعيد لا يسمع :يا فلان فيسمعه من يريد إبلاغه فينادي يا فلان فيسمع ذلك الصوت وهو المقصود بصوت أبيه وإلا فصوت البشر ليس في قوته أن يبلغ مسافة أيام وقد قلنا: إن آيات الأنبياء التي اختصوا بها خارجة عن قدرة الجن والإنس).[٢]

المطلب الرابع:علاقة هذه المصطلحات بالفراسة:الفراسة كموهبة وحالة فريدة عجز العلم عن تفسيرها منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا ،وعند العرب وفي العصر الجاهلي لم يُفرق بينها وبين الكهانة والعرافة، وفي العصر الإسلامي سميت بالفراسة والإلهام، وفي عصرنا الحديث استبدلت باسم الحاسة السادسة.وكان من اختار لها هذا الاسم العالم الفرنسي تشارلز قائلا: (إن أناساً سريعي الإدراك يمكن أن يصلوا إلى هدفهم بسرعة دون أن يستخدموا حواسهم المعروفة).[٣]والصحيح أن مسمى الكهانة والعرافة ومبناها لم يتغير لا قبل الإسلام ولا بعده وهي

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) النبوات:١/ ٢٩٠ -٢٩١.

(٣)انظر:-http://www.baghdad٤ever.net/vb/archive/index.php/t-٧٩٩٠٦.html وwww.bezaat.com

محرمة كما مر ذلك في مبحث العيافة والفراسة ، وكانت تعرف قبل الإسلام، ولا يوجد علاقة بين الفراسة وهذه المصطلحات، فالفراسة نور من الله يقذفه في قلب المؤمن، أما هذه فهي من ظلمات الكهانة وهي مرادفة لها بالمعنى والمبنى وإن اختلفت المسميات .

المبحث الرابع عشر:

علاقة الفراسة بعلم الأكتاف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:تعريف علم الأكتاف:يقول صاحب كتاب كشف الظنون:(هو علم باحث عن الخطوط والأشكال التي في أكتاف الضأن والمعز إذا قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالتها على أحوال العالم الأكبر من الحروب والخصب والجدب ، وقلما يستدل بها على الأحوال الجزئية لإنسان معين، يؤخذ لوح الكتف قبل طبخ لحمه ويلقى على الأرض أولا ثم ينظر فيه ، فيستدل بأحواله من الصفاء والكدر والحمرة والخضرة إلى الأحوال الجارية في العالم). [١].

يظهر مما سبق أنه نوع من أنواع الكهانة ؛ لأن فيه إدعاء للغيب ، فهم يستدلون على ما يوجد في أكتاف الغنم بعد ذبحها وإلقائها على الأرض من ألوان وخطوط على ما سيقع في العالم من نكد أو رغد وأحداث من حروب أو موت الملوك وغيرها . وكل هذا باطل وادعاء فلا يعلم الغيب إلا الله .

المطلب الثاني:علاقة علم الكتف بالفراسة:لقد جعله بعض من المؤلفين من فروع علم الفراسة كالرازي.[٢] وصديق خان.[٣] ومصطفى بن

(١) كشف الظنون:١/ ١٤١،و أبجد العلوم:٢/ ٩١-٩٢ ،وانظر الفراسة/ للرازي:٢٩،و صبح الأعشى في صناعة الإنشاء/ القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري:١٤/ ٢٤٦.

(٢) انظر الفراسة/ للرازي: ١٤/ ٢٤٦.

(٣) انظر:أبجد العلوم :٢/ ٩١-٩٢.

عبد الله القسطنطيني.[١]و القلقشندي أحمد بن علي الفزاري[٢] والصحيح أنه لا علاقة له بالفراسة بل هو نوع من أنواع الكهانة كما سبق ذكره في المطلب السابق، يقول الشنقيطي:(علم الكتف علم يزعم أهل الشر والضلال أن من علمه يكون إذا نظر في أكتاف الغنم اطلع على أمور من الغيب ،وربما زعم المشتغل به أن السلطان يموت في تاريخ كذا، وأنه يطرأ رخص أو غلاء أو موت الأعيان كالعلماء والصالحين، وقد يذكر شأن الكنوز أو الدفائن ونحو ذلك، وكلها من الباطل كما لا يخفى على من له إلمام بالشرع الكريم).[٣] وقد عرف بهذا النوع من الكهانة قبائل من بطونزناتة[٤]و(زناتة كلها... قوم الكاهنة)[٥] ، يقول محمد ابن إدريس الحمودي :(وكل هذه القبائل بطون زناتة وهم أصحاب هذه الفحوص وهم قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان إلى مكان غيره ، لكنهم متحضرون، وأكثر زناتة فرسان يركبون الخيل ، ولهم عادية لا تؤمن ، ولهم معرفة بارعة وحذق وكياسة ويد جيدة في علم الكتف ، ولا يدرى أن أحدا من الأمم أعلم بعلم الكتف من زناتة)[٦]. فهم قوم حذقوا بعلوم الكهانة المذمومة والمحرمة شرعاً.

---

(١) انظر: الفراسة/ للرازي:٢٩،وكشف الظنون:١/ ١٤١،و أبجد العلوم:٢/ ٩١-٩٢ .

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:١٤/ ٢٤٦.

(٣) أضواء البيان:٤/ ٤٩.

(٤) (وهم بطن من البتر من البربر). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:١/٤١٦ ،وانظر:توضيح المشتبه:٤/ ١٠٣.

(٥) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى:١/ ١٢٢ .

(٦) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق/ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أدريس الحمودي الحسني ١/ ٢٥٧.

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات. أما بعد ؛ فقد خرجت في بحثي بعدد من الأمور:

أولها:النتائج ومن أهمها:

تعريف الفراسة هي:(ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس و**الثاني**: نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس وللناس فيه تصانيف قديمة وحديثة).

والفراسة لها أنواع متعددة، وتختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال، وقوة القلب، وصفائه، وقوة الإيمان، وضعفه، ومنها ما يتعلق بالمتفرس خاصة، ومنها فراسة الحكام والولاة لاستخراج الحقوق لأربابها، وقمع الظلمة

وهي: ثلاثة أنواع :**أولا:الفراسة الإيمانية وهي** (ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات وإصابة الحدس والنظر والظن والتثبت).**وهي** للمؤمن الذي قرب من الله .

ثانيا :الفراسة الرياضية وتكون عن طريق:الجوع والسهر فيكون للنفوس من الفراسة والكشف بحسب تجردها فسببها هو المشقة .ولا تدل على إيمان ولا على ولاية وكثير من الجهال يغتر بها .

ثالثا الفراسة الخَلْقية وهي الاستدلال(بالخَلْق على الخُلُق لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل وبكبره...).وتسمى القيافة وهي نوعان هذا

النوع:وتسمى قيافة البشر ،وقيافة الأثر.وقد اعتمد جمهور الفقهاء على القيافة في ثبوت النسب و الاستلحاق؛ بناء على العلامات والأمارات الظاهرة التي يعرفها القائف.

أسباب الفراسة:هناك أسباب عديدة للفراسة والتي تختلف باختلاف الأشخاص،والأحوال. وهي:**أولاً**:نوريقذفه الله في قلب عبده

ثانيا:التجارب.**ثالثاً**:قوة الملاحظة وجودة الذهن والذكاء في المتفرس وحدة قلبه وحسن فطنته.**رابعاً** :صحة وسائل الفراسة لدى المتفرس:**الأولى**:العين **والثانية**:فراسة الأذن والسمع،**والثالثة**:فراسة القلب**خامساً** :ظهورالعلامات والأدلة على المتفرس فيه.وهذه الأسباب من الثاني إلى الخامس خاصة بالفراسة الخلقية والتي تسمى القيافة .**سادساً**: الرياضة والجوع والسهر لتتخلص النفس من الفضول.وهذا السبب خاص بالفراسة الرياضية

وعلاقة الفراسة ببعض المصطلحات:

أولا:علاقة الفراسة بالتوسم:لقد جعل بعض العلماء الفراسة والتوسم بمعنى واحد مستدلين بقوله ﷺ :(اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فإنه يَنْظُرُ بِنُورِ اللهَّ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر : ٧٥] [1].

ثانيا:علاقة الفراسة بالكرامة :الفراسة لها علاقة بالكرامة قد تقصر أو تبعد ، لذا أوردها كثير من العلماء بعد مبحث الكرامة .لكنها الفراسة

---

(١) سبق تخريجه.

الإيمانيــة لا الفراســة الرياضــية التــي تُــتَعلم بالرياضــة بــالتعود وبــالخبرة ، وليست خلقية طبيعية .

ثالثا:علاقة الفراسة بالقيافة :كثير من العلماء جعل القيافة أحد أنواع الفراسة وهي الفراسة الخَلْقية.

رابعا:علاقة الفراسة بالريافة وهي معرفة:(استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده...).وقد أدخل كثير من العلماء علم الريافة ضمن الفراسة وجعلوه من فروعها وبالذات القيافة لأنه علم يقوم على الاستدلال والاستنباط .

خامسا:علاقة الفراسة بالبصيرة:الفراسة والبصيرة متشابهتان من حيث المعنى والمكان فمكانها القلب، ومن حيث إنهما نور من الله يقذفه الله في القلب فيرى المؤمن التقي ما لا يراه غيره فضلا من الله.

سادسا:علاقة الفراسة بالنور:ذكر شيخ السلام أن من ترك النَّظَرُ إلى مكروه من أجل الله أَعْطَاهُ اللهُّ نُورًا فِي قَلْبِهِ وَبَصَرًا يُبْصِرُ بِهِ الْحَقَّ و لَمْ تُخْطِئْ لَهُ فِرَاسَةٌ .

سابع:علاقة الفراسة بالظن:الظن يخطئ ويصيب وهو يكون مع ظلمة القلب ونوره ولهذا أمر تعالى باجتناب كثير منه وأخبر أن بعضه إثم ،أما الفراسة الصادقة فتكون لقلب قد تطهر وتصفى وتنزه فهو ينظر بنورالله الذي جعله في قلبه

ثامنا:علاقة الفراسة بسرعة البديهة:سريع البديهة هو الذكي الذي يفاجئ خصمه عند الحاجة لذلك. **وعلاقة الفراسة بسرعة البديهة:أن** البداهة والفراسة كلاهما من وسائل حسن التصرف .لكن قد تكون البداهة للصغير والكبير والصالح وغيره، لكن بداهة المؤمن تعد من الفراسة .

تاسعا:علاقة الفراسة بالإلهام :والإلهام هو: أن يلهم الله المرء بالتوجه إلى عمل ما ينفعه في الدين والدنيا وإلى الكف عما يضره ويقوي عزمه عليه .وعلاقة الفراسة بالإلهام:هو أن بعض أنواع الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل كالخلقية والرياضية، وأما الإلهام فموهبة مجردة ، لا تنال بكسب البتة. والفراسة الإيمانية أقرب ما تكون إلى الإلهام .

عاشرا:علاقة الفراسة بالعيافة: ومعنى العيافة:هو زجر الطير والتخرص على الغيب بالحدس والظن.**وعلاقة الفراسة بالعيافة**:هو أن الفراسة الإيمانية وكذلك الفراسة الخَلْقية"القيافة"ليس فيها ادعاء علم غيب ولا استعانة بالشياطين مثل العيافة والتي هي من باب الكهانة والعرافة ،أما الفراسة الرياضية فقد تدخل في الكهانة

الحادي عشر:علاقة الفراسة بالكهانة:هناك فرق بين الفراسة العيافة والكهانة فهذه حرمها الله تعالى لأنها فيها ادعاء علم مغيب أما الفراسة فهي تعرف على بعض ما غيب، لكنها من الله عن طريق الإلهام أو الاستدلال على بواطن الأمور بالنظر إلى ظواهرها **كالقيافة**.

الثاني عشر:علاقة الفراسة بالكشف ومعنى الكشف عند الصوفية هو: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا.

وعلاقة الفراسة بالكشف هو: أن الفراسة نوع من الكشف، لكنها كشف رباني لا شيطاني ،لأن من أنواع الفراسة ما يكون فيه خرق للعادة فيكون كالعلوم والمُكَاشَفَات التي يُجريها الله على يد أوليائه ،لكن هناك كشف يحصل بطريق الرياضة والجوع والسهر ،وهذا قد يحصل للكافر كما

يحصل للمؤمن فقد حصل على ذلك كثير من المرتاضين من كفرة الهند والنصارى والمجوس، فالميزان بين الفراسة وإلقاء الشيطان هو التقوى.

الثالث عشر:علاقة الفراسة بعلم (البراسيكولوجي)(بالتلباثي) أو ما يسمى الاستشعار عن بعد والحاسة السادسة أوتحضير الأرواح وليس لهذه المصطلحات علاقة بالفراسة الإيمانية والخلقية إنما قد يكون لها علاقة بالفراسة الرياضية التي قد تتأتى بعضها عن طريق الجن والشياطين والتخرص ، وهي من الكهانة في معناها ومبناها وإن تغيرت الأسماء فهي ادعاء علم للغيب أوأنها تقوم على التخمين والتخرص.**لأن** الفراسة نور من الله يقذفه في قلب المؤمن، أما هذه فهي من ظلمات الكهانة وهي مرادفة لها بالمعنى والمبنى وإن اختلفت المسميات .

الرابع عشر:علاقة الفراسة بعلم الأكتاف وهو:أن يؤخذ لوح كتف الغنم بلحمه قبل طبخه ويلقى على الأرض ، ثم ينظر فيه فيستدل بأحواله من الصفاء والكدر وغيرها إلى الأحوال الجارية في العالم. **فعلم الأكتاف** لا علاقة له بالفراسة بل هو نوع من أنواع الكهانة **المحرمة**.

ثانيها:أهم التوصيات وهي:

أولا:لابد من الاهتمام بالبحث والتأليف حول أنواع الكهانة التي دخلت إلى بلاد العرب حديثا والتي تسمى بعلم الروحانيات.

ثانيا: تكثيف المحاضرات لبيان هذه الأنواع وبيان حرمتها وبيان ادعاء أصحابها وتحذير الناس منها ومنهم.

والحمد لله رب العالمين –وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المراجع

أبجد العلوم/ صديق خان،دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٧٨ .
الأحكام/ لابن حزم، ط/ ١، ١٤٠٤هـ ، دار الحديث ، القاهرة.

إحياء علوم الدين/ الغزالي ، دار االمعرفة – بيروت.
أخبار مكة/ محمد بن إسحاق الفاكهي ، ط/ ٢، ١٤١٤هـ، دار خضر، بيروت.

أساس البلاغة الزمخشري ط / بدون، دار إحياء التراث العربي، دار المعرفة، بيروت.

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى/ أحمد بن خالد السلاوي،دار االمعرفة،بيروت.

الاستيعاب – ابن عبدالبر – ط/ بدون – مؤسسة الرسالة.

أسد الغابة/ ابن الأثير الجزري، ط/ بدون، سنة النشر/ بدون، مطبعة الشعب/ القاهرة.

الإصابة / ابن حجر العسقلاني،ط/ ١،١٣٢٨هـ، دار العلوم الحديثة، مؤسسة الرسالة.

أضواء البيان/ محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت، ١٤١٥هـ.

اعتقاد أهل السنة / للإمام أبي بكر بن قاسم الرحبي ،النور،دمشق.
الأعلام/ الزركلي، دار العلم للملايين،بيروت.

اقتضاء الصراط المستقيم/ ابن تيمية، ط ٢، ١٣٦٩هـ،مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

الأنوار القدسية/ عبد الوهاب الشعراني دار المعرفة، ٢٠٠٦،ط/ ١.

أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي/ عبد الرحمن دمشقية.

البداية والنهاية / ابن كثير،ط/ بدون،دار الفكر،بيروت.

البدر الطالع/ محمد علي الشوكاني،ط/ بدون، مطبعة السعادة، مصر ١٣٤٨هـ.

بيان تلبيس الجهمية / ابن تيمية، مطبعة الحكومة،مكة المكرمة، ١٣٩٢، الطبعة: الأولى.

تاج العروس/ محمد مرتضى الزبيدي،ط/ بدون، دار الهداية.

تاريخ الطبري/ محمد بن جرير ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

التبصير في الدين/ طاهر بن محمد الإسفراييني،عالم الكتب ،بيروت ط/ ١ ، ١٩٨٣.

تحفة الأحوذي/ المباركفوري، ط/ بدون، دار الكتب العلمية، بيروت.

التزكية بين أهل السنة والصوفية/ أحمد فريد. المكتبة الشاملة.

التسهيل لعلوم التنزيل/ حمد بن أحمد الغرناطي المالكي،دار الكتب العلمية، بيروت.

التصوف المنشأ والمصادر / إحسان إلهي ظهير، ترجمان السُّنة،لاهور – باكستان.

التصوف في ميزان النقل والعقل/ إبراهيم البريكان المنشور في مجلة البحوث الإسلامية

التعرف لمذهب أهل التصوف/ محمد الكلاباذي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠

التعريفات/ علي الجرجاني ، ط/ ١، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

تفسير ابن كثير/ إسماعيل بن عمر، ط/ بدون،دار الفكر،بيروت،

١٤٠١هـ.

تفسير أبي السعود/ محمد بن محمد العمادي، ط/ بدون،دار إحياء التراث العربي، بيروت.

التفسير القيم / ابن القيم دار ومكتبة الهلال،بيروت،١٤١٠ هـ .

التفسير الكبير/ ابن تيمية، ط/ ١١٤٠٨هـ ، بيروت، دار الكتب العلمية.

معالم التنزيل/ الحسين بن مسعود البغوي، ، ط/ ٢، ١٤٠٧هـ، دار المعرفة بيروت.

تلبيس إبليس / ابن الحوزي: ، ط / ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الجيل، بيروت

التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام/ عبد المجيد المشعبي ضواء السلف، الرياض.

تهذيب الأسماء/ أبو زكريا النووي:، ط/ ١، ١٩٩٦م، دار الفكر، بيروت.

تيسير العزيز/ سليمان بن عبد الله، ط/ ٢، ط/ بدون، ١٣٩٠هـ، المكتب الإسلامي .

جامع البيان / الطبري، محمد بن جرير، ط/ بدون، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

الجامع الصحيح/ البخاري، ط/ بدون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي، محمد بن أحمد،ط/ ٢، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

الجواهر والدرر للشعراني التي بهامش الإبريز،مطبعة،الحلواني، مصر ١٢٧٦هـ.

الحدود الأنيقة / زكريا محمد الأنصاري، ط / ١، ١٤١١هـ ، دار الفكر المعاصر.

حلية الأولياء/ الأصبهاني: ط/ بدون، دار الكتب العلمية، بيروت.

الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ ابن حجر، ط/ بدون، دار الكتب الحديثة، مصر.

درء التعارض/ ابن تيمية ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ .

دراسات في التصوف والفلسفة/ صالح الرقب. المكتبة الشاملة.

ذخائر الأعلاق لابن عربي، ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

الرد على الخرافيين للشيخ سفر الحوالي . المكتبة الشاملة.

الرسالة القشيرية/ عبدالكريم القشيري/ ت: معروف بلطة جي، ط/ ٢- ١٤١٠هـ.

روح المعاني/ محمود الألوسي، ط/ بدون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الروح/ ابن القيم ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٥ - ١٩٧٥

زاد المسير/ ابن الجوزي،عبدالرحمن بن علي ، ط/ ٣، المكتب الإسلامي – ١٤٠٤هـ.

سبل السلام/ الصنعاني: ت: محمد الخولي، ط/ ٤/ ١٣٧٩، دار إحياء التراث، بيروت.

السحب الوابلة/ محمد بن حميد، ط/ بدون، ١٤٠٩هـ ، مكتب الإمام أحمد – مكة.

سنن ابن ماجه/ محمد القزويني،ت: محمد عبدالباقي،ط/ بدون،دار الفكر، بيروت.

سنن إبي داود، تحقيق محمد عبدالحميد، ط بدون، دار الفكر،

السنن الكبرى/ أحمد بن الحسين البيهقي،ط/ بدون،مكتبة دار الباز – مكة ١٤١٤.

سير أعلام النبلاء/ محمد بن أحمد الذهبي، ط/ ٩، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

شرح الزرقاني على الموطأ / محمد الزرقاني،ط / ١، ١٤١١هـ،دار الكتب العلمية، بيروت.

شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز،المكتب الإسلامي، بيروت،ط/ ٤ ،١٣٩١.

شرح العقيدة الطحاوية / عبدالعزيز الراجحي المكتبة الشاملة.

شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز، ط / ٨، ١٤٠٤هـ،المكتب الإسلامي– دمشق.

شرح العقيدة الطحاوية/ عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين .المكتبة الشاملة.

شرح العقيدة الواسطية / محمد خليل هراس،ط/ ١الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،الرياض.

الشرح الميسر لكتاب التوحيد / عبد الملك القاسم. المكتبة الشاملة.

شرح جوهرة التوحيد / البيجوري ، عمر بن محمد أبو عمرو، المكتبة الشاملة.

شرح صحيح مسلم/ النووي: ط/ ٢، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

شرح عدة متون في العقيدة / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، المكتبة الشاملة.

شرح عمدة الأحكام / عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، المكتبة الشاملة.

شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية / عمر بن سعود بن فهد العيد المكتبة الشاملة..

شرح لمعة الاعتقاد/ خالد بن عبدالله المصلح، المكتبة الشاملة.

شفاء العليل / أبي بكر ابن قيم الجوزيةدار المعرفة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، بيروت، لبنان.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا/ أحمد القلقشندي،ودار الفكر، دمشق،ط/ ١، م١٩٨٧.

صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان ، ط/ ٢، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤هـ.

صحيح ابن ماجه/ الالباني،المكتب الإسلامي.

صحيح أبي داود/ الألباني،المكتب الإسلامي.

صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الصفدية / ابن تيمية الطبعة الثانية ، ١٤٠٦،وتحقيق : د. محمد رشاد سالم.

صفوة الصفوة / ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت - ١٣٩٩ هـ ط/ ٢.

الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه/ سليمان بن سحمان، دار العاصمة، الرياض.

الصوفية شأتها وتطورها/ محمد العبْدة طارق عبد الحليم، ط/ ٤، ١٤٢٢ هـ.

الصوفية والوجه الآخر / محمد غازي، المكتبة الشاملة..

الضوء اللامع / السخاوي لأهل القرن التاسع، ط بدون، دار مكتبة الحياة الأعلام.

الطرق الحكمية/ ابن القيم، مطبعة المدني – القاهرة.

الطريقة الرفاعية/ محمد أبي الهدى الصيادي الرافعي مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥ هـ.

الطريقة النقشبندية / الشيخ فريد الدين آيدن ، المكتبة الشاملة.

عمدة القاري/ العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

عون المعبود/ أبو الطيب آبادي: ٩/ ٣٦٢، ط/ ٢، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية،

العين/ الفراهيدي، دارمكتبة الهلال، مدينة النشر،و سنة النشر بدون،ط/ بدون.

غريب الحديث لابن قتيبة ، مطبعة العاني – بغداد،ط/ ، ١٣٩٧،ت:عبد الله الجبوري

الفائق/ محمود بن عمر الزمخشري ،دار المعرفة،لبنان

فتح الباري/ ابن حجر، ط/ بدون، ١٣٧٩هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.

فتح القدير/ الشوكاني ت: ١٢٥٠، ط/ بدون، دار الفكر، بيروت.

فتح المجيد: عبد الرحمن بن حسن/ ط/ ١٤٠٣هـ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث،

الفتوحات المكية/ ابن عربي . دار صادر،بيروت ،ط/ بدون.

الفراسة/ فخر الدين الرازي،تحقيق مصطفى عاشور،مكتبة القرآن ، القاهرة، ط/ بدون.

الفردوس الديلمي، ط/ ١، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٩٨٦م.

الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة/ عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف

فوائد من شرح كتاب التوحيد/ عبد العزيز بن محمد السدحان ، دار المسلم للنشر .

فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة/ الغزالي: : دار الفكر ،بيروت،١٩٩٣م.

فيض القدير – عبدالرؤوف المناوي، ط٧، ١٣٥٦ - المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

القواعد/ ابن رجب الحنبلي ت: ٧٩٥هـ مكتبة: الباز،و١٩٩٩م،ومكة.

كتاب الدراسة في علم الفراسة:.وهذا الكتاب مطبوع لكن لا يوجد عليه علامات فلم يكتب اسم المؤلف ولا الناشر ولا سنة النشر.

كتاب الفراسة عند العرب/ يوسف مراد،الهيئة العصرية ،مصر،١٩٧٢م

كتاب الكليات/ أبي البقاء العكبري، ط بدون، ١٢٨١هـ، بولاق، القاهرة .

كتاب مشارق شموس الأنوار / إسماعيل الولي،ط/ بدونمكتبة الشوق،مصر.

كتاب موسوعة الظواهر الخارقة/ احمد حجازي، دار أسامة للنشر والتوزيع٢٠٠١م.

كتاب موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الرافضة / عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله.

كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،عبد الرحمن بن قاسم،مكتبة ابن تيمية.

كشف الظنون / مصطفى الحنفي،، ط / ١٤١٢-١٩٩٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

كشف خفايا علوم السحرة / محمَّد أمين شيخو ،المكتبة الشاملة.

الكشف عن حقيقة الصوفية / محمود عبد الرؤوف القاسم .المكتبة الشاملة.

كلمات و أفعال و معتقدات خاطئة/ .طلعت زهران .المكتبة الشاملة.

لسان العرب/ محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر،بيروت، ط/ ١، سنة النشر/ بدون.

لطائف المنن/ عبدالوهاب الشعراني،ط١٩٠٣م/ الميمنية مصر.

مجمع الزوائد/ الهيثمي،دارالكتاب العربي،القاهرة، بيروت، ١٤٠٧، ط بدون.

مجموع الفتاوى/ ابن تيمية ، ط/ بدون، ١٤٠٤هـ ،الرئاسة العامة لشؤون الحرمين ، مكة

مجموع فتاوى ابن باز، أشرف على جمعه محمد بن سعد الشويعر، .المكتبة الشاملة.

المحكم والمحيط الأعظم/ أبي الحسن علي بن سيده ،دار الكتب العلمي، ٢٠٠٠م،بيروت.

مختار الصحاح / الرازي – محمد بن أبي بكر ، ط/ جديدة، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ.

مختصر سيرة الرسول / الشيخ محمد بن عبد الوهاب مطابع الرياض،الرياض.

مدارج السالكين/ ابن القيم ، ط/ بدون، هـ١٣٩٣ ، دار الكتاب العربي – بيروت.

المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل/ عبد القادر بن أحمد بدران، ت: ١٣٤٦هـ.

مراتب النحويين/ أبي الطيب اللغوي،ط/ بدون،١٣٩٤هـ،دار الفكر

العربي، القاهرة.

مرقاة المفاتيح / القارئ ، مطبعة المدني – القاهرة.

المستدرك / الحاكم:ط/ ٧، ١٤١١هـ، ت:مصطفى عطا،دار الكتب العلمية،بيروت.

مسند أبي يعلى/ أحمد بن علي، دار المأمون للتراث،ط/ ١، دمشق، ١٤٠٤هـ.

المسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، ط/ بدون، سنة النشر بدون.

مشارق الأنوار/ القاضي عياض: ،دار المعرفة،لبنان.

مصادر مياه الينابيع في العالم/ كشوفات سر الختان/ محمد أمين شيخو،المكتبة الشاملة.

المصباح المنير/ أحمد الفيومي، تحقيق: ط/ بدون، المكتبة العلمية – بيروت.

مصرع التصوف/ إبراهيم بن عمر البقاعي (المتوفى : ٨٨٥هـ)،الباز – مكة المكرمة.

معارج القبول/ أحمد بن حافظ الحكمي ،ط١، ١٤١٠هـ، دار ابن القيم، الدمام.

المعجم الأوسط الطبراني،ت:طارق بن عوض الله،ط/ ١٤١٥هـ،دارالحرمين، القاهرة.

المعجم الصغير/ الطبراني ، ط/ ١٤١٥هـ ، دارالحرمين ، القاهرة.

المعجم الصوفى/ د. محمود عبد الرازق،رسالة دكتوراه منحت من كلية دار العلوم جامعة القاهرة.المكتبة الشاملة.

المعجم الكبير / الطبراني، ط/ ٢ ـ مكتبة العلوم والحكم ـ ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

معجم المؤلفين، رضا كحالة: ، ط/ بدون، دار إحياء التراث العربي – بيروت..

معجم مقاليد العلوم/ السيوطي،مكتبة الآداب، القاهرة ، ٢٠٠٤ م،الطبعة : الأولى.

مفاتيح الغيب / بفخر الدين الرازى،دار إحياء التراث العربى ، بيروت.

مفتاح دار السعادة / ابن قيم الجوزية ،ودار الكتب العلمية – بيروت.

المفردات في غريب القرآن/ أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار المعرفة – لبنان.

الملتمس في تاريخ رجال الأندلس/ أحمد بن يحيى العيني،ط/ ١٩٦٧،دار الكتاب العربي، بيروت.

الملل والنحل/ أبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني،دار المعرفة، بيروت.

المنقذ من الضلال/ الغزالي ،المكتبة الثقافية - بيروت / لبنان ،ت: محمد محمد جابر.

الموافقات/ الشاطبي،ط/ بدون،دار المعرفة، بيروت.

مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة بجامعة اليرموك ، .المكتبة الشاملة.

موسوعة الرد على الصوفية / مجموعة من العلماء، المكتبة الشاملة.

الموسوعة العربية العالمية ، المكتبة الشاملة.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي،الرياض.

ميزان الاعتدال الذهبي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيوت، ١٩٩٥م، ط/ ١.

النبوات / ابن تيمية، أضواء السلف، الرياض،،ط/ ١،١٤٢٠هـ.

النهاية في غريب الحديث/ ابن الأثير، ط/ بدون، المكتبة العلمية،بيروت، ١٣٩٩هـ.

الواسطة بين الحق والخلق / ابن تيمية،دار السنة،بغداد.

الوسيط/ الغزالي أبو حامد الشافعي، دار السلام، القاهرة – هـ١٤١٧، ط/ ١.

فهرس الموضوعات

أَثَرُ الحُدوْدِ والتَّقْسيُماتِ

العَقَديّة عَلَى المبَاحِث الفِقْهيّة

فِي كِتَاب الأَيْمَان

إعداد:

د. حميد بن أحمد نعيجات

باحث جزائري، حاصل على درجة الدكتوراه في العقيدة

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فهذا جهد علمي يبحث في علاقة الخلاف في المسائل العقدية بالخلافات الفقهية وأثره عليها، وقد اتخذت كتاب الأيمان نموذجا لبيان هذه الحقيقة، ولإبراز منهج أهل السنة ومثبتة الصفات على طريقة السلف الصالح في هذه المسائل الفقهية، حيث إن كثيرا من المسائل الفقهية الفرعية المتعلقة بانعقاد اليمين وما يترتب عليه من وجوب الكفارة وغير ذلك يختلف حكمها باختلاف معتقد الفقيه، وبالتالي نظرته الفقهية المبنية على هذا المعتقد، ومن هنا أحببت إبراز أثر الاختلاف العقدي على الاختلاف الفقهي.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في أمور أوجزها في الفقرات التالية:

١ - أن فيه وقوفا على مواطن الخلل في التفريع الفقهي المبني على الخلاف العقدي.

٢- أنه مشاركة علمية في الجمع بين علمي المعتقد والفقه.

٣- أنه تخريج للفروع الفقهية على أصولها العقدية.

أسباب اختياري للبحث

١- أنه تطبيق عملي لما درسته من تأصيل عقدي خلال التخصص الأكاديمي في الماجستير والدكتوراه.

٢- أنني لم أقف حين إعداد البحث على دراسة مستقلة للموضوع(١).

٣- الحرص على تتبع مسائل الفقه عموما المبنية على خلاف عقدي، حيث جعلت كتاب الأيمان فاتحة هذا المشروع.

الدراسات السابقة:

لم أقف حين إعداد هذا البحث وتحريره على أي دراسة تناولت هذا الموضوع من ناحية العقيدة، سوى ما كان من دراسات مفردة لكتاب الأيمان اقتصرت على الجانب الفقهي أو الجانب القانوني، و ما قد يعرض من تنبيهات عقدية أثناء تحرير بعض المسائل أو الأدلة للمسألة(٢)، وبعد

---

(١) ثم أوقفني أحد المحكمين على بحث مفرد سيأتي ذكره وبيان ما فيه.

(٢) وهذه البحوث منها التراثي المحقق ككتاب: معطية الأمان من حنث الأيمان لابن العماد الحنبلي، طبع بتحقيق أ.د.عبد الكريم بن صنيتان العمري، وقد فات الدكتور يوسف بن محمد السعيد فلم يذكره، ومنها الأكاديمي المعاصر الذي تناول جانبا من جوانب هذا الباب الفقهي، فمن ذلك الدراسة الفقهية ككتاب: أحكام اليمين بالله ﷻ دراسة فقهية مقارنة، للدكتور خالد المشيقح، وكتاب: اليمين ألفاظها وموانع انعقادها دراسة فقهية مقارنة، للباحثة سعاد الشايقي، وكتاب: فقه الأيمان لعصام جاد، واليمين والآثار المترتبة عليها للدكتور عطية الجبوري، والأيمان والنذور للدكتور عبد القادر أبو فارس.

الفراغ من هذا البحث اطلعت على بحث للدكتور يوسف بن محمد السعيد بعنوان: الحلف والأيمان دراسة عقدية، وقد تناول وفقه الله الموضوع من زاوية أخرى حيث تعرض في جزء كبير منه إلى مسائل لم أتناولها بالدراسة استقلالا سوى أنني تعرضت لما انبنى خلاف فقهي فيها على خلاف عقدي.

هذا إضافة إلى الاختلاف في طريقة الطرح ودراسة المسائل، حيث ركزت في دراستي على أثر العقيدة في اختلاف الفروع الفقهية، وتناولت بالبيان والشرح أقوال الفرق المختلفة وتباين أقوالها الفقهية أو اتفاقها حسب معتقدها، ومدى التناسب بين القول العقدي والقول الفقهي، وتتبع الفروق الدقيقة بين القولين الفقهيين المبنيين على خلاف عقدي، وإن كان القول متقاربا في التأصيل العقدي أو التفريع الفقهي كالماتريدية والأشاعرة، فأبين وجه الخلاف بينهما في الموضعين، فكان الوجه البارز في هذا البحث هو المنطلق العقدي ومن ثم أثره الفقهي.

إضافة لكون هذه الدراسة نظرية تأصيلية فيها بيان مذهب أهل السنة ومذاهب الفرق المختلفة في مباحث الأسماء والصفات المختلفة.

ومنها الدراسة الحديثية ككتاب: المرويات الواردة في الحلف بالله أو بغيره جمع ودراسة للدكتور باسم الجوابرة.

ومنها الدراسة القانونية المقارنة، ككتاب: اليمين في القضاء الإسلامي للدكتور عكرمة صبري، وغير ذلك من الدراسات المتنوعة لهذا الباب من الفقه.

منهج البحث:

بعد دراسة كتاب الأيمان في عدة كتب فقهية، من كتب المذاهب الإسلامية الأربعة المشهورة، وبعض كتب المحققين من غيرهم؛ كابن حزم الظاهري، جردت منها كثيرا من المسائل التي ظهر لي بناء الخلاف الفقهي فيها على تأصيلات عقدية، ونظرا لوفرة المادة العلمية فقد قسمت البحث إلى عدة وحدات موضوعية، هذه باكورتها وهي تتعلق بالتعريفات والحدود والتقسيمات العقدية التي لها أثر على مسائل الفقه المتعلقة بكتاب الأيمان، وتندرج تحت هذا البحث عدة مسائل متعلقة بتعريف الأسماء والصفات وتقسيمها والعلاقة بين مختلف أقسامها وتقسيماتها، وتحرير قول الفرق الإسلامية وقول أهل السنة، وإبراز كيفية وقوع الخلاف الفقهي المبني عليها وسببه ؛ دون الدخول في تفاصيل المسائل الفقهية التي أفردتها ببحوث لاحقة مستقلة، مقسمة على الموضوعات الفقهية، فخصصت لكل موضوع فقهي ما يتعلق به من المسائل المشتركة بين الفقه والعقيدة، حيث بدأت بالمسائل المتعلقة بالحلف (اليمين)، ثم المسائل المتعلقة بالحالف، وخاتمتها: المسائل المتعلقة بالمحلوف به، وهو أوسعها وأكثرها فروعا فقهية متعلقة بالعقيدة.

خطة البحث:

أما هذا البحث فقد قسمت عملي فيه وفق الخطة العلمية التالية:

المقدمة: وفيها لمحة عن البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: تعريف علم العقيدة وعلم الفقه وبيان العلاقة بينهما.

المبحث الثاني: بيان المراد بالأسماء والصفات وطريقة أهل السنة في إثباتها.

المبحث الثالث: العلاقة بين الاسم والمسمى.

المبحث الرابع: العلاقة بين الصفات والذات.

المبحث الخامس: العلاقة بين الأسماء والصفات.

المبحث السادس: الأسماء التي تطلق على العبد وتطلق على الله.

المبحث السابع: بيان طريقة الطوائف الأخرى في إثبات الأسماء والصفات.

المبحث الثامن: تقسيم الصفات عند أهل السنة وسائر الطوائف.

الخاتمة.

هذا وأسال الله الكريم رب العرش العظيم أن ييسر إخراج هذا البحث على الوجه الذي يرضيه عني، وأن ينفع به من طالعه من القراء والمستفيدين، وأن ينفعني بما أردته وسطرته يوم لا ينفع مال ولا بنون آمين.

وهذا أوان الشروع في المقصود فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول:

تعريف علم العقيدة وعلم الفقه وبيان العلاقة بينهما.

تدل مادة (ع ق د) في اللغة على شدٍّ وشِدَّةٍ وثوق، وإليه ترجع كل فروع الباب، يقال: عَقَدَ قلبه على كذا فلا ينزع عنه، واعتقد الشيءُ: صَلُبَ، واعتقد الإخاءُ: ثَبُتَ[(١)]، وفي المصباح المنير[(٢)]: (اعْتَقَدْتُ كذا: عَقَدْتُ عليه القلب والضمير، حتى قيل: العَقِيدَةُ: ما يدين الإنسان به، وله عَقِيدَةٌ حسنة سالمة من الشكّ)، والعقيدة هي: فعيلة بمعنى مفعول، أي: المعتقدات.

وليس المراد بالعقيدة مجرد العلم أو المعرفة وإنما هي أمر زائد على ذلك يصحبه عمل وتصديق قلب، قال العسكري في فروقه: (الفرق بين الاعتقاد والعلم: أن الاعتقاد هو اسم لجنس الفعل، على أي وجه وقع اعتقاده، والأصل فيه أنه مشبه بعقد الحبل والخيط، فالعالم بالشيء على ما هو به كالعاقد المحكم لما عقده، ومثل ذلك تسميتهم العلم بالشيء حفظا له، ولا يوجب ذلك أن يكون كل عالم معتقدا)[(٣)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٨٦-٩)، وانظر القاموس الفقهي (ص٢٥٥)، والمطلع (ص٤٠٨)، والمعجم الوسيط (٢/ ٦١٤)، الحدود الأنيقة (ص٦٩).

(٢) (ص٢١٨)، العين مع الفاء وما يثلثهما، مادة (عقد).

(٣) الفروق اللغوية (ص٥٧).

والعلاقة بين التعريف اللغوي للعقيدة وكتاب الأيمان ـ موضوع الدراسة ـ وطيدة؛ حيث يجتمعان في كونهما عهدا يتعهد به صاحبه على شيء معين[١].

ومن الفوائد العقدية في هذا التعريف اللغوي أنه يجوز أن يقال: عاهد العبد ربه، بأن يقطع يمينا على نفسه بفعل شيء لله كالنذر ونحوه، ولا يجوز أن يقال: عاقد العبد ربه؛ لأنه لا يجوز أن يقال: استوثق العبد من ربه، ومن هنا يعلم أن اليمين غير العقد لهذا الفارق اللغوي الدقيق والله أعلم[٢]، وفائدة هذا الفرق بيَّنَها ابن منظور بقوله عن اليمين: (أَصلُها: العَقْدُ بالعَزْمِ والنية، فخالف بين اللفظين ـ أي: في قوله تعالى: ﴿عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة:٨٩]، ـ تأْكيداً لعَقْدِه، وإعْلاماً أَنَّ لَغْو اليمينِ لا ينعقد تحته)[٣].

أما من الناحية الاصطلاحية فعلم العقيدة بهذا المصطلح لم يكن معروفا، وإنما هو اصطلاح حادث، وقد صار لفظ العقيدة اسم عَلَمٍ على العلم والمادة التي تتناول بالدراسة مواضيع التوحيد والقدر ومباحث الإيمان وما إلى ذلك من المواضيع، وهي: أصول الإيمان الستة المعروفة، أو

---

(١) وذلك في غير اليمين الكاذبة ولا العقد المُزَوَّر؛ فالتعهد فيهم كاذب.

(٢) انظر: الفروق اللغوية (ص٣٦٥).

(٣) لسان العرب (٩/ ٥٣)، وانظر النهاية في غريب الحديث (١/ ١٠٣١).

ما يتعلق بها، ويلحق بها، وتعريفات المعاصرين لا تخرج في مجملها عن هذا التعريف(١).

وتسمى هذه المسائل الملحقة بأصول الإيمان متممات العقيدة، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان: (أهل السنة يؤمنون بكرامات الأولياء، **وقد انتهت العقيدة**(٢)، والذي ذكره المصنف هنا هو **من المكملات** لعقيدة أهل السنة والجماعة...ليست من الأصول التي تكون في عقيدة المؤمن؛ ولكنها من الفروع)(٣)، بل أُدرجت فيها بعض مسائل الفقه كالمسح على الخفين لغرض خاص، قال الدكتور ناصر العقل: (لأن إنكارها يؤدي إلى الإخلال بالأصول والقطعيات: العقيدة)(٤).

أما علم الفقه، فقد جاء في الموسوعة الفقهية: (الْفِقْهُ لُغَةً: الْفَهْمُ مُطْلَقًا، سَوَاءٌ مَا ظَهَرَ أَوْ خَفِيَ... وذهب بعض العلماء إلى أن الفقه لغة هو فهم الشيء الدقيق)، وهوا لذي مال إليه واضعوها.

---

(١) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة (ص٨٧)، ورسالة في أسس العقيدة (ص١)، والعقيدة في الله (ص٩).

(٢) أي: عند بدء الكلام على الكرامات، فما سبقها هو أصول الاعتقاد.

(٣) شرح العقيدة الواسطية الدرس (٣١).

(٤) حراسة العقيدة (ص١٤٥).

أما اصطلاحا؛ فقد ورد في الموسوعة نفسها التفريق بين تعريف الأصوليين له وتعريف الفقهاء فالفقه: (في اصطلاح الأصوليين أخذ أطوارا ثلاثة:

الطور الأول: أن الفقه مرادف للفظ الشرع...

الطور الثاني: وقد دخله بعض التخصيص، فاستبعد علم العقائد...

الطور الثالث:... العلم بالأحكام الشرعية الفرعية العملية المستمدة من الأدلة التفصيلية[١]...

تعريف الفقه عند الفقهاء: يطلق الفقه عندهم على أحد معنيين:

أولهما: حفظ طائفة من الأحكام الشرعية العملية...

وثانيهما: أن الفقه يطلق على مجموعة الأحكام والمسائل الشرعية العملية)[٢]، وقد توسع الشيخ ابن بية في تتبع المعنى اللغوي وتطور المعنى الاصطلاحي للفقه، فليرجع إليه من أراد التوسع[٣].

أما العلاقة بين التعريفين فتظهر بوضوح أكثر بمعرفة الألفاظ الأخرى التي عبروا بها عن كل فن غير اللفظين السابقين:

---

(١) فخرج أولا علم العقائد ثم علم الأخلاق، ليختص أخيرا بأفعال الجوارح.

(٢) الموسوعة الفقهية (١/ ١١-١٢).

(٣) انظر: الفصل الأخير من كتابه أمالي الدلالات ومجالي الاختلافات (٢٦٤)، حيث أفرده للفقه الإسلامي؛ تعريفه وتطوره ومكانته.

أما بالنسبة للعقيدة، فللعلماء تسميات أخرى لهذا العلم الشريف، وهي: التوحيد ككتاب التوحيد لابن منده (ت: ٣٩٥هـ) وابن خزيمة (ت: ٣١١هـ)، السُّنَّة ككتاب السنة للخلال (ت: ٣١١هـ)، الشريعة ككتاب الشريعة للآجري (ت: ٣٦٠هـ)، الإِيمان ككتاب الإيمان لابن منده (ت: ٣٩٥هـ)، العقيدة والاعتقاد ككتاب عقيدة السلف للصابوني (ت: ٤٤٩هـ) والاعتقاد للبيهقي (٤٥٨هـ)، أصول الدين ككتاب الشرح والإبانة عن أصول الديانة لابن بطة (ت: ٣٨٧هـ)، وأصول الديانة ككتاب الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، الفقه الأكبر ككتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة (ت: ١٥٠هـ)، الاستقامة ككتاب الاستقامة في السنة والرد على أهل الأهواء لخشيش بن أصرم (ت: ٢٥٣هـ)، ـ وهذه الإطلاقات كانت سائدة في القرون الثلاثة الفاضلة وعند علماء السلف عموما ـ، علم الكلام ككتاب المواقف في علم الكلام للإيجي، الفلسفة، الإلهيات، ما وراء الطبيعة، أو الميتافيزيقيا[(١)]، التصوف ككتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (ت٣٨٠هـ)، وهي قريبة من معنى الإلهيات، وقد اشتهرت هذه الإطلاقات عن بعض الفرق الإسلامية.

---

(١) انظر الموسوعة العربية العالمية، مادة ميتافيزيقا.

أما علم الفقه: فقد سبق أنه مرَّ بمراحل كان في أولها أوسع إطلاقا بحيث شمل كل العلوم الشرعية، والفقه فيها؛ سواء منها العقيدة والأخلاق والأحكام العملية، إلى أن اختص بالأخيرة منها، ومن هنا كان له إطلاقان: فقه أكبر، وفقه أصغر، وفي ضوء هذه الإطلاقات تتضح لنا العلاقة بين المصطلحين، وهي:

أولا: أن علم العقيدة هو الأصل وأن علم الفقه فرعه؛ لأنه ينبني عليه ويتفرع عنه، فمن أين تأتي الأحكام الفقهية إذا لم تحكم المباحث الإلهية وتؤصل، ويظهر هنا فضل علم الاعتقاد، يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله: (الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام، ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير)، وشرح كلامه أبو الليث السمرقندي بقوله: (لأن الفقه في الدين أصل، والفقه في العلم فرع؛ وفضل الأصل على الفرع معلوم)[١]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (الفقه في الشَّرع ليس خاصاً بأفعال المكلَّفين، أو بالأحكام العمليَّة، بل يشمل حتى الأحكام العَقَديَّة، حتى إن بعضَ أهل العلم يقولون: إِن عِلمَ العقيدة هو الفقهُ الأكبر، وهذا حَقٌّ، لأنك لا تتعبَّد للمعبود إلا بعد معرفة توحيده بربوبيّته وألوهيّتِه وأسمائه وصفاته، وإلا فكيف تتعبَّد لمجهول؟!، ولذلك كان الأساسُ الأولُ هو التَّوحيدَ، وحُقَّ أن يُسمَّى بالفقه الأكبر)[٢].

---

(١) انظر جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (١/ ٦٦).

(٢) الشرح الممتع (١/ ١٥).

ثانيا: شرف علم العقيدة: (فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم؛ إذ شرف العلوم بشرف المعلوم...وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف معبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه)[١].

ثالثا: أن تقسيم الدين إلى عقيدة وشريعة أو إلى أصول وفروع أمر اصطلاحي بحت، وإلا فقد يطلق على العقيدة ما هو أوسع منها لتشمل الدين كله، وعلى الفقه ما هو أوسع منه كذلك ليشمل الدين كله، والذي ظهر لي خلال هذا البحث أن العلاقة بين المصطلحين لا تختلف عن العلاقة بين المصطلحين الشرعيين المعروفين وهما الإيمان والإسلام، حيث تبحث كتب الاعتقاد العلاقة بينهما، وكون الإيمان يدل على أعمال القلوب والإسلام يدل على أعمال الجوارح لا يمنع من استعمال الإسلام وإرادة أعمال القلوب والعكس، ولهذا كان مذهب المحققين من أهل السنة، أن اللفظين إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا[٢]، قال أبو بكر الإسماعيلي ـ رحمه الله ـ: (إذا ذكر كلّ اسم على حدته مضموما إلى الآخر، فقيل:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٨).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٢٤).

المؤمنون والمسلمون جميعا مفردين، أريد من أحدهما معنى لم يرد به الآخر، وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكلَّ وعمَّهم)[(١)].

رابعا: بناء على ما سبق فقد درج علماء المالكية رحمهم الله على إدراج مسائل الاعتقاد في كتب الفقه، وتقديمها في الترتيب على مباحثه، وأشهر ذلك رسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني التي صدرها بمقدمة هامة في العقيدة على طريقة السلف، وكذا ابن رشد سار على نفس النهج في التأليف في كتابه المقدمات، وبين رحمه الله أهمية هذا المنهج العلمي المتميز بقوله عن كتاب الوضوء: (كنت أشبع القول فيه ببنائي إياه على مقدمات من الاعتقادات في أصول الديانات وأصول الفقه في الأحكام الشرعيات لا يسع جهلها ولا يستقيم التفقه في فن من الفنون قبلها)، ثم قال: (الدين الذي أمر بإقامته هو دين الإسلام...وإقامته تفتقر إلى شرائعه...والتفقه فيها لا يستقيم إلا بعد المعرفة بوجوبها، ولا طريق إلى المعرفة بوجوبها إلا بعد المعرفة بالله تعالى على ما هو عليه من صفات ذاته وأفعاله)[(٢)]، وقد حذا ابن حزم هذا الحذو في كتابه المحلى حيث خصص الجزء الأول منه لمسائل الاعتقاد وذكر أن: (أول ما يلزم كل أحد ولا يصح الإسلام إلا به أن يعلم المرء بقلبه علم يقين وإخلاص لا يكون لشيء من الشك فيه أثر وينطق بلسانه ولا بد بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ برهان ذلك...)[(٣)].

---

(١) من جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩)، ونص على أن الخطابي قال مثله وتبعه على ذلك جماعة من العلماء.

(٢) المقدمات (١/ ٢-٣).

(٣) المحلى (١/ ٢).

المبحث الثاني:

بيان المراد بالأسماء والصفات وطريقة أهل السنة في إثباتها.

المراد بالأسماء والصفات هو: ما سمى الله به نفسه سبحانه من الأسماء، أو وصفها به من الصفات، وما أثبته له من ذلك رسوله ﷺ وأجمع عليه العلماء، وطريقة السلف في هذا الباب هي: الإيمان الجازم بجميع ما ثبت في الكتاب والسنة من الأسماء الحسنى والصفات العليا، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل[1]، هذا في الجملة تعريف الأسماء والصفات وطريقة السلف في إثباتها.

أما تعريف الاسم من الأسماء الحسنى فيقول الدكتور خالد بن عبد اللطيف: (لم أقف على تعريف لإمام متقدم في تعريف الاسم شرعا، وذلك لوضوح هذا الأمر، وقد خلص الباحث شمس الدين إلى تعريف أسماء الله تعالى بقوله: كلمات شرعية تدل على ذات الله تتضمن إثبات صفات الكمال المطلق له جل وعلا وتنزيهه سبحانه عن كل عيب ونقص)، ثم استدرك عليه بقوله: (ولو قال: كلمات الله، لكان أدق)[2]، قلت:

---

(١) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص٤٤)، مختصر معارج القبول (٣١)، الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان (ص٨٤-٨٥)، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (٣١)، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص١٧)، وانظر شروح العقيدة الواسطية فقد تعرض جميعها لهذه المباحث تفصيلا.

(٢) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (٢/ ٣٧٤).

ووجهه: أن أسماء الله من كلامه؛ وكلامه ﷻ غير مخلوق، ولا يعترض على هذا بأن بعض الأسماء لم ترد في القرآن وإنما وردت في السنة؛ لأن المقصود ليس طريقة ثبوتها ـ هل هي الكتاب أو السنة الصحيحة؛ إذ لا خلاف في ذلك ـ، وإنما أن الذي سمى الله بهذه الأسماء هو الله سبحانه وليس غيره، أي إنه سبحانه سمى نفسه بمشيئته وقدرته، وإخباره ﷺ عن الاسم ليس إنشاء وإنما هو أداء، قال شيخ الإسلام: (أسماء الله من كلامه، وكلام الله غير مخلوق، بل هو المتكلم به، وهو المسمي لنفسه بما فيه من الأسماء)[(١)]، فحقيقة الحلف بأي اسم هي حلفٌ بكلام الله الذي هو صفته.

وأما تعريف الصفات: فالصفة هي: ما قام بالذات من المعاني والنعوت، وهي في حق الله تعالى نعوت الجلال والجمال والعظمة والكمال، كالقدرة والإرادة والعلم والحكمة، أو: هي ما بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها، ووردت بها نصوص الكتاب والسنة[(٢)].

وهنا وقعت كثير من الفرق الإسلامية ومن تبنى قولها من الفقهاء في أخطاء فقهية بسبب معتقد خاطئ في مفهوم الاسم أو الصفة أو كليهما، وذلك مبني على طريقتهم في إثباتهم للصانع ـ كما يعبرون ـ وما تفرع عنها

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٥-١٨٦).

(٢) الصفات الإلهية (ص٨٤)، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص٣٤)، وانظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (٢/ ٤٠٠)، والنفي في باب صفات الله (ص٥١).

من المسائل العقدية، فإنهم بنوه على دليل التعدد والتركيب وقيام الأعراض وحدوث الأجسام؛ حيث رأوا أن هذه أوصاف ملازمة للمخلوق وبها أثبتوا وجوب الصانع وتوحيده، ومن ثَمَّ فإن إثبات قيام الصفة بالذات يلزم منه نفي الصانع؛ لانتقاض الدليل الوحيد عندهم على إثباته، فلم يثبتوا في حقيقة الأمر إلا ذاتا مجردة، لا تتميز عن غيرها، ولا تتصف بالوحدانية، ولا باستحقاق العبادة[١]، وجعلوا كل شيء زائد عن هذه الذات المجردة منفصلا مخلوقا، على تفاوت في ذلك بين أصحاب النفي الكلي من فلاسفة وجهمية ومعتزلة، الذين جعلوا الوصف والصفة اسما للكلام فقط، من غير أن يقوم بالذات معاني، وأصحاب النفي الجزئي من كلابية وأشعرية وماتريدية، الذين فرقوا بين الصفة والوصف، وكذا بين الصفة والنعت، فالصفة عندهم هي القائمة بالذات؛ أزلية قديمة، لازمة ثابتة، والوصف أو النعت هو ما لا يقوم بالذات، ويكون فيما يتغير ويتجدد، وهو القول أيضا، وغرضهم إثبات الصفات الذاتية ـ في الجملة ـ دون الصفات الفعلية، فأطلقوا على الأولى الصفات، وعلى الثانية الوصف أو النعت[٢]، والصواب أن كلا من الوصف والصفة مصدر في الأصل،

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٦-١٤٨)، وانظر للتوسع في هذا المبحث كتاب الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات، والنفي في باب صفات الله ﷻ (ص٣١٧ فما بعدها).

(٢) النفي في صفات الله ﷻ (٥١-٥٥).

كالوعد والعدة، كما أن الوصف والنعت واحد[١]، وأنه قد يراد بالصفة والوصف نفس الكلام الذي يوصف به الموصوف كقول الصحابي عن سورة الإخلاص: ((**أحبها لأنها صفة الرحمن**))، وإقرار النبي ﷺ له على تسميتها صفة الرحمن[٢]، وقد يراد به المعنى الذي دل عليه الكلام، قال شيخ الإسلام: (أما المحققون فيعلمون أن كل واحد من اللفظين يطلق على القول تارة، وعلى المعنى أخرى)[٣].

والخلاف في كتاب الأيمان ـ محل الدراسة ـ مبناه في كثير من الأحيان على باب الأسماء والصفات، وطريقة الفقيه ومنهجه في إثباتها، ويتبين هذا الأمر أكثر بالمبحثين التاليين.

---

(١) انظر النفي في صفات الله ﷻ (٥٢-٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٤٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٤١).

المبحث الثالث:

العلاقة بين الاسم والمسمى.

قرر المعتزلة أن أسماء الله مخلوقة؛ لأنها من كلامه سبحانه، وكلامه عندهم مخلوق[1]، قال الدارمي: (هذا الذي ادَّعوا في أسماء الله، أصل كبير من أصول الجهمية التي بنَوا عليها محنتهم وأسَّسوا بها ضلالاتهم، غالطوا بها الأغمار والسفهاء، وهم يرون أنهم يغالطون بها الفقهاء، ولئن كان السفهاء وقعوا في غلط مذاهبهم فإن الفقهاء منهم لعلى يقين)[2]، وإذا كان كذلك فهي أمر زائد على الذات المجردة التي أثبتوها، وهي منفصلة عنها وغيرها.

ومن هنا نشأت الأقوال في مسألة الاسم والمسمى في مقابل قول المعتزلة، وبغرض الرد عليهم؛ فكان جواب كل واحد وفق أصوله في الصفات، وطريقته في إثباتها.

القول الأول: الاسم غير المسمى، وهو قول المعتزلة السابق والخوارج والجهمية وكثير من المرجئة وكثير من الزيدية[3].

---

(١) انظر عقيدة المعتزلة بأن أسماء الله مخلوقة متشابه القرآن (١/ ٢٥٣، ٢٧٣)، المغني (٧/ ٩٠)، الانتصار للعمراني (١٨٦)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٦)، رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد (ص٧).

(٢) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد (ص٣)، وانظر مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٥-١٨٧) (١٢/ ١٧٠).

(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٥٢)، مجموع التفاوى (٦/ ١٨٦).

القول الثاني: الاسم هو المسمى، وهو المشهور من مذهب الأشاعرة، وأحد قولي أبي الحسن الأشعري نفسه، وبعضهم يقول: الاسم عين المسمى[(١)]، **وعلى هذا القول بنى معظم الفقهاء قولهم في صحة يمين الحالف باسم من أسماء الله تعالى**، وهو مذهب باطل لا يمكن أن يقوله عاقل يتصور المسألة كما هي، لذلك أنكره جمهور الناس من أهل السنة وغيرهم[(٢)].

وحقيقة قولهم: أنهم فرقوا بين الاسم والمسمى والتسمية، وجعلوا أسماء الله الحسنى كالعلي والقدير وغيرها كلها تسميات، ليست هي أسماء المسميات، وسبب هذا التكلف أنهم وجدوا عامة الأئمة والسلف يقولون: إن أسماء الله غير مخلوقة، فوافقوهم في الظاهر، ومرادهم المسمى بها، وهو الله، لكن خالفوهم في الأسماء الحسنى التي هي التسميات عندهم فجعلوها مخلوقة.

أما ما يذكر عن بعض أهل السنة من قولهم: الاسم هو المسمى، فمرادهم ـ كما قال ابن تيمية رحمه الله ـ أن: (أسماء الأشياء إذا ذكرت في الكلام المؤلف فإنما المقصود هو المسميات)[(٣)].

---

(١) تمهيد الأوائل للباقلاني (ص٢٥٨)، تفسير القرطبي (١/ ١٢٧)، الاعتقاد للبيهقي (ص٥١)، شرح المقاصد للتفتازاني (٤/ ٣٣٧).

(٢) وسيأتي في بحث المسائل المتعلقة بالمحلوف به بيان توجيه أهل السنة لصحة هذه الأيمان وتفصيل الرد على الأشاعرة وبيان تناقضهم.

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٨-١٨٩).

فهنا قول للمعتزلة بأن أسماء الله مخلوقة وهي غيره، وجوابان عليه؛ أحدهما لأهل السنة، والآخر للأشاعرة، وبين الجميع فرق كبير، قال ابن القيم رحمه الله: (أسماؤه الحسنى التي في القرآن من كلامه، وكلامه غير مخلوق، ولا يقال: هو غيره، ولا: هو هو، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون: أسماؤه مخلوقة وهي غيره، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول: اسمه نفس ذاته لا غير، وبالتفصيل تزول الشبه ويتبين الصواب والحمد لله)[(١)].

القول الثالث: التوقف؛ فلا يقال: هو المسمى، ولا: هو غيره، ذكره الأشعري ولم ينسبه لأحد.

القول الرابع: أسماء الله لا هي المسمى ولا هي غيره، نسبه الأشعري لبعض الكلابية[(٢)].

القول الخامس: أن الاسم للمسمى، وهو قول أكثر أهل السنة، وهذا موافق للكتاب والسنة والمعقول، وهو الراجح والموافق لنصوص القرآن صراحة، قال شيخ الإسلام: (هذا هو القول بأن الاسم للمسمى، وهذا الإطلاق اختيار أكثر المنتسبين إلى السنة من أصحاب أحمد وغيره)[(٣)].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٨).

(٢) انظر في القولين الثالث والرابع مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٥٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٧)، وانظر صريح السنة (ص٢٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص١٢٧).

المبحث الرابع:

العلاقة بين الصفات والذات.

إن لفظ: ذات: بهذا الإطلاق والتعريف بـ: أل، ليس مأثورا عن السلف، وإنما استهوى كثيرا من الناس لا سيما أهل الكلام، وقالوا: هي بمعنى النفس والحقيقة، ويقولون: ذات الباري هي نفسه، قال ابن القيم رحمه الله: (ليست هذه اللفظة إذا استقريتها في اللغة والشريعة كما زعموا)[١].

وقد ورد استعمالها في السنة النبوية منكرة مضافة إلى لفظ الجلالة، كما في حديث البخاري: (لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ؛ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ ﷻ)[٢]، ولهذا قال ابن حجر: (الذي يظهر أن المراد جواز إطلاق لفظ ذات لا بالمعنى الذي أحدثه المتكلمون، ولكنه غير مردود إذا عرف أن المراد به النفس؛ لثبوت لفظ النفس في الكتاب العزيز)[٣].

ووجه المحذور من مراد المتكلمين تفريقهم بين الذات والصفات، حتى إنهم جعلوا الأخيرة أغيارا للذات، لا سيما الفعلية منها، فهي محل

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٩).

(٢) البخاري رقم (٣٣٥٨)، وفي نصوص أخرى بنفس الصيغة.

(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٨٣).

إجماع جميع الطوائف على نفي قيامها بالله سبحانه وتعالى[١]، ثم لهم مع نصوص الصفات مواقف مختلفة؛ فإما أن ينفوها أصلا كالجهمية والمعتزلة طردا لمذهبهم في الصفات، أو ينفوا قيامها بالله بتأويلها أو تفويض معناها، وإما أن يجعلوها صفات أزلية غير متعلقة بالمشيئة والإرادة وينفوا التجدد والحدوث فيها، أو يرجعوها إلى إحدى الصفات الذاتية العقلية التي يثبتونها، أو يجعلوها صفات فعل منفصلة مخلوقة[٢]، قال شيخ الإسلام: (وإذا قالوا: هذه الأمور من صفات الفعل؛ فمعناه: أنها منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به، ولهذا يقول كثير منهم: إن هذه آيات الإضافات، وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول: آيات الصفات، وأحاديث الصفات)[٣]، وقابلهم الأشاعرة للخروج من هذا الإشكال فقالوا: لا هي هو ولا هي غيره[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٣١١٣٢)، درء التعارض (٤/ ٢٤-٢٥)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٥٠٦، ٥٤٢-٥٤٣)، الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (٢/ ١٩٢-١٩٤)، النفي في باب صفات اله ﷻ (٥٩٧-٥٩٨، ٦٣٠-٦٣٥، ٦٧٢-٦٧٥).

(٢) انظر المصادر السابقة، إضافة إلى منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (٢/ ٥١٠-٥١٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١-٥٤).

(٤) الحدائق في المطالب للبطليوسي (ص١٠٢)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٠٩٠-١٠٩٣).

ولهذا فإن الذي عليه السلف الاستفصال في هذا المقام؛ فإن أريد بالذات المجردة عن الصفات التي يقر بها النفاة فالصفات زائدة عليها، وإن أريد بالذات الذات الموجودة في الخارج فتلك لا تكون موجودة بغير صفاتها اللازمة لها، والصفات ليست زائدة على الذات ولا غيرها بهذا المعنى، وهي داخلة في مسماها أيضا(١).

ونظرا لأهمية العلاقة بين الذات والصفات فإنه يتعيَّن بيان أنواع المضافات إلى الله، وحكم كل نوع حتى لا تختلط وتتداخل فينفى ما حقه الإثبات، ويثبت ما حقه النفي، وينبني على ذلك أحكام فقهية تابعة لهذا النفي أو الإثبات.

قال شيخ الإسلام: (المضافات إلى الله سبحانه في الكتاب والسنة، سواء كانت إضافة اسم إلى اسم، أو نسبة فعل إلى اسم، أو خبرا باسم عن اسم، لا يخلو من ثلاثة أقسام:

أحدها: إضافة الصفة إلى الموصوف كقوله تعالى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ**﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٥]،...

القسم الثاني: إضافة المخلوقات كقوله: ﴿**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾**﴾ [الشمس:١٣]،...فهذا القسم لا خلاف بين المسلمين في

---

(١) انظر درء التعارض (٢/ ٢٣٠)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٥-٣٣٦)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٠٩٠-١٠٩٤).

أنه مخلوق، كما أن القسم الأول لم يختلف أهل السنة والجماعة في أنه قديم وغير مخلوق[1]...

الثالث: - وهو محل الكلام هنا - ما فيه معنى الصفة والفعل مثل قوله : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤]،... فالناس فيه على قولين:

أحدهما : - وهو قول المعتزلة والكلابية والأشعرية وكثير من الحنبلية ومن اتبعهم من الفقهاء والصوفية وغيرهم - أن هذا القسم لا بد أن يلحق بأحد القسمين قبله؛ فيكون : إما قديما قائما به عند من يجوز ذلك وهم الكلابية، وإما مخلوقا منفصلا عنه...وردوا جميع ما يضاف إلى الله إلى إضافة خلق أو إضافة وصف من غير قيام معنى به...

والقول الثاني : - وهو قول الكرامية وكثير من الحنبلية وأكثر أهل الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء والصوفية وجمهور المسلمين، وأكثر كلام

---

(١) وضابط هذين القسمين ذكرهما رحمه الله في موضع آخر فقال: (وفي هذا الباب باب المضافات إلى الله تعالى ضلت طائفتان : طائفة جعلت جميع المضافات إلى الله إضافة خلق وملك، كإضافة البيت والناقة إليه، وهذا قول نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم...وطائفة بإزاء هؤلاء يجعلون جميع المضافات إليه إضافة صفة، ويقولون بقدم الروح...**والفرق بين البابين**: أن المضاف إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات، وجب أن يكون صفة لله تعالى قائما به، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب، وإن كان المضاف عينا قائمة بنفسها كعيسى وجبريل وأرواح بني آدم، امتنع أن تكون صفة لله تعالى لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره) درء التعارض (٤/ ٩).

السلف ومن حكى مذهبهم حتى الأشعري ؛ يدل على هذا القول -، أن هذه الصفات الفعلية ونحوها؛ المضافة إلى الله: قسم ثالث؛ ليست من المخلوقات المنفصلة عنه؛ وليست بمنزلة الذات والصفات القديمة الواجبة التي لا تتعلق بها مشيئته، لا بأنواعها ولا بأعيانها)[(١)].

كما أنه يجب التفريق بين قولنا: إن الصفات غير الذات، وقولنا: إنها غير الله؛ إذ التفصيل الوارد في الأولى ليس واردا ولا جائزا في الثانية؛ لأن لفظ الذات قد يشعر بمغايرة الصفة، أما اسم الله فهو شامل للذات وصفاتها[(٢)]، وهذا التفصيل مهم جدا فيما سيأتي من المباحث الفقهية التي إن سُلِّم للفقيه تفريقه بين الصفة الفعلية والذات باعتبار، فلا يسلم له قوله: إنها غير الله؛ لأن هذا الإطلاق محظور لفظا ومعنى والله أعلم.

والذي يستوقف الباحث في هذين المبحثين أن مذهب الأشاعرة مشكل لا يمكن البناء عليه في مسائل الفقه، فإنهم وافقوا السلف في اللفظ ـ أسماء الله غير مخلوقة ـ، وخالفوهم في المعنى ـ لأن التسميات مخلوقة ـ[(٣)]، ولم يستطيعوا التفريق بين قولهم وقول المعتزلة بهذا الاعتبار إلا بأجوبة لا

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٤-١٥٤) بتصرف.

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٧/ ١٦١)، الصفدية (١/ ١٠٩)، الجواب الصحيح (٥/ ١٧)، اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٢١).

(٣) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في العقيدة (٢/ ٤٨٦-٤٨٨).

تخلصهم من الإلزام أو التناقض[١]، وهذا ما سيتضح في ثنايا البحث عند دراسة فروع المسائل الفقهية المتعلقة بها، فالأقوال المبنية على هذا التفصيل لا تسلم من التناقض أو الاعتراض والإلزام.

وإذا كانت الصفة لا هي الله ولا هي غيره، لزم أن يكون اليمين بها لا هو يمين ولا هو غير يمين، فلا هو منعقد ولا هو غير منعقد، وهذا يكفي في بيان التناقض والبطلان، وهذا ما شعر به بعضهم وصرح بقوله: (وبالجملة فهذا المبحث لم يَصْفُ)، وعلق الدكتور خالد عبد اللطيف عليه بقوله: (وهذه كلمة حق، فإن البحث لم يصف، وغيره كثير فيه كدر من أكدار المعتزلة، ولم يستطع الأشاعرة تصفيته)[٢].

---

(١) انظر في أجوبتهم وبيان تناقضها وبطلانها: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في العقيدة (٢/ ٤٨٨-٤٩٠).

(٢) تحفة المريد (ص٤٩٠)، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في العقيدة (٢/ ٤٨٨-٤٩٠).

المبحث الخامس:

العلاقة بين الأسماء والصفات.

بعد بيان العلاقة بين الاسم والمسمى، وبين الذات والصفات أيضا، أتناول في هذا المبحث العلاقة بين الأسماء والصفات؛ لأنه كسابقيه وقع خلاف في المسائل الفقهية بسبب عدم ضبطه فصارت أقوال كل فقيه تابعة لمعتقده في هذه المسألة.

ولما كان الكلام هنا في دلالات الألفاظ، فالاسم من الأسماء الحسنى يدل على أربعة أشياء: الذات، والصفة، وعلى كليهما مجتمعين، وصفات أخرى، وذلك باعتبار دلالات مختلفة هي:

دلالة المطابقة: دلالة اللفظ على جميع معناه، كدلالة اسم الخالق على ذات الله سبحانه، وعلى صفة الخلق القائمة به ﷻ، بدلالة المطابقة.

دلالة التضمن: وهي دلالة اللفظ على جزء معناه، كدلالة اسم الخالق، على الصفة بمفردها، أو الذات بمفردها.

دلالة الالتزام: وهي دلالة اللفظ على لازم معناه، كدلالة اسم الخالق، على الصفات الأخرى اللازمة للذات، أو لتلك الصفة، كالعلم والقدرة.

وبهذا العرض يتبين أن الأسماء أوسع دلالة من الصفات؛ لأنها تدل على الذات والصفة، والصفة اللازمة لهما أو لأحدهما، وهذه قاعدة مطردة،

لكنها غير منعكسة، ولهذا فإن من قواعد هذا الباب أن الأسماء يشتق منها الصفات، بل إن الاسم إذا دلَّ على صفة متعدية فإنه يدل ـ إضافة إلى ما سبق ـ على ثبوت حكم أثره ومقتضاه، ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المائدة:٣٤]؛ لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم ورحمهم بإسقاط الحد عنهم[١]، وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله: (الاسم إذا أطلق عليه ـ أي: على الله ـ جاز أن يشتق منه المصدر والفعل؛ فيخبر به عنه فعلا ومصدرا؛ نحو: السميع البصير القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك، نحو: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾، ﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ٢٣﴾ [المرسلات:٢٣]، هذا إن كان الفعل متعديا؛ فإن كان لازما لم يخبر عنه به، نحو: الحي، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال: حَيِيَ)[٢].

أما الصفات فبابها أضيق بهذا الاعتبار وهو الدلالة؛ لأنه لا يلزم من ثبوت الصفة أن يشتق منها اسم لله ﷻ، إذن فدلالة الاسم على الصفة مطردة غير منعكسة، لكن باب الصفات أوسع باعتبار آخر وهو الدليل

---

(١) القواعد المثلى (ص١٠).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٧٢).

فهي تثبت بنصوص الأسماء التي تتضمن الصفات، وتثبت كذلك بالنصوص الأخرى التي ترد بصيغ أخرى غير صيغة الاسم، قال ابن القيم رحمه الله: (الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالا لم يتسم منها بأسماء الفاعل؛ كأراد وشاء وأحدث، ولم يسم بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، **فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء**.

وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسما، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه: الماكر والمخادع والفاتن والكائد ونحو ذلك.

وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به؛ فإنه يخبر عنه بأنه شيء وموجود ومذكور ومعلوم ومراد، ولا يسمى بذلك)[١].

وهذا التقسيم والتفصيل مهم جدا له آثار واضحة ستأتي في كتاب الأيمان انبنت عليه مسائل فقهية مهمة.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤١٥)، وانظر القواعد المثلى (ص٢١)، الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها (ص٤٠).

المبحث السادس:

الأسماء التي تطلق على العبد وتطلق على الله.

إن أسماء الله ﷻ وصفاته التي لا يجوز للمخلوق أن يتسمى أو يتصف بها لها خصوصيتها وقداستها؛ لأنها مضافة إلى الله، وتختص بأحكام فقهية لكونها أسماء وصفات لله، وأما الأسماء والصفات التي تطلق على الله ويجوز أن تطلق على العباد كذلك، فلا يلزم من هذا التوافق في التسمية أو الصفة أن تتماثل المسميات، فلا تسلب هذه القداسة والخصوصية عن الاسم أو الصفة لأن العبد اتصف بها أو تسمى بها، ومن ثم ينتقض الحكم الفقهي المبني على الاسم أو الصفة، ومن هنا فالواجب أن يكون البحث في ثبوت الاسم أو الصفة، فإذا ثبت انبنى عليه حكمه.

إلا أننا نجد أن الفقهاء في الغالب قد بنوا أحكامهم على العرف؛ فما جرى العرف أن يطلق على الله وحده عدوه يمينا مطلقا، وما جرى العرف أن يطلق على العبد لم يعدوه يمينا، وما تردد بين الإطلاقين نظروا إلى قصد صاحبه، فصححوه بناء على قصده[1]، ومن هنا اعتبروا أيمانا وقعت بألفاظ ليست من الأسماء الحسنى بإجماع، ولم يعتبروا أيمانا وقعت بالأسماء الحسنى، فوقع التباس وإشكال.

---

(١) هذا في الجملة لكن هناك تفصيلات ستأتي في البحث الخاص بمسائل المحلوف به، وأقوال لبعض المحققين خرجت عن هذا الإطار والله أعلم.

والألفاظ الكلية لها حالات:

الحالة الأولى: الترادف: وهي أن يختلف اللفظ ويتحد المعنى؛ كالأسد والليث والأسامة والغضنفر.

الحالة الثانية: الاشتراك، وهي أن يتحد اللفظ ويختلف المعنى، كالعين الذي يطلق على الجارحة، والجاسوس، والمرض، ومورد الماء.

الحالة الثالثة: التباين: وهي أن يختلف اللفظ والمعنى، مثل السموات والأرض، فأحد اللفظين مباين للآخر لتباين معناهما.

الحالة الرابعة: التواطؤ: وهو ما اتفق لفظه ومعناه، وهو نوعان:

النوع الأول: المطلق: أن يستوي جميع أفراد اللفظ في دلالته عليهم، كالإنسان بالنسبة إلى أفراده، لتواطئ أفراد معناه فيه.

النوع الثاني: المشكك: وهو أن يكون بعض أفراده أولى بالمعنى من بعض، كالبياض في الثلج والعاج، وسمي مشككا لتشكك الناظر، هل هو متواطئ لاشتراك أفراده في أصل المعنى، أم ليس كذلك بسبب اختلاف المعنى فيكون مشتركا[1].

وعليه فإن إطلاق الاسم على المخلوق لا يسلبه قدسيته التي اختص بها بتسمي الله ﷻ به؛ فيبقى الحكم الفقهي المترتب عليه قائما، أما العرف

---

(١) انظر الكليات لأبي البقاء (ص١١٨٦)، التحفة المهدية (ص٢٠٩)، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص١١٦-١١٨).

فليس حدا فاصلا قائما بذاته، بل يعتبر به في الحالات التي يمكن صرف اليمين إلى غيره، لاحتمال اللفظ لها، فمن الألفاظ ما يمكن صرفه لغير اليمين حسب نية صاحبه، ومن الألفاظ ما لا يمكن ذلك فيه، أما أن لا يجعل يمينا لغلبة العرف في استعماله في حق غير الله فهو منتقد والله أعلم.

ويزيد الأمر وضوحا ما قاله ابن القيم رحمه الله: (اختلف النظار في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد كالحي والسميع والبصير والعليم والقدير والملك ونحوها؛

فقالت طائفة من المتكلمين: هي حقيقة في العبد مجاز في الرب، وهذا قول غلاة الجهمية، وهو أخبث الأقوال وأشدها فسادا.

الثاني: مقابله؛ وهو أنها حقيقة في الرب مجاز في العبد، وهذا قول أبي العباس الناشئ.

الثالث: أنها حقيقة فيهما، وهذا قول أهل السنة، وهو الصواب، واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما، وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به)، ثم علّل لما ذكره فقال: (الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاث اعتبارات: اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تبارك وتعالى أو العبد، الاعتبار الثاني: اعتباره مضافا إلى الرب مختصا به، الثالث: اعتباره مضافا إلى العبد مقيّدا به، فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتا للرب والعبد، وللرب منه ما يليق بكماله،

وللعبد منه ما يليق به، ...فما لزم هذه الأسماء لذاتها فإثباته للرب تعالى لا محذور فيه بوجه، بل ثبتت له على وجه لا يماثله فيه خلقه ولا يشابههم...وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالى بها فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه؛ كعلمه الذي يلزمه القدم والوجوب والإحاطة بكل معلوم)[١].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٧٥).

المبحث السابع:

بيان طريقة الطوائف الأخرى في إثبات الأسماء والصفات.

اتفقت كلمة سائر الطوائف الأخرى على أن النفي من أهم أبواب التنزيه وإن اختلفوا في المنفي ونسبته، فالمعتزلة ومن وافقهم أثبتوا الذات مجردة عن الصفات، فنفوا الصفات مطلقا؛ الذاتية خشية تعدد القدماء، والفعلية لعدم قيام الحوادث والأعراض بالذات، وجعلوا إضافة الصفات إلى الله تعالى إما من باب إضافة الخلق والملك والتشريف، أو من إضافة الوصف (أي القول) من غير قيام معنى به، وأثبتوا أحكام الصفات من كونه سميعا وكونه عليما وهكذا، وتظاهروا بإثبات الأسماء الحسنى، ولكن حقيقة قولهم تعطيلها، فليست عندهم إلا أعلاما محضة مترادفة، لا تدل على أوصاف أو معان قائمة بالله ﷻ، فليس لله ﷻ من هذه الأسماء إلا مجرد التسمية، فهو سميع بلا سمع، وعليم بلا علم، وتحذلق بعضهم فقالوا: بعلم، وعلمه ذاته.

أما الكلابية وقدماء الأشاعرة وغيرهم: فيثبتون الصفات الذاتية والخبرية فقط، وتخلصوا من إشكال المعتزلة بأن جعلوها كلها أزلية قديمة، لا تعرض ولا تزول، ولذلك بقي الإشكال قائما في الصفات الفعلية فنفوها بناء على نفس الشبهة، ولم يثبتوا لله أفعالاً تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته كالمحبة.

أما متأخرو الأشاعرة ومعهم الماتريدية فنفوا جميع الصفات ما عدا الصفات السبع وهي: (العلم ـ الحياة ـ القدرة ـ الإرادة ـ السمع ـ البصر ـ الكلام)، وزاد الباقلاني وإمام الحرمين من الأشاعرة صفة ثامنة هي: (الإدراك)، وزاد الماتريدية صفة (التكوين)، وليس بينهم وبين الأشاعرة خلاف، سوى ما بين الأشاعرة المتأخرين والمتقدمين.

أما الكرامية ومن وافقهم: فيثبتون الصفات بما فيها أن الله تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ولكن ذلك عندهم حادث بعد أن لم يكن، وأنه يصير موصوفاً بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك، وقالوا: لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث، ففرقوا في الحوادث بين تجددها ولزومها، فقالوا بنفي لزومها دون حدوثها[١].

بيان حقيقة الصفات الفعلية عند منكريها: لما طرد المعتزلة مذهبهم في الصفات لم يتناقضوا معه فعدوا جميع الصفات بل والأسماء مخلوقة، أما ما يسمى الصفاتية[٢] وهم مثبتة الصفات في الجملة[٣]، فقد أجمعوا على نفي الصفات الاختيارية وهي الفعلية وغير الفعلية مما يتعلق بمشيئة الله سبحانه، ثم اضطربوا في تحديد المراد بالصفة الفعلية: إما بأن يرجعوا الصفة الفعلية إلى الذات المجردة أو إلى صفة ذاتية، أو إلى المخلوق المنفصل

---

(١) انظر الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها (ص٦٧).

(٢) مع ملاحظة عدم شمول هذا الكلام للمشبهة كالكرامية وغيرهم.

(٣) انظر مجوع الفتاوى (٦/ ٥٢٠)، (١٢/ ٢٠٦).

بقولهم: الفعل هو المفعول كما فعل الكلابية ومتقدمو الأشاعرة، أو إلى الإرادة القديمة على طريقة متأخري الأشاعرة، أو إلى صفة التكوين على طريقة الماتردية[١]، ومن هنا حصل الاضطراب في المسائل الفقهية في باب الأيمان خاصة بين معتبر لليمين وغير معتبر لها، بل إنك تجد الفقيه أحيانا يعرض الأقوال ثم يترك القارئ ليتأمل، قال القرافي رحمه الله: (الصِّفَاتُ الْفِعْلِيَّةُ كَقَوْلِهِ: وَخَلْقِ الله، وَرِزْقِ الله، وَعَطَاءِ الله، وَإِحْسَانِ الله، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَصْدُرُ عَنْ قُدْرَةِ الله تَعَالَى، فَالْحَلِفُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ وَلَا يُوجِبُ كَفَّارَةً إِذَا حَنِثَ)[٢]، قال الشيخ محمد بن علي المكي المالكي: (تَقَدَّمَ عَنْ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ أَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ **الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةَ أُمُورٌ اعْتِبَارِيَّةٌ تَتَجَدَّدُ بِتَجَدُّدِ الْمَقْدُورِ وَأَنَّهَا حَادِثَةٌ كَمَا يَقُولُ الْأَشَاعِرَةُ، أَمَّا إنْ لُوحِظَ الْمَذْهَبُ الْمَاتُرِيدِيُّ مِنْ أَنَّهَا قَدِيمَةٌ** تَرْجِعُ إلَى صِفَةِ التَّكْوِينِ أَوْ أُرِيدَ مَصْدَرُهَا وَمَنْشَؤُهَا وَهُوَ الْقُدْرَةُ أَوْ الِاقْتِدَارُ الرَّاجِعُ لِلصِّفَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ أَيْ كَوْنُهُ قَادِرًا، فَتَنْعَقِدُ بِهَا الْيَمِينُ وَتَجِبُ الْكَفَّارَةُ مَعَ الْحِنْثِ **فَلَا تَغْفُلْ**) [٣]، فيبقى الفقيه حائرا بين المذهبين رغم تقاربهما في باب الصفات، فهما في الجملة من مدرسة واحدة، وفي تحفة

---

(١) انظر أنوار البوق في أنواع الفروق (ص٥٦، فما بعدها)، ورسالة النفي في باب الصفات عند ذكر منهج كل فرقة في إثبات الصفات (٥٩٥، ٦٢٩، ٦٧٢)، المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية لبسام الجابي، (ص١٢٢ـ فما بعدها)، الماتريدية دراسة وتقويما (ص٢٦٧).

(٢) الفروق (٣/ ٥٦).

(٣) تهذيب الفروق (٣/ ٥٦) بهامش الفروق.

المحتاج: (لَوْ قَالَ : وَرَحْمَةِ اللهِ وَغَضَبِهِ لَمْ يَكُنْ يَمِينًا، قَالَ الرَّافِعِيُّ: "يُشْبِهُ أَنْ يُقَالَ: إنْ أَرَادَ النِّعْمَةَ وَأَرَادَ الْعُقُوبَةَ فَهُوَ يَمِينٌ، وَإِنْ أَرَادَ الْفِعْلَ فَلَا، قُلْت: وَكَلَامُ ابْنِ سُرَاقَةَ يُخَالِفُهُ، لَكِنْ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ كَلَامُ الْخَفَّافِ السَّابِقُ" انْتَهَى، **فَلْيُتَأَمَّلْ مَا الْمُرَادُ بِالنِّعْمَةِ وَالْعُقُوبَةِ وَمَا الْمُرَادُ بِالْفِعْلِ)**[1].

---

(١) تحفة المحتاج (١٠/ ٧).

المبحث الثامن:

تقسيم الصفات عند أهل السنة، وسائر الطوائف.

قبل الشروع في ذكر تفاصيل تقسيم الصفات أقدم بمقدمة مهمة عن موضوع التقسيم، وهي أن السلف: (لم يتوسعوا في تقسيم الصفات وتنويعها؛ إذ ليس من عادتهم الإسراف في الكلام في المطالب الإلهية، بل لا يتجاوزون الكتاب والسنة في مبحث الصفات، إلا أن أولئك الذين حضروا زمن الفتنة ـ بعد نشأة علم الكلام في عهد العباسيين ـ وابتلوا بمناقشة علماء الكلام وجدالهم بأسلوبهم اضطروا للخوض في تقسيم الصفات بِقَدَرٍ...وأما الخلف، فقد أولعوا بتقسيم الصفات وتنويعها)[1].

وبعد هذه المقدمة سأكتفي بنقل موجز لتقسيم الصفات عند أهل السنة والجماعة وعند سائر الطوائف، لكي يتمكن القارئ من معرفة مصطلحات العلماء عند كلامهم في الفروع الفقهية لاحقا.

فغلاة النفاة من الجهمية والفلاسفة لا يثبتون لله ﷻ إلا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل، تليهم المعتزلة ومن وافقهم من الرافضة والإباضية الذين يثبتون الأسماء دون الصفات، ثم الكلابية ومتقدمو الأشاعرة الذين يثبتون الصفات الذاتية دون الاختيارية، أما متأخرو الأشاعرة ومعهم الماتريدية فلا يثبتون إلا الصفات العقلية وهي سبعة:

---

(١) الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله (ص١٦٧).

الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وزاد الباقلاني والجويني صفة ثامنة، هي: الإدراك، وامتاز الماتريدية بزيادة إثبات صفة أخرى هي صفة التكوين.

هذا ملخص لتقسيم الصفات عند مختلف الطوائف والفرق، ثم هناك تفاصيل وتعريفات وتقسيمات تندرج تحت هذا العرض العام، موضعها كتب الاعتقاد وكتب الفرق.

أما أهل السنة فقد سبق أنهم لم يتوسعوا في تقسيم الصفات، لكن يضاف إلى ذلك أن قاعدتهم هي الإثبات المطلق مع تفويض علم الكيفية، فكل ما ثبت بنصوص الشرع وجب إثباته، فلا حاجة للتقسيم لأنه لا ينبني عليه حكم بنفي أو إثبات في نفسه، بل طريقتهم كما قال الرازي رحمه الله: (قد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلا، ولا تشفي عليلا، ورأيت **أقرب الطرق طريقة القرآن** أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وفي النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)[1].

---

(١) في وصيته المشهورة لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصفهاني، أوردها بنصها ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١/ ٣١٣).

ومن هنا كان تقسيمهم وصفيا مبنيا على استقراء النصوص وحصرها وتصنيفها، وليس انتقائيا مبنيا على قواعد وأصول اقتضت أحكاما مختلفة، واصطلاحات خاصة كما هو حال الفرق الأخرى التي تجد اختلافا وتباينا واضحا في أنواع الصفات عندهم، والمثبت منها والمنفي عند كل فرقة.

فباعتبار مدلولها تنقسم إلى:

صفات نقص: ينزه عنه الباري مطلقا كالموت والعجز.

وصفات كمال: يمتنع أن يماثله فيها شيء[1]، وصفات الكمال نوعان:

صفات الجلال: وهي التي فيها نعت الرب بجلاله وعظمته، وهي التي تجلب في قلب الموحد الخوف منه وإجلاله، مثل: صفة القوة والقدرة.

وصفات الجمال: وهي التي تبعث في قلب الموحد محبة الرب والأنس به، مثل صفة الرحمة، قال شيخ الإسلام: (مِنْ النَّاسِ مَنْ يَحْسَبُ أَنَّ الْجَلَالَ هُوَ الصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ، وَالْإِكْرَامَ الصِّفَاتُ الثُّبُوتِيَّةُ ـ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الرَّازِيّ وَنَحْوُهُ ـ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ كِلَيْهِمَا صِفَاتٌ ثُبُوتِيَّةٌ، وَإِثْبَاتُ الْكَمَالِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ النَّقَائِصِ، لَكِنَّ ذِكْرَ نَوْعَيْ الثُّبُوتِ وَهُوَ **مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُحَبَّ وَمَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعَظَّمَ**... فَالْأَوَّلُ يُهَابُ وَيُخَافُ وَلَا يُحَبُّ، وَهَذَا يُحَبُّ وَيُحْمَدُ، وَلَا يُهَابُ وَلَا يُخَافُ، وَالْكَمَالُ اجْتِمَاعُ الْوَصْفَيْنِ)[2].

---

(١) انظر الصفدية (١/ ١٠٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٢)، وراجع أشرطة الشيخ صالح آل الشيخ في شرح العقيدة الواسطية، وإتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل.

أما باعتبار النفي والإثبات ـ وهو فرع للاعتبار السابق؛ فالأول هو تصور الصفة، وهذا حكم الصفة ـ، فهي قسمان أيضا:

الصفات الثبوتية: وهي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، مثل: العلم، والحياة، والاستواء، والنزول، وغيرها من صفات المدح والكمال.

والصفات المنفية: وهي التي يسميها المتكلمون: الصفات السلبية، والتعبير الأول أسلم من الإشكال؛ فإن السلب يطلق على أخذ الشيء ونزعه بقهر أو خلسة، عكس النفي فإنه مطلق التنحية والرد والإبعاد.

ولما كان منهج أهل السنة في تقسيم الصفات وصفيا استقرائيا من جهة النصوص، فهم يحصون النصوص الشرعية ويصنفوها وفق معانيها الشرعية المتناسبة، فيرجعون كل صفة إلى ما يناسبها من أقسام مختلفة، تنوع تقسيمهم للصفات الثبوتية؛ وتعددت الاعتبارات التي بنوا عليها تقسيماتهم لها، كما يلي:

الاعتبار الأول: باعتبار تعلقها بالذات: وتنقسم إلى:

١- **صفات ذاتية**: وهي التي لا تنفك عن الذات، كالحياة والعلم، والقدرة، والوجه، ونحو ذلك.

٢- **صفات فعلية**: وهي التي تتعلق بمشيئة الله وقدرته، كالخلق والرزق، والاستواء والمجيء ونحو ذلك.

الاعتبار الثاني: باعتبار لزومها للذات: وتنقسم بهذا الاعتبار إلى:

١- **صفات لازمة**: وهي التي تلازم الموصوف لا تفارقه إلا بعدم ذاته، وهي:

- **إما ذاتية**: وهي ما لا يمكن تصور الذات مع تصور عدمها، كالوجه، واليدين، والقدم، والإصبع، ونحو ذلك.
- **وإما معنوية**: وهي ما يمكن تصور الذات مع تصور عدمها، كالحياة، والعلم، والقدرة، ونحوها.

٢- **صفات عارضة (اختيارية)**: وهي التي يمكن مفارقتها للموصوف مع بقاء الذات، وهي:

- **إما أفعال**: كالاستواء، والمجيء والنزول، ونحوها.
- **وإما أقوال**: كالتكليم، والمناداة، والمناجاة، ونحوها.
- **وإما أحوال**: كالفرح، والغضب، والسخط، والرضا، ونحوها.

الاعتبار الثالث: باعتبار أدلة ثبوتها: وتنقسم بهذا الاعتبار إلى:

١- **صفات شرعية عقلية**: وهي التي يشترك في إثباتها الدليل العقلي والدليل الشرعي السمعي والفطرة السليمة، وهي أكثر صفات الرب تعالى، ومن ذلك الصفات العقلية عند الأشاعرة، التي أثبتوها بالعقل، فقد أثبتها السلف كذلك شرعا وعقلا، وألزموا الأشاعرة إثبات سائر

الصفات؛ لأن غالب الصفات يمكن إثباتها عقلا كما ثبتت شرعا، إلا الصفات الخبرية المحضة ـ كما سيأتي ـ.

٢- **صفات خبرية سمعية (محضة)**: وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع والخبر، ـ وإن كان العقل السليم لا يحيل وصف الرب بها ـ، كالوجه و اليدين والإصبع ونحو ذلك[1].

---

(١) راجع فيما سبق تقريره من تقسيمات الصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي (ص١٦٦ فما بعدها)، الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها للدكتور محمد خليفة التميمي (ص٥٧ فما بعدها)، النفي في باب الصفات لأرزقي سعيداني (٩٨، ٥٥٦، ٦٢٥، ٦٧٠)، المواقف للإيجي (١/ ٤٧٧).

الخاتمة

بعد هذه الدراسة النظرية في التعريفات والتقسيمات العقدية وأثرها على المباحث الفقهية توصلت إلى النتائج التالية:

١. الارتباط الوثيق بين الفقهين الأكبر والأصغر.
٢. قلة الاضطراب والتناقض عند سلامة المعتقد، والعكس بالعكس.
٣. وجود ثروة عقدية معتبرة في كتب الفقه تحتاج إلى عناية.
٤. زوال كثير من اللبس عن التقريرات النظرية في كتب العقيدة على طريقة المتكلمين بالرجوع إلى كتبهم في الفقه.
٥. بروز أثر الفوارق الدقيقة بين الرأيين أو المذهبين في كتبهم، تحدد نوع الخلاف وحقيقته.
٦. أن أغلب كتب الفقه سلكت طريقة المتكلمين في تقرير العقيدة، وإجماعهم على نفي الصفات الاختيارية.
٧. أن بعض المسائل الفقهية ليس لها دليل أو تأصيل أو تعليل سوى التأصيل العقدي.

كما أقدم التوصيات التالية:

١. ضرورة تتبع كتب الفقه ورصد المسائل التي انبنى الخلاف فيها على تأصيل عقدي، وقد قمت بذلك في كتاب الأيمان.
٢. توجيه طلاب الدراسات العليا إلى الدراسات التطبيقية لإبراز أثر العقيدة على العلوم الأخرى.
٣. العناية بتقسيمات الفقهاء العقدية وتحرير الضوابط التي اعتمدوها.

والحمد لله أولا وآخرا، وأسأله سبحانه أن يوفقني لإخراج ما تبقى من هذا البحث على الوجه الذي يرضيه عني، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١. الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، د.عبد القادر عطا صوفي، أضواء السلف، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٢. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للبيهقي، تحقيق: د.السيد الجميلي، ط١: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، دار الكتاب العربي.

٣. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية.

٤. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ليحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: د.سعود بن عبد العزيز الخلف، ط١: ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، دار أضواء السلف.

٥. بدائع الفوائد لابن القيم، ضبط نصه وآياته: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١٤هـ.

٦. البداية والنهاية لابن كثير، حققه أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١: ١٤٠٥هـ.

٧. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن محمد الهيتمي، دار إحياء التراث العربي.

٨. تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري، دار الكتب العلمية، ط١: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٩. التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لفالح بن مهدي آل مهدي، الجامعة الإسلامية بالمدنية المنورة، ط٣: ١٤١٣هـ.

١٠. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل للباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الثقافية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١١. جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، تحقيق وتعليق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، ط١: ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٢. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٣. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، للدكتور شمس الدين الأفغاني، دار الصميعي، ط١، ١٤١٦هـ.

١٤. الجواب الصحيح لمن بدل المسيح، لابن تيمية، دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ.

١٥. حاشية ابن قاسم على تحفة المحتاج، انظر تحفة المحتاج في شرح المنهاج.

١٦. الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، للبطليوسي، دار الفكر، ١٩٨٨م.

١٧. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لأبي يحيى الأنصاري، تحقيق: د.مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ.

١٨. حراسة العقيدة، د.ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٩. درء تعارض العقل و النقل لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.

٢٠. رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط١: ١٣٨٥هـ، دار الكتب العلمية.

٢١. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت لأبي نصر عبيد الله السجزي، تحقيق: د.محمد باكريم باعبد الله، ط١: ١٤١٣هـ.

٢٢. رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي، ١٤٢٥هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية.

٢٣. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: عبدالله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢: ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٢٤. شرح العقيدة الواسطية للغنيمان دروس مفرغة، انظر الموسوعة الشاملة.

٢٥. شرح المقاصد للسعد التفتازاني، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، طبعة عالم الكتب.

٢٦. الشرح الممتع على زاد المستقنع للعثيمين، دار آمان، ط١: ١٤١٥هـ.
٢٧. صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣: ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، دار ابن كثير اليمامة.
٢٨. صريح السنة للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: بدر بن يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
٢٩. الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، أ.د.محمد خليفة التميمي، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٠. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، للدكتور محمد أمان بن علي الجامي، مطبوعات المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٣١. الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط٢: ١٤٠٦هـ.
٣٢. طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة.
٣٣. العقيدة في الله، د.عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، ط٥، ١٩٨٤م.
٣٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن حجر العسقلاني، ترقيم: فؤاد عبد الباقي، و إشراف: محمد الدين الخطيب، دار المعرفة.
٣٥. الفروق اللغوية، أبوهلال العسكري، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي.
٣٦. الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق للقرافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ، ومعه إدرار الشروق لابن الشاط،

وتهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية لمحمد بن علي بن الحسين المكي المالكي.

٣٧. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٣٨. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد بن الصالح العثيمين، ١٤١٠هـ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣٩. القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، دار ابن عفان.

٤٠. الكليات، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ١٤١٩هـ.

٤١. لسان العرب، دار صادر، ط١.

٤٢. الماتريدية دراسة وتقويما، أحمد عوض الله الحربي، دار العاصمة، ط١، ١٤١٣هـ.

٤٣. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، د.عبد الكريم بن ناصر العقل، دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ.

٤٤. متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار المعتزلي، مكتبة دار التراث.

٤٥. مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ.

٤٦. المحلى لابن حزم، دار الفكر.

٤٧. مختصر معارج القبول، هشام بن عبد القادر آل عقدة، ط٣: ١٤١٣هـ، دار الصفوة.

٤٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية.

٤٩. المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية، لبسام الجابي، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ

٥٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد الفيومي، المكتبة العلمية.

٥١. المطلع على أبواب المقنع، محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي، المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ.

٥٢. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، أ.د. محمد خليفة التميمي، أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ.

٥٣. المعجم الوسيط، دار الدعوة.

٥٤. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل.

٥٥. المغني في أبواب التوحيد والعدل، ط١: ١٣٨٠هـ، ١٩٦١م، مطبعة دار الكتب.

٥٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، ط٣.

٥٧. مقالات موقع الألوكة.

٥٨. المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات الشرعيات لأمهات مسائلها المشكلات، ابن رشد، مطبعة السعادة.
٥٩. منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية.
٦٠. منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين الشنقيطي، الجامعة الإسلامية، ١٤٠١هـ.
٦١. المواقف في علم الكلام لعضد الدين الإيجي، دار عالم الكتب.
٦٢. الموسوعة العربية العالمية.
٦٣. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزاة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٤ـ١٤٢٧هـ.
٦٤. موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، ط٢: ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
٦٥. النفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والجماعة والمعطلة، أرزقي سعيدي، مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٢٦هـ.
٦٦. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.

فهرس الموضوعات

البُوذيَّة

نَشْأتها، وَأَهمُّ مُعْتقَداتِهَا

إعداد :

د. عبدالله بن عيسى بن موسى الأحمدي

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد في كلية العلوم والآداب

بمحافظة رابغ فرع جامعة الملك عبدالعزيز

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وبعـد، فهـذا بحث بعنوان : « **البوذية** » سرت فيه على الخطة التالية:

١- المقدمة.

٢- المبحث الأول : نشأة البوذية والتعريف بمؤسسها .

٣- المبحث الثاني: عقائد البوذية.

٤- المبحث الثالث: الأخلاق في البوذية وفلسفتها.

٥- المبحث الرابع: كتب البوذية.

٦- المبحث الخامس: العبادة عند البوذيين.

٧- المبحث السادس: الرهبنة في البوذية.

٨- المبحث السابع: الدعوة البوذية بين الماضي والحاضر.

٩- الخاتمة.

١٠- الفهارس.

وقد راعيت في بحثي جانب المعاصرة ، حيـث أوردت في حـديثي عـن عقائدهم وأخلاقهم وفلسفتها ما يعتقدونه حتـى اليـوم كـما قررتـه كتـبهم المعاصرة والقديمة المعتمد عليها عندهم في هـذا العـصر، ومـا نـشرهم لهـا الآن - كما بينت في مبحث كتبهم - إلا دليل على تبنيهم لها، وكذلك عنـد

حديثي عن عبادتهم بينت واقعا منه في معابدهم اليـوم، ومثلـه في الترهـب عندهم، ثم تكلمت عن شيء من ماضيهم وحاضرهم المعاصر.

سائلاً الله أن يوفقني وإخواني من طلبة العلم للحق والرشاد

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه

المبحث الأول:

نشأة البوذية والتعريف بمؤسسها

البوذية إحدى أديان الهند الكبرى، وتقوم على التجرد والزهد تخلصاً من الشهوات والآلام، وقد أحيط مؤسسها بقصص غرامية، وأساطير وخرافات لا تقبل من العقل السليم[١]،واعتبرها بعض الباحثين فلسفة في الحياة أقرب منها إلى الدين [٢] .

كما تعتبر أيضاً خروجاً على البرهمية، فقد أدى نظام الطبقات والاستبداد عند البراهمة إلى الإحساس بالظلم عند طائفة الكشتريا[٣]؛ فأدى هذا الإحساس إلى الخروج من البرهمية إلى :

أ. الجينية : التي تنسب إلى الزعيم مهاويرا .

ب. البوذية : المنسوبة إلى بوذا وهي موضوع الدراسة [٤] .

---

(١) ينظر الإسلام والأديان، د/ مصطفى حلمي، ٧٥، وفصول في أديان الهند، للأعظمي، ١٢٩ .

(٢) ينظر فصول في أديان الهند، لمحمد الأعظمي، ١٢٩، والديانات القديمة، لمحمد أبو زهرة، ٥٨، والإسلام والأديان، لمصطفى حلمي، ٧٦ .

(٣) الكشتريا: رجال الحرب والأمراء، وهم الطبقة الثانية في الترتيب بعد طبقة البراهما إذ يقسم الهندوس المجتمع لأربع طبقات، ينظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، للبيروني، ٧٦، وينظر: البوذية عقيدة دينية أم دعوة إصلاحية، لصلاح أبو السعود، ٢٧.

(٤) ينظر الإسلام والأديان، د/ مصطفى حلمي، ٧٥، ولا يعني أن رفضهم لنظام الطبقات قد كان سبباً لمحوه بل بالعكس، وسأعرض لذلك بحول الله في مبحث الرهبنة في البوذية .

التعريف بمؤسس البوذية

١- نسبه وولادته :

في شمال الهند، على حدود منطقة التبت، كانت توجد عدة إمارات صغيرة، لكل أمارة ملك يحكمها، ويسمى هذا الملك : راجا أو مهاراجا، وقد وجدت إمارة من بينها يقال لها ساكا، وعاصمتها مدينة (كابيلا فايستو[١]) موطن قبيلة ساكيا، وهي من عائلة آرية، ومن طبقة الكشتريا، وكان يحكم هذه المدينة رجلاً من نبلاء هذه القبيلة يدعى: سودودانا، وهو من عشيرة تدعى : جوتاما إحدى عشائر قبيلة ساكيا، ولذا فقد يطلق عليه سودودانا جوتاما، وكان هذا الرجل يمتلك ضياعاً وقصوراً .

وتزوج من (مايا) بنت ملك مدينة (ديفاداها) وأنجب هذان الأبوان طفلاً سموه (سدهارتا) واشتهر فيما بعد بلقب (بوذا)[٢] .

وقد دار خلاف بين من كتب عنه في تاريخ مولده، ورجح بعض الباحثين أنه ولد عام ٦٢٣ قبل ميلاد المسيح عليه السلام[٣]، وحكى باحث أن الخبراء في شؤون الهند مجمعون أنه ولد عام ٥٦٠ ق. م[٤] .

---

(١) مدينة تقع على الحدود الفاصلة بين الهند والنيبال، ينظر: أطلس الأديان، لسامي المغلوث، ٦٢٨.

(٢) ينظر في نسبه وولادته : أديان الهند الكبرى، لأحمد شلبي، ١٤١، والبوذية تاريخها وعقائدها، د/ عبدالله نومسوك، ٨٥ .

(٣) ينظر : البوذية تاريخها وعقائدها، د/ عبدالله نومسوك، ٨٦، وفصول في أديان الهند، للأعظمي حاشية رقم ١، ١٣٠ .

(٤) ينظر :البوذية، لهنري، ٢٦.

تنبيه :

ذكر بعض الباحثين أن ملك ساكيا في عصره هو (بـديا) و (دنـدباني)، ولهذا فقد وقع المؤرخون في حيرة لهذا التناقض وحاول كثير منهم دفع هـذا التعارض بتأويلات عن الواقع منها أن الحكومـة كانـت جمهوريـة، ونـواب البرلمان كانوا يسمون ملوكاً، وهذا غير صحيح ، فالهند لم تعرف هذا النظـام الجمهوري في ذلك الزمن (١) .

ويزعم البوذيون أن والدته طلبت الذهاب لأهلها لتلد عندهم جرياً على عادتهم، وبين بلد زوجها وأهلها وفي خيمة من الأشجار داهمهـا المخـاض، وأمسكت بيدها غصن شجرة تستند عليه، فوضعت وليدها (٢) .

وقد بنى أشوكا أحد ملوك الهند أسطوانة حجرية منقوشة في مكان ميلاد بوذا في قرية (بادفيا) في نيبال ،ولا تزال موجودة إلى الآن يتوافـد البوذيـون إليها (٣) .

ومما يجدر التنبيه إليه أن هذا الملك الذي تولى العرش سنة ٢٧٣ ق . م هو الذي أمر بكتابة الحِكَم البوذية وتعاليمها على اللوحات الحجرية، ممـا أوقـع

---

(١) ينظر: فصول في أديان الهند، للأعظمي، ١٢٩-١٣٠ .

(٢) ينظر: البوذية تاريخها وعقائدها، ٨٦ .

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٨٦ حاشية رقم ٢، والكلام هنا عن الآثار وليس عن وجود الديانة، وسيأتي البيان هل بقيت الديانة هناك أم لا ؟في المبحث الأخير بحول الله .

الخلاف بين المؤرخين حول بـوذا ووجـوده، لأن تعليماتـه لم تـدوّن إلا بعـد مضي ثلاثة قرون [١] .

وقد أطلق على بوذا عدة ألقاب، منها:

جوتاما : أي الراهب .

وساكيا موني : أي المتبتل والمنعزل من قبيلة ساكيا

وتتاغانا : أي البالغ أو المخلص [٢] .

والاسم الذي غلب عليه: هو بوذا: أي الملهم المشرق عليه[٣] .

٢- حياته ونشأته:

نشأ بوذا كأبناء الملوك ، وأحيط بأسـباب العـز والـترف، وقـد تعلـم فنون العسكرية والرمي والفروسية وغيرها من عالم يقـال لـه : (جـورو سوامترا)، وقيل إنـه تعلـم منـه أيـضاً النظريـات الفلـسفية الـشائعة في عصره.

ويؤيد من قال إنه تعلم الفلسفة بأن بوذا استخدم التأمل الـذاتي عـلى طريقة يوجا[٤].

---

(١) ينظر: فصول في أديان الهند، ١٣٠ .

(٢) ينظر : البوذية تاريخها وعقائدها، د/ نومسوك، ٨٨ .

(٣) البوذية، لهنري أرفون، ٢٦ .

(٤) ينظر :المصدر السابق، ٩٠، ٩١ .

وقد زوجه أبوه وهو في السادسة عشرة من عمره من فتاة ذات جمال، وهي ابنة حاكم القطر المتاخم وتدعى : (ياسودهرا)، ولكن عيشته هذه وزواجه لم يصرفه أو يحل بينه وبين مشاركة التعساء والمصابين آلامهم [١] .

وقد رزق بعد زمن غير طويل من زوجته بابن اسماه راهولا [٢] .

وقد اتفق لسدهارتا (بوذا) أربع مصادفات، وهي :

الأولى :

أنه صادف في الطريق رجلاً عجوزاً يتوكأ على عصاه، وقد تقوس ظهره، فتألم له فسأل رفيقه شانا : ما شأن هذا الرجل ؟! أراه ضئيل الجسم، عديم القوة، قد جف لحمه وعظمه، والتصقت عضلاته بجلده، وابيض شعره، وسقطت أسنانه، وهو يئن بصوت مزعج يسأل الناس الطعام، هل هذا الحال صفة من صفات عائلته ؟! أو أنها مصير كل كائن حي في هذا العالم؟.

فأجابه صديقه شانا :

أيها الأمير إن هذا الرجل كان شاباً قوياً مثلنا، وقد أدركته الشيخوخة ... وهكذا نهج الحياة فلا تهتم أيها الأمير .

---

(١) ينظر: الإسلام والأديان، د/ مصطفى حلمي، ٧٦، وأديان الهند الكبرى، د/ أحمد شلبي، ١٤٢، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، لعبدالقادر شيبة الحمد، ٧٠ .

(٢) أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ١٤٢، والأديان والفرق، لشيبة الحمد، ٧٠ .

الثانية :

أنه خرج بعد مضي أيام من المصادفة الأولى فصادفه مريض في الطريق يتلوى من المرض، ويئن من الألم، فسأل صديقه شانا عن أمر هذا الرجل؟!

فقال شانا :

أيها الأمير لا تهتم بهذا الرجل، إنه مريض، أصابه الطاعون ولا معافاة، وكلنا عرضة للإصابة بمثله، ولا أحد يستطيع إيقافه.

ومن الكتاب من يروي أن شانا قال له: هكذا نهج الحياة [١].

الثالثة:

أنه خرج بعد أيام فشاهد أربعة أشخاص يجتازون الطريق، ويحملون على أكتافهم جثماناً ، ويتبعه أناس يبكون فاضطرب سدهارتا، وسأل صديقه شانا عن هذا الأمر، فقال صديقه : إن هذا هو الميت، قد انتهت حياته، وفقد أحاسيسه وهكذا نهج الحياة، فلا تهتم به [٢] .

الرابعة:

أنه خرج للتنزه قاصداً حديقته، فلقي راهباً وارتاح لرؤيته، فسأل رفيقه عن حال هذا الرجل:

---

(١) ينظر: أديان الهند الكبرى، لشلبي، ١٤٣.

(٢) ينظر لهذه القصة التي اختلفت ألفاظ رواياتها في المراجع التالية : أديان الهند الكبرى، لشلبي، ١٤٣، وفصول في أديان الهند، للأعظمي، ١٣١، وقصة الحضارة، لول ديورانت، ٣/ ٦٧، والبوذية تاريخها وعقائدها، د/ نومسوك، ٩٥ .

فقال شانا:

هذا واحد ممن يدعى بهكشو أي الراهب المتسول الذي جافى جميع أنـواع الملاذ وبعد عن أسباب السرور واقتنع بأن يعيش معيـشة الزهـد والقناعـة، ويطوف على الناس يسألهم قوت يومه، فاستحسن سدهارتا الكـلام، وقـرر أن يكون مثله، وتحكى القصة، أنه وصل لبيتـه فبـشروه بـولادة ابنـه فتمـتم قائلاً : (هذا قيد جديد لي)، فأطلقوا عـلى ابنـه اسـم (راهـولا) ومعنـاه : القيد أو الربقة [١].

ويزعم البوذيون أن هذه الأحـداث عمّقـت في نفـس بـوذا الإحـساس بالتـشاؤم، ودفعتـه بـأن يبحـث عـن حـل لهـذه المـشكلات، وعـن سـبيل للخلاص، وصمّم على أن يبحث عن الحقيقة مهما كلفه الأمر وكان حينذاك في التاسعة والعشرين من عمره .

وقد أحس والده بهذا الاتجاه عند ابنه فحاول أن يـصرفه عنـه بـأن يبعـد مناظر الألم عنه، وأن يسبغ عليه الملذات وكل ما تسر به نفسه، حتى يخلـصه من التفكير في هذه الآلام، لكن هذه الأحاسيس قد تمكنـت منـه، ولم يكـن من السهل أن ينصرف عنها ولم تأت محاولات والده معه بأي ثمرة [٢] .

وقد استقر رأي سدهارتا على أن يدع الحيـاة الناعمـة والعـيش المـترف، وأن يتزهد ويتفكر لعله يصل إلى معرفـة حقيقـة الكـون وهـذه الحيـاة، وفي

(١) ينظر: البوذية تاريخها وعقائدها، د/ نومسوك، ٩٦ .

(٢) ينظر : أديان الهندي الكبرى، لأحمد شلبي، ١٤٣ .

إحدى الليالي كان قصره يموج بالاحتفالات والسرور بسبب ولادة ابنه، فقرر حازماً أمره على مفارقة هذه الملاذ وأن يبدأ تأملاته، وبعد ما سمع ورأى في تلك الليلة من مرح وغناء في قصره ألقى نظرة أخيرة على زوجته وطفله وتسلل من القصر ممتطياً جواده، حتى يبدأ مرحلة جديدة وكان عمره تسعة وعشرين عاماً فسار في تلك الليلة حتى أصبح، وتوقف خارج أرض عشيرته، على ضفة نهر رملية، وهناك ترجل عن فرسه، وقطع بسيفه ذوائبه، ونزع كل حلية وأرسلها وسيفه مع حصانه إلى منزله، وقيل إنه أعطاه لصديقه شانا، وقال له :

(خذ هذه الحلية والجواد إلى البلاط فمن الآن أنا زاهد) وقيل إن صديقه مات في الطريق حزناً على فراق صاحبه، وواصل سيره حتى لقي راهبين من البراهمة فمكث عندهما، وتتلمذ عليهما، لكنه لم يجد غايته معهما، وقد تأكد له أن ما يعيشان فيه من زهد مقصود لذاته، أما هو فلم يرد الزهادة إلا ليعرف أسرار الكون .

هذه المرحلة يُطلق عليها من بعض الباحثين مرحلة غوتاما : أي الراهب[١] .

وهنا لي تعليقات على المتقدم قبل الخوض فيما سيأتي :

أولاً : إذا كان بوذا يصوره أتباعه بصور رائعة عن رجل رائع فكيف يصح هذا وهو قارب الثلاثين ولا يعرف شيئاً عن المصادفات الأربعة التي

---

(١) ينظر أديان الهند الكبرى، لشلبي، ١٤٤، البوذية، لهنري، ٢٧، والبوذية، د/ نومسوك، ٩٧-٩٩

يعرفها كثير من الصبيان، ويقولون عنه إن هـذه الأمـور الأربـع هـي التـي أثرت فيه وغيرت مجرى حياته، وقد زعموا أنه تعلم الفلسفة فكيـف يكـون هذا ؟.

ثانياً :

يذكر من كتب عنه كما تقدم أنه تزوج وهو في سن الـسادسة عـشرة مـن عمره، وأنه أنجب ابناً له بعد زمن غير طويل، ثم يقولـون لما بلـغ التاسـعة والعشرين من عمره احتفلوا احتفالاً بمقدم طفله، ثم هرب من القـصر في تلك الليلة، وهذا تناقض حيث أنهم ذكروا أنه سمى ابنه راهـولا أي القيـد فقد قيده عن الهروب الذي بدأ بالتفكير فيه، ولا يمكـن أن يكـون ذلـك في سن السادسة عشرة ثـم لم يهـرب إلا في سـن التاسـعة والعـشرين خاصـة ، وأنهم يزعمون أنه هرب بعد الاحتفال بمقدم طفله كما أن من كتـب عنـه لم يذكر أن له طفلاً آخر، ولا يقال إنه عيد جديد لطفله لأنهم يزعمون أنـه فـر بعد أن بشر **بولادة** طفله وقد سبق بيان ذلك، والله أعلم .

ثم بعد أن ترك بوذا الراهبين لجأ إلى اختيار ما كان سائداً من فكر هنـدي وهو أن القوة والمعرفة يمكـن الحـصول علـيهما بالزهـد المفـرط ، فالـصوم وتعذيب النفس يصل الإنسان عن طريقهما إلى غايته الأسمى، واختار بـوذا هذا الطريق لنفسه فعاش على الحبوب والكـلأ، وخلـع ثيابـه وسـتر نفـسه بأوراق الشجر، وألقى بجسمه بين الأشواك، ولطخ نفسه بالتراب والقـذر إمعاناً في تعذيب نفسه، وهذه الأعمال كلفتـه اضـمحلالاً في جـسمه حتـى

أصبح هيكلاً من العظام بسبب معاناة الجوع والعطش والمشاق، وصحبه في هذه الفترة خمسة نساك رأوا فيه مثالاً للزهد والتقشف فاحترموه وجعلوه معلماً لهم .

وبعد مضي ست سنوات على بوذا وهو على الحالة السابقة التي لم يصل فيها للمعرفة أدرك أن ما هو فيه لا يكفي للوصول للمعرفة الحقيقية فعدل عن قساوته وقرر العودة إلى طعامه وشرابه، وأعلن أن ما قام به لا يكفي لتحقق الخلاص والمعرفة بل لابد من الثقافة الروحية العميقة، ولما رأى الرهبان الخمسة أن بوذا ترك زهده تركوه، وانعزل بوذا (غوتاما) في غابة (أوروفيلا) متابعاً تفكيراته [(١)].

٣- الإشراقة أو الاستنارة :

هذه المرحلة من أهم مراحل بوذا فعليها تأسست ديانته وبها تشكلت مبادئه وفلسفته.

فما هي قصتها ؟!

يزعم البوذيون أن بوذا بينما كان يتمشى في غابة أوروفيلا جلس تحت ظل شجرتين، لتناول طعامه، وأحس براحة تحتها، وبينما هو كذلك إذ هتف به هاتف من نفسه يطلب منه أن يجاهد نفسه ليصل لمعرفة سر الكون والحياة فجلس دون حراك، متجهاً إلى المشرق، مغمضاً عينيه، ضاماً رجليه

---

(١) ينظر: الأديان الكبرى، لشلبي، ١٤٥، والبوذية د/ نومسوك، ٩٨-١٠١، والأديان والفرق، لشيبة الحمد، ٧٠-٧١ .

ساكتاً صامتاً مصمماً على ألا يترك مكانه حتى يجد ما ينشده، فجاءته الاستنارة المزعومة التي اعتبرها هو وأتباعه لحظة فوز، ويبدو أنها ردة فعل عبارة عن خيالات ناتجة عن الرياضة العنيفة التي مارسها، وأما مراحل الاستنارة المزعومة فثلاث وهي :

الأولى :

رأى صورة الموت والحياة يتعاقبان، وأن كل موت يزول أثره بولادة جديدة، وكل سكينة وغبطة تقابلها شهوة وألم جديد، ثم تراءت له سلسلة طويلة من ولادته وموته في دورات حياته السابقة قبل هذه الحياة، وقد ذكر أنه يولد حيواناً في تلك الدورات ثم أخذ يتطهر دورة بعد دورة حتى انتهى إلى هذه الدورة الأخيرة، وهذا ما يسمى عقيدة التناسخ .

الثانية :

أشرقت عليه حالة الكائنات ودورتها حيث أنها تولد، وتتجول وتفنى ثم تعود لتولد خيرة أو شريرة، بحسب ما يكون لها من كارما – قانون الجزاء – .

الثالثة :

انكشف له ما يسمى عندهم بالحقائق السامية الأربع وهي :

الأولى : تتعلق بالألم، أي : أن هذا العالم كله ألم .

الثانية : تتعلق بسبب الألم، أي الألم نشأ من سبب وهو الرغبة في الحياة.

الثالثة : التمكن من إلغاء ذلك الألم بإلغاء سببه .

الرابعة : تتعلق بوسيلة إعدام الألم .

ومن هنا ادعى بوذا أنه اكتشف الطريق التي يتوقف بها الإنسان عن ألم الحياة، ويتخلص من تكرار المولد وحلقة التناسخ المستمرة وينال بها (نرفانا) وهي عنده السعادة الأبدية .

وأطلق على سدهارتا بعد هذه الاستنارة بوذا، والشجرة التي جلس تحتها شجرة العلم أو المعرفة، ولا تزال إلى الآن موجودة في المكان الذي يعرف ببودهاغيا [1]، وهي مقدسة عند البوذيين يحجون إليها في مناسبات مختلفة وفي تايلاند وغيرها يغرسون في معابدهم شجرة واحدة من نوع هذه الشجرة، وصارت أوروفيلا الغابة التي كانت فيها الاستنارة مقصد أكبر حج يقوم به البوذيون [2] .

وبعد الاستنارة المزعومة ظل بوذا متردداً سبعة أيام هل يذيع ما أشرق له من معرفة، ويقال إنه قال :

(ما الفائدة من إعلام الناس بما نلته بعد معارك ضارية ؟! فالحقيقة لا تنكشف للمجبول بالشهوة والحقد، وهي ظاهرة مؤلمة سرية عميقة، لا

---

(١) ظل البوذيون يشيرون إلى مكان تينة الإشراق إلى عام ١٨٧٦م حيث اليوم مصطبة : هيكل ماها بوذي ثم يبست هذه الشجرة فقطعوا منها غصناً زرعوه فأعطى تينة جديدة، ينظر : البوذية، لهنري، ٢٨ .

(٢) ينظر : البوذية، د/ نومسوك، ١٠٧، وأديان الهند الكبرى، لشلبي، ١٤٧، والبوذية لهنري، ٢٨ .

يطالها الـذهن الغلـيظ الـذي يغـرق بالرغبـات الأرضـية التـي تغلفـه بالظلمات)[1] .

لكنه مال لنشر مذهبه، وترك غابة (بودهاغيا) وذهب لمدينـة فارانـاسي حيث يعيش رفاقه الخمسة الـسابقون، وأقـنعهم بدعوتـه فأطـاعوه، وبنـوا أكواخاً وأقاموا مدرسة وفد إليها الكثير ، فأخذ بوذا يعلمهم وينـشر مبادئـه وتبعه عدد كبير، وبلغ أحباره ستين فطلـب مـنهم نـشر دعوتـه في مختلـف البلاد[2] .

٤- وفاته :

مات بوذا في الثمانين من عمره بمدينة كوسينار – المعروفة بمدينة كاسـيا اليوم –، ويقال في قصة موته إنه لما بلغ قرية (بافا) التي تبعد قرابة مئة ميـل إلى الشمال الشرقي من مدينة (فاراناسي) استقبله صـائغ يـدعى (جونتـا) وقدم له طعاماً من لحم خنزير فاسد، ولم يرفـضه بـوذا لـئلا يحـرج الـصائغ فأكله وأخذه الألم ، ثم مات وانتقل في زعم البوذيين إلى نرفانا .

وأحرقت جثته – حسب تقاليد الهندوس – ثم جمع ما تبقـى مـن رمـاده واقتسمه أتباعه ثمانية أقسام ثم دفنت في أماكن متفرقة من الهند، يحـج إليهـا البوذيون إلى اليوم[3] .

---

(١) البوذية، لهنري، ٢٩-٣٠ .

(٢) البوذية، د/ نومسوك، ١٠٨، البوذية، لهنري، ٣٠ .

(٣) ينظر: البوذية، لهنري، ٣١، وفصول في أديان الهند، للأعظمي، ١٣٣، والبوذية، د/ نومسوك، ١٠٩-١١٠ .

٥- تنبيهات على ما تقدم :

أولاً :

زعم غوستاف لوبون أن :

(بوذا كعيسى ولد من أم عذراء) [١]، وهذا أمر لم ينقله من كتب عن بوذا من البوذيين أنفسهم فهم لم يزعموا هذا الزعم، بل ذكروا أن له أبا وأما.

ثانياً :

زعم بعض الكُتّاب الغربيين أن إشراقة بوذا أو استنارته هي وحي، وهذا قول مردود لأن بوذا نفسه لم يزعم هذا الزعم بل لم يدع أن له صلة بالآلهة [٢] .

---

(١) حضارات الهند، لغوستاف لوبون، ٣٤٤ .

(٢) ينظر: أديان الهند الكبرى، لشلبي، ١٤٦، والبوذية، د/ نومسوك، ١٠٥ . وبعض الكتاب العرب قال بنبوة بوذا تقليداً للغربيين منهم صاحب كتاب (الفلسفات الهندية)، د/ علي زيغور، ٢٣٣ .

المبحث الثاني :

عقائد البوذية

أولاً : قضية الألوهية عند بوذا وأتباعه :

كان بوذا لا يتكلم عن الألوهية، ولا يخوض في أمور الغيب في أول دعوته، لكنه تحول بعد ذلك إلى الإلحاد وإنكار وجود الله [١] .

يقول ول ديوارنت :

(إنك لن تجد في تاريخ الديانات من هو أغرب من بوذا يؤسس ديانة عالمية، ومع ذلك يأبى أن يدخل في نقاش عن الأبدية والخلود والله ... إنه ليبتسم ساخراً من المحاورة في موضوع نهائية الكون أولا نهائيته) [٢] .

وقد سئل بوذا عن رأيه في الإله والكون، وفيما يدور من جدل بين الفلاسفة في قدم العالم وحدوثه والروح وخلودها، فقال :

(إن الآلهة أنفسهم لو كان لهم وجود لما كان في وسعهم أن يجيبوا عن هذه المسائل) [٣] .

---

(١) ينظر : الديانات والعقائد، للعطار،١/ ١٣٥، والموجز في الأديان والمذاهب، للقفاري والعقل، ٨٦، والموسوعة الميسرة، ٧٦٩ .

(٢) قصة الحضارة، ٣/ ٧٨ .

(٣) نقلاً عن البوذية، د/ نومسوك، ١٥٥ .

وبعض الباحثين يرى أن بوذا كان يـؤمن بوجـود إلـه، وأنـه لم يتعـرض للألوهية بسلب أو إيجاب، بل أن مذهبه إصلاحي اجتماعي خلقي أكثر منـه ديني [١] .

ويبدو والله أعلم أن الصحيح أن بوذا كان ملحداً والنص السابق يظهـر بوضوح عقيدته في الإله ففي قوله: (إن الآلهة أنفسهم لو كـان لهـم وجـود) تصريح بنفي وجود الإله، ويظهر أيضاً إلحـاده مـن تجاهلـه للحـديث عـن الله[٢].

وقد أجمع المتقدمون البوذيون على أنه ينكر الألوهية[٣] .

ولكن لما كانت الفطرة مغـروس فيهـا الإيـمان بوجـود الله كـان لأتباعـه موقف قادهم إليه الفراغ الذي تركه بوذا لهم عن الإله. فماذا كـان مـوقفهم من قضية الألوهية ؟ والجواب أن البوذية انقسمت إلى قسمين :

الأول : الهينايان : (الجنوبيون)

حيث حافظوا على تعاليم بوذا، واعتبروه المعلم الأخلاقي العظيم، الذي بلغ أعلى درجات الصفاء الروحي، أما الإله الخالق فيعتقدونه خرافة اتّباعـاً لمؤسس ديانتهم بوذا[٤] .

---

(١) الديانات القديمة، لأبي زهرة، ٥٨ .

(٢) ينظر البوذية، لهنري، ٤٥ .

(٣) ينظر فصول في أديان الهند، للأعظمي، ١٤١ .

(٤) المصادر السابقة .

الثاني : المهايان : (الشماليون)

الذين اعتقدوا ألوهية بوذا، ودعوا لترسم خطاه ، وقد زعموا أن الإله حل في بوذا، وواضح من مقالتهم تأثرهم بالهندوسية في هذا الاتجاه، ويعدّ هذا مذهبا جديدا لبعده عن تعاليم بوذا الأصلية، وقد انتشر منذ القرن الأول فتأثر الرومان به؛ ولهذا قالوا بتأليه المسيح[1] عليه الصلاة والسلام[2].

ومما ينبغي التنبيه إليه أن هذين القسمين يمثلان نقطة تجمع المذاهب البوذية، فهما الفرعان اللذان تعود إليهما المذاهب البوذية؛ فأما الأول فانتشر في جنوب الهند وجزيرة سيلان[3]، وبورما، وسيام (تايلاند)، وكمبوديا ولاوس، واتبع نصوص (البيتكات) البالية، وتعني كلمة (هينايان): الحاملة الصغرى، والثاني انتشر في شمال الهند، وفي التبت ومنغوليا،

(١) ينظر الموسوعة الميسرة، ٧٧١، والأديان دراسة تاريخية مقارنة، د/ رشدي عليان وآخر، ١٠٠-١٠١، وفصول في أديان الهند، للأعظمي، ١٤٦ .

(٢) يدّعي النصارى أن الله تبارك وتعالى قد اتخذ جسد المسيح صورة له ليحل بصورة إنسان بين الناس، ويستشهدون بما جاء في إنجيل يوحنا ١/ ١-١٤: ((في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله ... والكلمة صار جسدا وحل بيننا)) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د/ سعود الخلف، ٢٤٩، والمسيحية، لساجد مير،١٠٨-١١٩، وقول النصارى شبيه بقول البوذيين في حلول الإله في بوذا، وليس بغريب هذا التأثر، بل تعدى التأثر بالبوذية لأمور كثيرة حتى قال ول ديورنت: ((الديانة المسيحية مثلا فلسفة تشاؤمية عميقة، وجوهر المسيحية قائم على مبدأ الخطيئة الأصلية، وهو تقرير للإرادة، والتكفير عن الخطايا وهو إنكار للإرادة...والديانة البوذية أكثر عمقا من المسيحية؛ لأنها تجعل من هدم الإرادة غاية الدين وأساسه)) قصة الفلسفة، ٤٣٦-٤٣٧، فانظر كيف تأثر النصارى بالبوذيين حتى في التشاؤم الذي عرفت به البوذية.

(٣) المعروفة الآن بسيريلانكا، ينظر: البوذية، د/ نومسوك، ٣٩٨.

والصين واليابان وكوريا وفيتنام، وتعني كلمة مهايان (الحاملة الكبرى[١]) ويطلق عليه المذهب الشمالي[٢]، واعتمد على النصوص السنسكرتية لكتابهم المقدس (البيتكات)[٣].

ثانياً : قانون (كارما) أو (قانون الجزاء) :

مضى أن بوذا كان ملحداً، وتبعه فرقة لم تقم بتأليهه لكنهم يقولون: (إن الخير يجب أن يأتي بالخير، وإن الشر يجب أن يأتي بالشر)[٤] .

فمن الذي يتولى هذا الأمر عندهم ؟!

اعتمدت البوذية في الجواب على هذا السؤال على ما سبقتها إليه الديانات الهندية وهو ما يسمى بقانون (الكارما) وهو قانون الجزاء عندهم، فهم يرون أنه لا بد من الجزاء على الأعمال لكن هذا يحدث في الحياة الدنيا، ولهذا فقد أنكروا البعث والجزاء بعد الموت، وأنكروا الجنة والنار[٥] .

---

(١) سموه بالحاملة الكبرى تمييزا عن الحاملة الصغرى ذات الوجهة الضيقة والمحصورة لشرح العقيدة البدائية حسب زعمهم، ينظر: البوذية، لهنري، ٦٠ .

(٢) ينظر : البوذية، د/ نومسوك، ٣٤٩-٣٥٠، والأديان دراسة تاريخية، د/ رشدي عليان، ١٠٠-١٠١ .

(٣) سيأتي التعريف بكتبهم في مبحث خاص .

(٤) ينظر آلهة في الأسواق، د/ رؤوف شلبي، ١٧٥ .

(٥) ينظر الموجز في الأديان،د/ القفاري والعقل، ٨٧ .

والفرق بين الكارما في البرهمية والبوذية، هو أن البرهمية بجانب اعتقادها بكارما تعتقد أيضاً بالإله (براهما) وتعتقد بقضائه وقدره، أما البوذية فلا تعتقد بالإله، وإنما تعتقد بكارما وحدها، وهي التي تقضي وتقدر وتكتب شقاوة الإنسان وسعادته [(١)] .

يقول قديس بوذي (بودهي ناندا) :

(إن هناك قوى كونية ترتب أفعالنا، وتضعنا في ظروف نلقى فيها ما نستحقه من ثواب أو عقاب، فهاهو قانون (كارما)، إنه ليس إلهاً ولكنه يتحكم في الآلهة، وفي الناس، وفي غيرهم، فكل شيء في الوجود تحت حكم هذا القانون) [(٢)] .

ونتيجة للقول بكارما قال البوذيون بالتناسخ، لكي يتحقق لهم فَهْم الكارما، وقد قالوا :

(يستحيل فَهْم (كارما) من غير الاعتقاد بالتناسخ) [(٣)] .

ثالثاً : تناسخ الأرواح : (سمسارا)

الديانة البرهمية، ومثلها البوذية، والمصرية والكلدانية والزرادشتية كلها تقول بتقمص الأرواح أو تناسخها بعد الموت .

---

(١) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ١٨٥-١٨٦ .

(٢) لب البوذية، ٢١، نقلاً عن البوذية، د/ نومسوك، ١٨٦ .

(٣) المبادئ الهامة في البوذية، ٣٧٧، نقلاً عن البوذية، د/ نومسوك، ١٨٨ .

ومعنى ذلك : أن الروح بعد موت الشخص تحل في كائن آخر أعلى إن كان صالحاً باراً، وأدنى إن كان شريراً، بل ربما وصل به الحال إلى درجة الحيوان فتتقمص روحه جسد حيوان .

والمخلوق لا يعرف ولا يتذكر الصورة السابقة له (١) .

لكن ما هي الغاية من التناسخ عند البوذية ؟!

البرهمية ترى الغاية منه الخلاص من جاذبية الحياة الدنيا، وعودة الروح إلى مصدرها الأول (براماتما) والاندماج به كما تندمج قطرة من ماء بالمحيط العظيم .

أما البوذية فغاية التناسخ عندهم (النرفانا) أي : الفناء النهائي للروح، وخمودها الدائم (٢) .

رابعاً : النرفانا :

هذه الكلمة هي صرح العقيدة البوذية فماذا يقصد البوذيون بهذه الكلمة؟

إن كلمة النرفانا تعني إجمالاً : الغيبوبة، أو الانطفاء ، وقد أوضح بوذا معناها بمثال أورده ؛ حيث شبه النرفانا بالشعلة التي تنطفئ عند انتهاء مادة الاحتراق، وهكذا ينطفئ الفرد عندما يتمكن من إيقاف نار عواطفه،

(١) ينظر : الدين المقارن، لمحمود أبو الفيض، ٥٨-٥٩ .

(٢) ينظر البوذية، لهنري، ٢٢، والبوذية، د/ نومسوك، ٢٢٧ .

فلا تعود حياته تولد ثانية، كالمصباح الذي إن انطفأ مرة لا يقوى بعدها على إذكاء شعلته بنفسه، فالنرفانا لا تبلغ ولا يوصل إليها إلا عندما ينمحي كل تفكير وكل إرادة، وكل إحساس، فتمسي جميعها منطفئة [١] .

وبعض فلاسفة البوذيين المعاصرين لا يفسرون الفناء في النرفانا بالفناء المعروف وإنما :

(هو وجود يفنى في وجود، مثل فناء ألوان الطيف في الشمس في البياض الناصع الذي لا لون له... ولا يتم الوصول إلى النرفانا إلا بعد صفاء النفس والانفصال عن عالم الحس والواقع، ولا يمكن الوصول إلا بتعذيب النفس والعبادة الظاهرة) [٢] .

وقد خلص الدكتور أحمد شلبي إلى أن النرفانا مرت عند بوذا بمراحل :

١- في البداية الاندماج في الإله والفناء فيه .

٢- وعندما أنكر وجود إله أصبح لها عنده معنيان :

أ. أن يطهر الفرد نفسه وذلك بأن يقضي على جميع رغباته وأغراضه، لأن الأغراض الشخصية الباطلة تجعل الحياة دنيئة أو ذليلة .

ب. إنقاذ نفسه من تكرار المولد بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر [٣].

---

(١) البوذية، لهنري، ٤١ .

(٢) نقلاً عن الإسلام والأديان، د/ مصطفى حلمي، ٧٩ .

(٣) أديان الهند الكبرى، ١٦٥ .

ولكن ما هو الطريق الذي يوصل للنرفانا في زعم البوذيين؟!

إنـه الالتـزام بـالأخلاق والترهـب البـوذي، والأخـلاق هـي المبينـة في المبحث التالي ، أما الحديث عن الترهب فسيأتي في مبحث خاص بحـول الله تعالى.

المبحث الثالث :

الأخلاق في البوذية وفلسفتها

الحديث عن الأخلاق في البوذية يذكرنا بالطرفين اللذين تقابلا في تصورهما لتحقيق سعادة الإنسان، ومدى أثر الأخلاق والالتزام بها في تحقيق السعادة المنشودة .

فأبيقور يقول :(علينا ألا نتجنب اللذائذ، بل يجب أن نختارها)[1] .

ويقابله تصور أصحاب الفلسفة الرواقية ورائدها زينون الذين ظنوا أن السعادة لا تتحقق إلا في الزهد والتقشف، وترك الرغبات بل وصبغ الحياة بطابع التشاؤم بسبب الاعتقاد بالجبرية[2] .

أما تصور الأخلاق عند البوذية فهو كما عقد له الحديث هنا، وقد قال الشيخ أبو زهرة رحمه الله عن الأخلاق عندهم :

(الجزء الخصب في البوذية، هو مذهبها في الأخلاق وإصلاح المجتمع وتخفيف ما فيه من شقاء)[3] .

---

(١) قصة الفلسفة، لول ديورانت، ٢٠٣، وينظر: قصة الفلسفة اليونانية، لأحمد أمين وزكي نجيب، ٢٥٢.

(٢) ينظر الإسلام والأديان دراسة مقارنه، د/ مصطفى حلمي، ٧٤ .

(٣) الديانات القديمة، ٦٠ .

وكلام الشيخ ليس بصحيح على إطلاقه إذ إن في الأخلاق التي يدعون إليها نبرة التشاؤم، والهروب من الواقع بقلة اللامبالاة لتصل إلى السراب؟!.

ومظهر الأخلاق عند البوذيين يظهر في مايلي :

أولاً : الحقائق الأربع :

وجد تحريف وتبديل في تعاليم بوذا، لأنها لم تدون بعده إلا بقرون، ويدعي البوذيون أن من الأمور المتفق عليها بينهم هي الحقائق الأربع [١] .

والحقائق الأربع كانت محور خطبة (بينارس) الشهيرة لبوذا، ويعتبرها البوذيون كنزهم الثمين .

يقول بوذا :

(هاكم أيها الإخوة الرهبان الحقيقة المقدسة حول الألم :

الولادة ألم، الشيخوخة ألم، المرض ألم، الموت ألم، الاتحاد بما لا نحب ألم، الفراق عما نحب ألم، عدم نيل الرغبة ألم، وباختصار تثير ألماً الخمسة الأنواع للتعلق – أي الخمسة الأنواع للتعلق التي تكون الأنا : الجسد، الحواس، التمثلات، التكوينات، والمعرفة – وهاكم أيها الرهبان الحقيقة المقدسة حول منبع الألم :

---

(١) ينظر فصول في أديان الهند، للأعظمي، ١٣٤ .

إنه التعطش – للوجود –، الـذي يـؤدي مـن ولادة إلى ولادة مـصحوباً باللذة، والرغبة التي تجد أينما كان لذتها، إنه التعطش إلى اللذة، الـتعطش إلى الوجود، والتعطش إلى اللا استقرار .

والآن أيها الرهبان، هاكم الحقيقة المقدسة حول إزالة الألم :

إنها إمحاء هذا التعطش بخنق اللذة كلياً وإبعادها، ورفضها بالتحرر منهـا نهائياً .

أما الحقيقة المقدسة حول الطريق إلى إزالة الألم أيها الرهبان فهذه :

إنها الطريق المقدسة المتفرعة إلى ثمانية انشعابات هي :

الإيمان الصحيح، الإرادة الصحيحة، اللغة الصحيحة، العمل الصحيح، وسائل الوجود الصحيحة، التطبيق الصحيح، الذاكرة الصحيحة، والتأمـل الصحيح)[١] .

فالحقائق الأربع قد حددها البوذيون من هذا النص وهي [٢] :

١- الاعتراف بوجود الألم والشقاء .

٢- يجب التسليم بوجود سبب للألم والشقاء .

٣- لا بد من التصميم لإزالة هذا السبب .

---

(١) البوذية، لهنري، ٣٣-٣٤ .

(٢) ينظر الإسلام والأديان، د/ مصطفى حلمي، ٨٨، والدين المقارن، لمحمود الحسيني، ٥٧ .

٤- وجود سبيل لتحقيق إزالة سبب الألم، ويكون عن طريق ثماني شعب ذكرت في النص، وقام أتباعه ببيانها وهي [(١)] :

١) الاعتقاد الصحيح :

يريدون الاعتقاد بالحقائق الأربع .

٢) النية الصالحة :

وتكون بنفي الذات، وإفادة الخلق، ويحصل بثلاث طرق :

أ. بترك الدنيا ولذاتها .

ب. بترك العداوة .

ج. بترك القتال .

٣) القول السديد :

بترك ما لا يعني، والاشتغال بالمفيد وبتهذيب المنطق .

٤) الفعل الحسن :

أرادوا به التذكر بالأجسام المركبة من أجزاء نجسة .

٥) الكسب الصحيح :

مع أنهم يعيشون على التسول ويحرمون العمل ؟!

---

(١) ينظر فصول في أديان الهند، للأعظمي، ١٣٦-١٣٧، وفي العقائد والأديان، د/ محمد جابر عبدالحي، ١٣٢، وآلهة في الأسواق، ٢٠٩ حاشية رقم ١ .

٦) السعي المشكور (التطبيق الصحيح) :

قصدوا به القيام بالأعمال النافعة .

٧) الذكرى الصالحة (الذاكرة الصحيحة) :

يريدون تذكر بوذا وسيرته وأحواله وعظاته .

٨) المراقبة الصحية :

مراقبة بوذا، واستحضاره في القلب، والتركيز على تمثاله [١] .

وقسم البوذيون هذه الشعب الثماني إلى ثلاث مراحل وهي :

١- الأولى :

الالتزام بالأخلاق البوذية، وتتضمن المنطق السليم، والعمل الطيب والعيش الحلال .

٢- الثانية :

الرياضة النفسية بالتأمل الذاتي وغيره، وتسمى عندهم الجهد الطيب والفكر السليم والتركيز السليم .

٣- الثالثة :

مرحلة التنور والمعرفة والكشف، وتشمل النظرة السليمة والقرار السليم.

---

(١) يوجد فرق في الألفاظ بين النص السابق المترجم، وبين الألفاظ المختارة في بيان هذه الشعب وعامتها ، وألفاظ الأعظمي آثرتها لكونه أعلم بديانات الهند ، فقد كان هندوسياً ثم أسلم وبين الهندوسية والبوذية تأثر كبير .

ويقولون هذه المراحل الثلاث تشبه درجات السلم التي يصعد بها البوذي إلى نرفانا، فلا تغني درجة عن أخرى [١] .

وتوجد عند البوذيين وصايا عشرة وهي عبارة عن مبادئ عامة صالحة وهي :

١- لا تزهق روح أحد .

٢- لا تكذب .

٣- لا تزن .

٤- لا تأخذ مالاً حراماً .

٥- لا تشرب أو تتناول مسكراً .

٦- لا تأكل طعاماً لم ينضج .

٧- لا تشاهد حفل غناء ورقص .

٨- لا تتزين ولا تستعمل عطراً .

٩- لا تتخذ أي فراش وثير .

١٠- لا تقبل من أي أحد ذهباً أو فضة [٢] .

---

(١) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) ينظر : الديانات والعقائد، للعطار، ١٢٧، والديانات القديمة، لأبي زهرة، ٦٢-٦٣، والأديان، د/ رشدي عليان، ٩٩ .

ويعتبرون أن من أخذ بهذه الوصايا فقد تحقق له الاستيلاء التام على الإرادة [١] .

وهناك قيود تمنع المرء من الوصول للنرفانا وهي :

١- الوهم الخادع في خلود النفس .

٢- الشك في بوذا وتعليماته .

٣- الاعتقاد في تأثير الطقوس والتقاليد الدينية .

٤- الشهوة .

٥- الكراهية .

٦- الغرور .

٧- الرغبة في البقاء المادي .

٨- الكبرياء .

٩- الجهل .

١٠- الاعتداد بالبر الذاتي [٢] .

ويمكن أن تتحطم القيود العشرة لمن يؤمن بالحقائق الأربعة، وتتحطم القيود العشرة على أربع درجات شيئاً فشيئاً وهذه الدرجات :

---

(١) الديانات القديمة، لأبي زهرة، ٦٢، ودائرة المعارف، للبستاني، ٥/ ٦٦٠.

(٢) ينظر الأديان دراسة تاريخية مقارنة، د/ رشدي عليان وآخر، ٩٩، وأديان الهند الكبرى، لأحمد شلبي، ١٦٨.

١- مجرد الإيمان بالحقائق الأربع يحطم القيود الثلاثة الأولى .

٢- والإيمان بالحقيقة الثانية يحطم الثلاثة التالية .

٣- فإذا اتبع الحقيقة الثالثة تحطمت الثلاثة السابقة نهائياً .

٤- وإن اتبع الحقيقة الرابعة واتبع الشعب الثماني تهدمت باقي القيود[1].

هذه أهم فلسفة الخلق عند البوذيين، وقد زعم بعض الغربيين أنها أرض المعارف الدينية التي عرفها العالم [2]، متجاهلين ما فيها من التشاؤم في هذه الحياة وتصويرها بالألم، بل قتل كل رغبة فطرية في الإنسان ، حيث لا تصل إلى النرفانا عندهم إلا عندما تنخمد وتنطفئ كل العواطف والرغبات، وما أجمل ما قاله العقاد عن انبهار بعض الغربيين بهذه الفلسفة:

(وعلينا أن نحترس من مغالاة الشراح الأوروبيين لهذه الفلسفة البوذية، لأنهم يتعصبون لكل منسوب إلى الآرية على اعتبارها عنصر الأوربيين الأقدمين والمعاصرين ، فقد رفعوها فوق قدرها بلا مراء، وزعموا أنها جرأة العقل الكبرى في مواجهة المشكلة الكونية ... وما البوذية كلها إلا تململاً من وطأة الحس والجسد، ولا سعادتها القصوى إلا ضيق بالحس وهرب منه إلى الفناء أو اللاوعي على أحسن تقدير) [3] .

(١) ينظر أديان الهند الكبرى، لشلبي، ١٦٨-١٦٩ .

(٢) ينظر حضارة الهند، غوستاف لوبون، ٣٦٢-٣٦٣ .

(٣) قال ذلك في كتابه (الله)، ٧٧ .

ثانياً : إنكار الذات : (آناتا) :

إنكار الذات من المباديء التي دارت حولها فلسفة الخلق في البوذية؛ فلما طالبوا بمحو كل إرادة للوصول للنرفانا أنكروا الذات ليمكن لهم تحقيق ذلك ، فمن لم يكن له ذات سهل عليه محو إرادته .

ونظرة البوذية حول الكائن تختلف عن الهندوسية التي ترى أن كل كائن له ذات تسمى (أتمان) وهي قبس من الإله (برامتما) أما البوذية فإنها ترى الذات غير واقعة ، أو هي لفظة مجردة لا وجود لها وسموا هذه النظرية (بأناتا) أي لا ذات .

وفسر البوذيون هذه النظرية بتفسيرين :

الأول :

ذات الإنسان غير حقيقة بل هي وهمية وتتكون من خمس عناصر :

١- الجسم .

٢- الحواس .

٣- التذكر .

٤- التفكير .

٥- الوعي .

الثاني :

فسروها بأنه لا وجود للذات ولا للروح فلا حقيقة ولا خلود لهما[١] .

والعجب أن بوذا يقول :

(فليكن كل أحد منكم اللجوء إلى نفسه ، إن نفسه فقط هو الملجأ الصحيح ... ولا يلتمس من غير نفسه مأوى) مع العلم أن بوذا يرى النفس وهماً وخيالاً فهل يصح أن يلجأ الإنسان للوهم والخيال ؟![٢] .

---

(١) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ١٢٩-١٣١ .

(٢) المصدر السابق، ١٣٣ .

المبحث الرابع :

كتب البوذية

لم تدع البوذية أن لها كتباً منزلة، وكتبهم هي عبارات منسوبة لبوذا، أو عبارات تحكي أفعاله (١) .

والانقسام الذي حدث للبوذيين جعل هناك اختلافاً في نصوص كتبهم، فبوذيو الشمال احتوت كتبهم على أوهام كثيرة، وكتب الجنوب أقل في الخرافات (٢) .

والنصوص الدينية التي خلفتها البوذية كثيرة جداً حتى قيل: ليس هناك كاهن بوذي استطاع قراءتها كلها (٣) .

ومع ذلك فقد تم تصنيفها في خمس مجموعات بحسب اللغة التي كتبت بها، وهي :

أ. المجموعات البالية : وهي أشهرها وأهمها، وتميزت بأنها تضمنت النصوص التي جمعها المجلس الذي عقده الأمبراطور (أسوكا)(٤)

---

(١) ينظر الأديان دراسة تاريخية مقارنة، د/ رشدي عليان، ١٠٠ .

(٢) ينظر الموسوعة الميسرة في الأديان، ٢/ ٧٧١ .

(٣) ينظر في العقائد والأديان، د/ محمد جابر، ١٢٦ .

(٤) هو من الملوك الذين اعتنقوا البوذية وساهم في نشرها خارج حدود الهند وسيلان، وحرص على جمع نصوص بوذا، ويعتبر قسطنطين البوذية، ينظر: البوذية، لهنري، ٧٧، وأديان الهند الكبرى، لأحمد شلبي، ١٨٥، وأطلس الأديان، لسامي المغلوث، ٦٣٢، وينظر من هذا البحث ص: ٣٩، ٤٠.

والبعض يراها أكثر تناسقاً من غيرها رغم ما فيها من اختلاف وقد نشرت معظم هذه النصوص البالية جمعية (ali Text Society) وذلك من مخطوطات في أكبر معبد في سيلان، والمخطوطات نقلت من أصول ألفت في الهند، علماً أن اللغة البالية لم تكن اللغة الأصلية للبوذية، كما أن هناك صلة بين اللغة البالية[١] والسنسكرتية[٢]، لكن ماتت اللغة السنسكرتية وكانت البالية معروفة في زمن الإمبراطور (أسوكا) ومنتشرة في أغلب بقاع الهند ؛ ولهذا كُتب بها، ولما ماتت اللغة البالية، وانتقلت العقيدة البوذية لبورما وسيلان ... وكتبت باللغات المحلية لهم، والرأي المشهور في زمن كتابتها هو ٨٠ ق.م، وقيل ٢٠ ق.م[٣] .

وبعض الباحثين يرى أنها زمن الملك أسوكا (٢٤٢ ق.م) فلما خاف زعماؤها ضياعها استقر رأيهم على كتابتها، وجعلوها في ثلاث مجموعات، ويظهر أنهم وضعوها في ثلاث سلال كل مجموعة في سلة خاصة ليعلقوها بعيدة عن الضرر وتقديساً لها، ولهذا سميت بالسلال الثلاث أو (البيتكات)[٤] : (Pitakas) .

وهذه المجموعات هي :

---

(١) لغة هندية قديمة، ينظر: أطلس الأديان، لسامي المغلوث، ٦٣٤.

(٢) لغة كان يتكلم بها الآريون ولما دخلوا الهند نقلوها معهم فسيطرت على الهند لأن الغزاة جاؤوا بها لكنها تلاشت وحلت البالية محلها بعد سيطرة البوذية على الهند وبعد انحسار البوذية عادت هذه اللغة مرة أخرى، ينظر: دائرة المعارف البريطانية، ٨/ ٨٧٣-٨٧٤.

(٣) ينظر المصدر السابق، ١٢٦ .

(٤) ينظر أديان الهند الكبرى، لشلبي، ١٩٧، والمقصود بالبيتكات: تعاليم بوذا التي جمعت في ثلاث سلال، ينظر: أطلس الأديان، لسامي المغلوث، ٦٣٤، والبوذية، د/ نومسوك، ٤٦.

١- السلة الأولى (سلة العقائد) (أبهيدهما) :

وتحتوي على العقائد، ولهذا سميت سلة العقائد (Abbi Dhamma Pitakas)، وتميزت بالطول والتعقيد، لأنها نظرات فلسفية، ولا يمكن وصفها بالقدم بمعنى أنها من البدايات، وأغلب الظن أنها ثمرة المجتمع البوذي.

٢- السلة الثانية (سلة الشريعة) :

وتحتوي على الشريعة ، ولذلك سميت بسلة الشريعة .

(Vinaya Pitakas)

٣- السلة الثالثة (سلة الحكايات) : وتحتوي على الحكايات، ولهذا سميت سلة الحكايات (Sutta Pitakas)[1] .

ب. مجموعة نصوص نيبال المهاينية[2].

ج. مجموعة نصوص وسط آسيا، وبعضها بالمهايني .

د. مجموعة النصوص الصينية ، وهي التي جمعت تحت إشراف بعض الأباطرة، وهي مترجمة من السنسكريتية إلى الصينية، بالإضافة لنصوص صينية أصلية .

هـ. مجموعة نصوص التبت .

---

(١) ينظر المصدر السابق، وفي العقائد والأديان، د/ محمد جابر، ١٢٧ .

(٢) المذهب الجديد في البوذية، ينظر: البوذية، د/ نومسوك، ٤٧، ومعجم المصطلحات البوذية (ملحق بكتاب البوذية)، لصلاح أبو السعود، ١٩٨.

ومما يجدر التنبيه عليه أن هذه النصوص ليست الوحيدة التي دونت عقائد البوذية فيها، بل هناك نصوص أخرى كثيرة باللغات المحلية المختلفة وسط آسيا، كما أن نصوص المهاينية لا تقف عند حد، لأن البوذي ينطق النصوص ويعتبرها وحياً، ولهذا لا يخطر على بال البوذي أن يستوعب أو يتقصى جميع النصوص، كما أن هذا الأمر جعلهم يختارون مجموعات تبدو أوثق من غيرها في نظرهم لذاتها، ومن هذه المجموعات (قطعة قاطع الماس) و (قطعة اللوتس)، وقطعتان تبتغيان للشفاعة؛ لدخول جنة أرض الغرب الطاهرة ؟!!، وفي اليابان طائفة بوذية تدعى (نيشرين) تنظر إلى قطعة اللوتس باحترام وتقدير عظيم [١] .

ومما ينبغي التنبيه عليه أن المجلس الأعلى للبوذية بأندونيسيا نشر السلة الأولى سلة العقائد (أبهيدهما)، عن طريق وزارة الشئون الدينية، والذي يعتبر الموجه للطائفة البوذية الأندونيسية وغيرها، وهو جزء صغير من (البيتكات) [٢] .

وقد قام بنشره د/ رؤوف شلبي في كتابه آلهة في الأسواق [٣] .

---

(١) ينظر : في العقائد والأديان، د/ محمد جابر، ١٢٨ .

(٢) ينظر آلهة في الأسواق، د/ رؤوف شلبي، ٢٣٧ .

(٣) ينظر المصدر السابق، ١٥٣-٢٣٥ .

المبحث الخامس :

العبادة عند البوذيين

من الملاحظ أن البوذية لا تعتمد في تأدية عبادتها على الحركات، بل طريقة التعبد عندهم تكون بـ :

١- الإكثار من الحمد والثناء على بوذا .

٢- التلذذ بذكر وتصور بوذا في الخلوة والاجتماع، والدعاء بأن تصير نفسه مثل بوذا، مع ذكر اسم بوذا وتصوره من مراتب العبادة العالية عند الرهبان البوذيين [١] .

والتعبد عند البوذيين يظهر في ثلاثة أمور [٢] :

أ.التعبد للرفات :

بعد حرق بوذا جمعت بقاياه باحتفال ديني، احتفظت بها بعض المدن بل وفاخرت في حيازتها لها، يخشع لهذه الرفات المؤمنون ببوذا، ويقدمون النذور، ويرتلون المدائح، ويتلون له الأقوال المقدسة .

---

(١) ينظر فصول من أديان الهند، للأعظمي، ١٤٧ .

(٢) ينظر البوذية، لهنري،٥٢-٥٤ .

وفي مدينة (رانغون)[١] (عاصمة مينمار) التي لقبت بمدينة الألف بوذا، تزعم وتفاخر بحيازتها لبعض شعر بوذا، وقد حفظت في معبد (شوي داغون)[٢] في أعلى برجه البالغ طوله (١١٢ متراً) .

وفي جزيرة سيلان التي فيها هيكل الفرس يزعمون أن لديهم أحد أضراس بوذا، يتعبدون له بخشوع .

ب. التعبد للتمثال :

حيث عمد أتباعه لصنع تماثيل لبوذا، بلغت الآلاف في المعابد التي تحتويها، يتعبدون لها ويخشعون في وقوفهم أمامها .

ج. ظاهرة الحج :

لقد نشأت في أول عهد البوذية ، وأما أماكن حجهم فقد ورد نص عندهم بأنه:

(حيث ولد القديس بوذا، حيث نزل عليه الوحي، حيث أدار عجلة الشريعة، وحيث دخل في النرفانا) [٣] .

ومن الترانيم التي يتعبد بها البوذيون :

(أسجد للبوذا الإله[٤] الكامل الذي انكشف له العالم .

أسجد للبوذا الإله الكامل الذي انكشف له العالم .

---

(١) تسمى حاليا ينغون وهي العاصمة السابقة لبورما (حاليا مينمار) ثم إن المجلس الحاكم الأعلى بها أطلق عليها الآن رانغون، وهي من أكبر مدن مينمار ويبلغ عدد سكانها أكثر من أربعة ملايين.

(٢) أحد المعابد في مدينة رانغون (ينغون).

(٣) البوذية، لهنري، ٥٤، وينظر : العبادات في الأديان السماوية، عبدالرزاق رحيم الموحي، ٤٠ .

(٤) وهذا الاعتقاد يبين انحرافهم عن معتقد بوذا الذي نادى به، فهو لم يدع لإله .وهذه عقيدة المذهب الشمالي.

أسجد للبوذا الإله الكامل الذي انكشف له العالم .

أعوذ بالبوذا الإله، أعوذ بالدين، أعوذ بجماعة البهكشو [١] .

أعوذ بالبوذا الإله، أعوذ بالدين، أعوذ بجماعة البهكشو .

أعوذ بالبوذا الإله، أعوذ بالدين، أعوذ بجماعة البهكشو .

أتقبل حكماً لا إيذاء فيه .

أتقبل حكماً لا سرقة فيه .

أتقبل حكماً لا شهوة فيه .

أتقبل حكماً لا كذب فيه .

أتقبل حكماً لا سكر فيه) [٢] .

ويحكى (نيما تسرين) [٣] جدول النساك الزمني اليومي :

(٧:٠٠ القيام من النوم والدراسة وتلاوة الأسفار البوذية والإفطار.

٧:٣٠ الاستعداد لاستقبال الحجاج والزوار في القاعدة الرئيسية .

---

(١) اصطلاح خاص بالفقراء والرهبان البوذيين .

(٢) فصول في أديان الهند، للأعظمي، ١٤٩، بتصرف يسير .

(٣) حافظ معبد (جوخانغ) بمدينة لاسا، بإقليم التبت، تخرج في المعهد البوذي ببكين، غادر مسقط رأسه عام ١٩٨٥م وعمره سبعة عشر عاماً إلى معبد جوخانغ، وعمره الآن ٣٤ عاماً .

٨:٠٠ فتح أبواب المعبد، ذهاب اللامات [١] إلى مكانهم لأداء المهمات .

١٣:٠٠ الغداء والاستراحة .

١٥:٠٠ بدء العمل .

١٨:٣٠ إغلاق أبواب المعبد ومتابعة الدراسة، ومناقشة الأسفار البوذية، والدرس المسائي .

٢٠:٠٠ تناول العشاء والدراسة) [٢] .

ومظهر العبادة عند البوذيين يختلف عن الهندوس، ففي البوذية تؤدى الصلوات في اجتماعات يحضرها عدد كبير من أتباعها، وهذا ما لا تعرفه الهندوسية، فالشعائر في الهندوسية تؤدى بعدد محدود وصغير [٣] .

كما أن البوذيين يقومون برياضة روحية تسمى (سمادهي) .

وتعني: سكون النفس أو الاستغراق، وتهدف إلى الفناء والفراغ وهو نهاية المطاف عند البوذيين [٤] .

---

(١) الرهبان .

(٢) مقال بقلم : (كه تينغ) من الإنترنت . عنوانه :

(http://www.china-pictorial.com/chpic/htdocs/rmhb/arb/٢٠٠١-٩a/nimaciren٪٥D.htm)

(٣) ينظر في العقائد والأديان، د/ محمد جابر عبد العال، ١٤٠-١٤١ .

(٤) البوذية، د/ نومسوك،٣١٢-٣١٣ .

المبحث السادس :

الرهبنة في البوذية

تقسم البوذية أهلها إلى طائفتين :

أولاً – المدنيون :

وهم سكان المنازل والبيوت وأصحاب الأموال .

ثانياً – الرهبان :

وهم من ترك وتنازل عن البيوت والمال، واللذة لممارسة الرهبنة [١] .

وتمر عملية الترهب عندهم بمرحلتين :

الأولى :

لا تحق إلا لمن بلغ سن السادسة عشرة من عمره، وفيها يتكرس جهد المبتدئ على أن يتخلى عن عالم المدنيين، ثم الانصراف إلى عقيدة بوذا، ويرافق المبتدئ معلمه المرشد، ويتقدم إلى جمعية الرهبان طالباً الإذن منهم ليقبلونه في درجة المبتدئ واعداً لهم بأن يتخلى إلاَّ عن المراجع الثلاثة قائلاً أمامهم :

(في بوذا أجعل ثقتي، وفي قوانينه، ومذهبه) [١] .

---

(١) ينظر : البوذية، د/ نومسوك، ٢٧٩، حاشية رقم ١ .

ثم يعدد المفاهيم العشرة الخاصة بمذهبهم قائلاً :

(إني أزهد بالحياة، وأزهد بالاشتهاء، وأزهد بالزنا، وجميع الأمور الدنسة، كما أزهد بالكذب، وأزهد بالمشروبات المعتقة، وأزهد بالأكل في الأوقات المحرمة، وإني أيضاً أزهد بالرقص والغناء وجميع الاحتفالات، كما أزهد بالتبرج والتعطر، وأزهد باستخدام سرير أو مرقد مرتفع أو وسيع، وأخيراً أزهد بقبول أي ذهب أو فضة) [٢] .

الثانية :

وهي مرحلة معرفة وتقبل سر الكهنوت، وتكون بمدة قد تطول أو تقصر بعد الأولى لكنها لا تحق إلا لمن أتم عشرين سنة، وفيها يرافق المبتدئَ كفيلان أحدهما معلمه المرشد، ويخضع لامتحان يعرف به جدارته لتقبل سر الكهنوت، كما أنها لا تتم إلا بعد التحقق من المواصفات التالية :

خلوه من مرض معد، أو عاهة، وأن يكون متمتعاً بكامل حريته في التصرف، وحصوله على إذن أهله، وبلوغه العشرين، وحيازته الثياب الثلاثة – الخاصة بهم – وقصعة التسول .

بعدها يقبل كراهب ويمكن له تركه أو أن يجبر على تركها [٣] .

---

(١) البوذية، لهنري، ٤٨ .

(٢) المصدر السابق، ٤٨ .

(٣) ينظر البوذية، لهنري، ٤٨-٤٩ .

وحقيقة الترهب عند البوذيين[١] :

هو الاعتزال الكلي عن شؤون الحياة المدنية، وتكون في سبعة أشياء :

١- الاعتزال عن الحياة المدنية وفي تملك الأموال والثروة، ولهذا يعيشون على التسول، وعلى الراهب أن يقنع بما يقدمه المدنيون له من طعام ولباس، وسكن، ودواء، ويعتبرون ذلك من حقوق الراهب المشروعة.

٢- الاعتزال عن الحياة المدنية في الترابط والاتصال بالأقارب، لأنه يسبب الهموم والتعلق، والتورط، بما في ذلك قطع الاتصال بالوالدين.

٣- الاعتزال عن العادة المدنية في اللباس، والاكتفاء باللباس الخاص وهو الإزار والرداء الأصفرين، وعليهم ترك التجمل.

٤- الاعتزال عن العادة المدنية في الأكل فلا يأكلون إلا مرة واحدة، وليس لهم الأكل بالليل، وليس لهم التلذذ والتشهي فيه ، لأنه صفات المدنيين.

٥- اعتزال أدوات المدنيين من الأدوات الثمينة والفاخرة كالذهب والفضة وما شابهها .

٦- ٧ – الاعتزال عن الكلام الذي يتكلم به المدنيون، وعن تصرفاتهم وأفكارهم التي تتولد عن الرغبات والشهوات، من غير رقابة.

---

(١) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ٢٧٩-٢٨٠ .

ولا تعني حياة الترهب عندهم بهذا المفهوم الامتناع عن الزواج وحسب بل الاعتزال التام والزهد المطلق [١] .

ومن السابق يتضح لنا بعض تقاليد الرهبان :

١- لبس اللباس الأصفر (إزار ورداء) .

٢- الخضوع للشيخ .

٣- التسول وترك العمل .

٤- الصوم الدائم بمعنى الأكل مرة وفي الضحى .

٥- الصمت الدائم .

٦- الانقطاع عن الزواج .

٧- السكنى بأديرتهم .

وأضيف أيضاً بعضاً من تقاليدهم غير المتقدم ذكره:

٨- السياحة مرة على الأقل خلال فترة الترهب بالخروج للبراري والغابات، وقد تكون منهم سياحة طوال العمر، ولا يتوقفون عن السياحة إلا في فصل الأمطار، وهي ثلاثة أشهر عندهم يعودون فيها لأديرتهم [٢] .

---

(١) المصدر السابق، ٢٨٠ .

(٢) المصدر السابق، ٣٠٩ .

٩- حلق الرأس وجميع شعر الوجه من لحية وشارب وحاجبين، والمشي حفاة فلا يلبسون نعالاً، اقتداء منهم ببوذا، وورد أن بوذا أذن لتلميذ مرض بسبب المشي حافياً أن يلبس نعالاً[١] .

ويرد السؤال لماذا يعمد البوذيون للترهب ؟!

يعتقد البوذيون أن أسرع وقت ممكن للوصول للنرفانا هو الانخراط في مسلك الترهب، فهو الذي يعطي أكبر فرصة للتحرر من القيود والعقبات التي تمنعهم من الوصول للنرفانا[٢] .

يقول الدكتور غوستاف لوبون :

(والزهد أحسن وسيلة لنيل حال بوذا، ومن هنا جاء النظام الرهباني الذي لم يعتم أن ملأ الهند بالأديار، وأقوى طريقة يتخذها الإنسان ليكون بوذا هو أن يقتل في نفسه الرغبة التي هي علة الحياة والألم، وهذا ما تهدي إليه الحقائق الكبرى الأربع التي هي أساس الشريعة البوذية، والتي تخاطب رجال الرهبان لا الجمهور)[٣] .

ومما ينبغي التنبيه إليه وملاحظته أن عدداً كبيراً من الكتاب عن البوذية قال إن بوذا أراد محو الطبقات[٤]، وهذا خطأ شائع إذ إن بوذا لا يرى إمكان

(١) المصدر السابق، ٢٩٩ .

(٢) المصدر السابق، ٢٨١ .

(٣) حضارات الهند، ٣٦٠-٣٦١ .

(٤) ينظر أديان الهند الكبرى، لشلبي، ١٥٣، والموجز في الأديان، د/ القفاري والعقل، ٨٧، والبوذية، د/ نومسوك، ٣٥٧ .

الهروب من التناسخ إلا لمن كان راهباً [١]، ولهذا فقد قسم البوذيون أنفسهم إلى قسمين : طائفة المدنيين، وطائفة الرهبان، والفضيلة التي يراها بوذا للمدنيين هي الإحسان ، وليس الإحسان لكل فقير بل لرهبانهم [٢]، فكيف يقال بعد ذلك بأنه أراد محو الطبقات .

(١) ينظر البوذية، لهنري، ٤٧ .

(٢) ينظر البوذية، لهنري ٥٢ .

المبحث السابع :

الدعوة البوذية بين الماضي والحاضر

اشتهرت دعوته بتسميتها بالنظام أو عجلة الشريعة، واشتهر عن بوذا عنايته الكبيرة في اختياره للدعاة الذين يقومون بنشر تعاليمه في الأقطار.

وكان بوذا يختبر من يرسله من الدعاة الذين يختارهم .

ومما يذكر له من القصص أن أحد المريدين واسمه (بورنا) أراد أن يرسله إلى قبيلة (سرونا بارنتا) لدعوتهم وكانت تعرف بالشراسة فقال له بوذا :

(إن رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب، فإذا وجهوا إليك ألفاظاً بذيئة خشنة، ثم غضبوا عليك وسبوك فماذا كنت فاعلاً ؟!

فأجاب بورنا : أقول : لا شك أن هؤلاء قوم طيبون، لينو العريكة، لأنهم لم يضربوني بأيديهم، ولم يرجموني بالحجارة .

قال بوذا :

فإن ضربوك بأيديهم ورجموك بالأحجار، فماذا كنت قائلاً ؟!

قال :

أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يضربوني بالعصى ولا بالسيوف .

قال بوذا :

فإن ضربوك بالعصى والسيوف ؟

قال :

أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يحرموني الحياة نهائياً !

قال بوذا :

فإن حرموك الحياة ؟!

قال :

أقول إنهم طيبون لينون إذ خلصوا روحي من سجن هذه الجسد السيئ بلا كبير ألم !

فقال بوذا :

أحسنت يا بورنا إنك تستطيع بما أوتيته من الصبر والثبات أن تسكن في بلاد قبيلة سرونا بارنتا، فاذهب إليهم، وكما تخلصت فخلصهم، وكما وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك، وكما تعزيت فعزهم، وكما وصلت إلى مقام النرفانا الكاملة فأوصلهم إليها مثلك .

فذهب بورنا إليهم وكانت النتيجة أن آمنوا كلهم بالبوذية واتبعوها)[1] .

---

(١) أديان الهند الكبرى، لأحمد شلبي، ١٥١-١٥٢ .

أقول :

لعل الصبر من الدعاة البوذيين، واهتمام بوذا بمن ينشر تعاليمه هو العامل القوي في انتشار البوذية حتى وصل عددهم في الوقت الحاضر إلى قرابة :

ستمائة مليون نسمة منتشرين بين عدد كبير من الشعوب الآسيوية (١) .

والحديث عن الدعوة البوذية يقودنا للحديث عن انتشارها في الأقطار وشيئاً من نشاطهم المعاصر :

أولاً : البوذيون في الهند :

انتشرت البوذية في عهد بوذا بين جميع الطبقات كرد فاعل ساخط على استبداد البراهمة،ثم لم تلبث أن انكمشت لعدة أسباب منها :

١- إنها لم تعن بالكلام عن الإله ، وبهذا فقد تركت فراغاً كبيراً في نفوس أتباعها، وبعد مضي الزمن عبد أتباعها آلهة الهندوس أو قاموا بعبادة بوذا نفسه متخذينه إلهاً لهم .

٢- لم يبن بوذا معابد ولم يأمر أتباعه بعبادة(١) فلجأ أتباعه إلى معابد الهندوس ووضعوا فيها تمثال بوذا ، فتلاشت البوذية بهذا في الهندوسية، خاصة وأن ثقافة الهندوس ترحب بكل إله جديد .

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ٢/ ٧٧٢ .

٣- اهتمت البوذية بالباطن وإصلاح الخلق ، وهذا أصعب من دعوة الهندوس التي قنعت بأمور ظاهرة من غسل في نهر مقدس، وأداء طقوس وقرابين ، فتخلى البوذيون يوماً بعد يوم عن عقيدتهم (٢) .

٤- وجود طبقية في البوذية التي أرادت التخلص من طبقية الهندوس، لكنها وقعت فيها وفرضت أموراً على من أراد الوصول للنرفانا يعجز عنها الكثير (٣) .

هذا ما آلت إليه البوذية في الهند حتى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وعندما جاء الملك آسوكا -والبوذية على وشك الانهيار- اعتنقها لما رأى فيها الدعوة للتسامح الذي كان ينشده بعد ويلات الحرب التي خاضها وندم لما رأى فظائعها، فوافقت هوى في نفسه فاعتنقها وبدأ ينشرها ودفع بها إلى خارج مملكته، ولهذا فالمؤرخون يعدونه قسطنطين البوذية (٤) .

ووصلت بعوثه التبشيرية إلى كل من سيلان، ونيبال، وتركستان، وفارس، وما جاورها من بلاد آسيا الوسطى، وإلى الشام، واليونان، ولعلها

---

(١) وهذا الاعتقاد يبين انحرافهم عن معتقد بوذا الذي نادى به فهو لم يدع لإله وهذه عقيدة المذهب الشمالي.

(٢) ينظر أديان الهند الكبرى، لشلبي، ١٨٣، والبوذية، د/ نومسوك، ٣٥٨ .

(٣) قد سبق أن الصحيح أن الطبقية توجد في البوذية خلافاً لمن زعم غير ذلك، وقد زعم د/ شلبي أن الطبقية المتأصلة في نفوس الناس من الهندوس أضعفت البوذية والصحيح أن البوذية فرت من الطبقية التي عند الهندوس لكنها جاءت بطبقية أصعب على الناس .

(٤) ينظر البوذية،لهنري، ٧٧، وأديان الهند الكبرى، لشلبي، ١٨٥ .

قد مهدت للمسيحية الرومانية وظهر تأثر المسيحية بها، فأصبحت البوذية عالمية بعد أن كانت هندية (١) .

وبعد موت آسوكا عاد الصراع بين البوذية والهندوسية التي لم تزل توافق ميولهم فانحسرت البوذية في الهند، أما في البلاد المجاورة فقد تقدمت وسارت بنجاح وانتشرت في شرق آسيا وكونت كتلة كبيرة في بورما وتايلاند والصين واليابان وإندونيسيا ونيبال والتبت وسيلان (٢) .

ثانياً : البوذية في شرق آسيا :

انتشرت البوذية في بلاد الشرق الأقصى بعد غيابها في الهند ،ومن البلدان التي انتشرت فيها :

بورما، وتايلاند، وكمبوديا، ولاوس، والصين، وكوريا، واليابان، والتبت، وسيلان، بل أصبحت ديانة رسمية لكثير من هذه البلدان، وكان سبب انتشارها هو بعثات الملك آسوكا (٣) .

و سألقي الضوء على وجودها في بعض البلدان المذكورة مع ذكر شيء من واقعهم المعاصر .

---

(١) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ٣٥٩-٣٦٠، وينظر من هذا البحث ص: ٤٦٥ حاشية رقم (٤).

(٢) ينظر أديان الهند الكبرى، لشلبي، ١٨٦ .

(٣) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ٣٦١-٣٦٢ .

١) الصين :

غالى البعض في وجود نسبة عالية من البوذيين في الصين حتى أعطى أرقاماً تشمل جميع الصين، نعم إن في الصين من البوذيين ما هو أكثر من أي بلد آخر، ولكن ليست البوذية هي الوحيدة[١] .

وقد دخلت البوذية إلى الصين عن طريق البر لا عن طريق البحر كما كان يظن، وذلك في منتصف القرن الأول الميلادي، وبسبب (السلام الصيني) الذي نشرته أسرة (هان) امتد أثر البوذية إلى الصين، كما أن الزوار للهند من الصين ومن آسيا الوسطى أثروا في نشر البوذية، لكن البوذية اصطبغت بالثقافة الصينية حتى أصبحت صينية محضة في طبيعتها وذلك في نهاية القرن الرابع ميلادي[٢] .

ومما ساعد على تقبل البوذية من الصينيين أنها دخلتهم بعد أن أصبح بوذا إلهاً وله تمثال، وهذا يوافق ثقافاتهم[٣]، ومن الصين انتقلت البوذية لليابان وكوريا[٤].

---

(١) هناك ثلاثة أديان منتشرة في الصين: البوذية، الكونفوشيوسية، الطاوية، ينظر: البوذية، لهنري، ٩٢ .

(٢) ينظر البوذية، لهنري، ٩٥-٩٧، والبوذية، د/ نومسوك، ٣٦٣-٣٦٤ .

(٣) ينظر أديان الهند الكبرى، لأحمد شلبي، ١٨٧ .

(٤) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ٣٦٤ .

واليوم تبدو الدعوة البوذية في الصين نشطة ففي تاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٤٢٤هـ أصدرت بكين عاصمة الصين قراراً ببناء أول مدرسة دولية لتعليم الديانة البوذية بمدينة يانغستة بمقاطعة جيانغسو جنوب شرق الصين، وتحمل هذه المدرسة اسم الراهب الراحل (جيان تشن) الذي قام برحلة إلى اليابان قبل ١٢٥٠ عاماً لنشر البوذية هناك، وتقام المدرسة على مساحة عشرين هكتاراً، وتقبل الطلبة من شتى أنحاء الصين، ودول آسيا المجاورة، وتقدر الدفعة الواحدة بألف طالب يدرسون مدة أربع سنوات، علماً أن الصين يوجد بها نحو ١٣ ألف معبد بوذي [١] .

١) اليابان :

لاقت البوذية قبولاً أكثر في اليابان منها في الصين، إذ كانت الشنتوية[٢] بدائية لم تستطع مقاومة البوذية فتقبل اليابانيون البوذية بسهولة [٣]، وقد دخلت اليابان في حدود عام ٥٤٧ ميلادي [٤] .

وفي عام ١٨٦٧م استولى الإمبراطور (موتسوهيتو) على الحكم، وأصدر قراراته بمحو البوذية وإعلان الشنتوية دين الدولة الرسمي، ولم

(١) شبكة الإنترنت بعنوان :

(http://news.masrawy.com/masrawynews/٠٩٠٩٢٠٠٣/١٦١٢٥٤news.htm)

(٢) ديانة وضعية اجتماعية ظهرت في اليابان منذ قرون طويلة، ولا زالت الدين الأصيل فيها، وقد بدأت بعبادة الأرواح ثم قوى الطبيعة...ثم تطوير احترام الأجداد والزعماء والأبطال إلى عبادة الإمبراطور (الميكادو) الذي اعتبروه من نسل الآلهة، ينظر الموسوعة الميسرة، ٢/ ٧٤٢ .

(٣) ينظر البوذية، لهنري، ١٠١ .

(٤) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ٣٦٤ .

يلبث في عام ١٨٨٤م أن ألغي هذا القرار، وفي عام ١٨٨٩م عادت الحرية للجميع، لكن دخلت البوذية بعض ملامح الشنتوية التي تمجد الإمبراطور والأقدمين والأمة، وأصبحت البوذية الدين الوطني لليابان، ويدل إحصاء عام ١٩٣٣م على وجود أكثر من ٤٠ مليون بوذي من ٦٠ مليون نسمة، و١٦٠ ألف راهب وراهبة، وحوالي ٨٠ ألف معبد ودير [(١)] .

وفي عام ١٩٣٥م قام الراهب البوذي (أنطاي تومو ماتسو) بوضع شركة دولية بوذية تكون لها فروع في مختلف البلدان. وتحاول البوذية في اليابان أن تستفيد من العقائد الفلسفية والعلمية الحديثة، وتلتصق بها مما يكون متوائماً مع أفكارها ومبادئها، وكان للانكسار العسكري لليابان أثر في تخفيف الانطلاق للبوذية في اليابان لكنها بعد تخلصها من الاحتلال السياسي لم تعد مقيدة كالسابق [(٢)] .

والبوذية في اليابان تقارب ستين فرقة أشهرها بوذية (زن) وهي التي تعتمد على التأمل الذاتي ورياضة (سمادهي) [(٣)] .

٢) التبت (هضبة تشينغهاي) :

منذ القرن السابع الميلادي دخلت البوذية إلى التبت الصينية، ومنذ ذلك الوقت أصبحت البوذية الدين الوحيد للتبتيين [(٤)] .

---

(١) ينظر البوذية، لهنري، ١٠١-١٠٢ .

(٢) ينظر المصدر السابق، ١٠٤ .

(٣) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ٣٦٥ .

(٤) ينظر البوذية في التبت، مقال بقلم : تانغ تاو، من شبكة الإنترنت بعنوان :

ويقال إن البوذية دخلت التبت في عهد الملك (سترونغ تسان) الذي تزوج أميرتين بوذيتين إحداهما نيبالية والأخرى صينية فأثرتا فيه وانتشرت في قصره، أما الشعب فتعرف إلى العقيدة عبر رهبان هنود، في حوالي عام ٧٥٠م، ونسبة واحد من خمسة ينصرف إلى الحياة الرهبانية من التبتيين [1] .

وتنتمي البوذية التبتية إلى بوذية (ماهايانا)، لكن للبوذية التبتية خصائص مميزة فعندهم نظام تقمص روح بوذا الحي، والذي لا يوجد في بوذية الصين، وفي التبت عدة طوائف بوذية إلا أن أشهرها طائفة (قه لو) وفي هذه الطائفة عقيدة البوذيين الحيين [2]، أحدهما (البانتشن) والآخر يسمى (الدلاي لاما) [3]، ومنطقة التبت ذاتية الحكم، ويوجد بها أكثر من ١٤٠٠ معبد كبير وصغير، وفي عام ١٩٩٢م لما توفي البانتشن العاشر خصصت الدولة أموالاً لبناء برج (باغودا) وقاعة تذكارية لجثمان البانتشن العاشر، وقد أسس فرع الجمعية البوذية الصينية: المعهد البوذي بالتبت، وينظم دورات لدراسة الكتب البوذية في بعض المعابد، كما يرشح عدداً من رجال الدين البوذي الذين يحملون لقب البوذا الحي والراهب العالم إلى بكين لإكمال الدراسة في قسم اللغة التبتية للمعهد البوذي العالي الصيني .

(http://www.china-pictorial.com/chpic/htdocs/rmhb/arb/٢٠٠١-٩a/xueyufeyin.htm)

(١) ينظر البوذية، لهنري، ٨٦ .

(٢) يعتقدون أن الإله يحل فيهما ولهذا يعتقدون أن فيهما خصائص الإله .

(٣) عندما يتوفى أحدهما يتم البحث رسمياً عن الصبي الذي يخلفه .

وعام ١٩٨٤م أهدت حكومة منطقة التبت كتاب (قانزور) البوذي باللغة التبتية للجمعية البوذية، وأسست دار طبع الكتب البوذية بلاسا لتوفير كتب (قانزور)، وعام ١٩٩٠م بدأت الجمعية البوذية بمنطقة التبت بنحت نصوص كتاب (قانزور)، وعام ١٩٨٥م أسست الجمعية مجلة (البوذية بالتبت) ويوجد بالمنطقة الآن أكثر من ٣٤ ألف راهب وراهبة، وتم انتخاب بعضهم نواباً للشعب، وأعضاء بمجلس المؤتمر الاستشاري السياسي، وتولى بعضهم مناصب في الحكومة، وتقوم المنظمات البوذية بالتبت بزيارة للدول الأجنبية وبالتبادل أكاديمي، وتستقبل الجماعات والأفراد من عشرات الدول التي تزور التبت للحج والزيارة والاستطلاع[١].

ثالثاً – البوذية في بلاد السند وآسيا الوسطى :

لما ضعفت البوذية في موطنها الأصلي الهند انتقلت إلى شمال الهند خاصة بلاد السند واستوطنوها حتى فتحها القائد المسلم محمد بن مسلم الثقفي[٢].

وحكى البلاذري عن مواطنهم وأصنامهم ونشاط رهبانهم السمنيين[٣] .

وكان هناك صراع بين البوذيين والبراهمة ، حيث لقي الكثير من البوذيين الظلم منهم، ولما جاء الإسلام لبلاد السند فرحوا بعدالته ورحمته فتعاونوا

---

(١) ينظر مقال بعنوان : الاعتقادات الدينية، ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٣م من شبكة الإنترنت بعنوان :
(http://www.fmprc.gov.cn/ara/ljzg/zgxz/t٢٢٤٥٨.htm)

(٢) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ٣٦٧ .

(٣) ينظر فتوح البلدان، ٤٢٤-٤٢٨ .

معهم على البراهمة، بل ودخل كثير منهم في الإسلام حتى لا يكاد يذكر لهم وجود في بلاد السند [١] .

أما آسيا الوسطى فقد انتشرت البوذية فيها بسبب الدعاة الذين أرسلهم أسوكا إلى كشمير، وأفغانستان وفارس، وكانت منتشرة قبل الإسلام انتشاراً واسعاً فيها [٢]، وكانوا يرون أن (بوداسيف) هو نبي السمنية [٣] .

وظلت البوذية في آسيا الوسطى إلى القرن الثامن الميلادي حتى فتحها المسلمون بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي وقد بدأت حملاته في عهد الوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦هـ) فانتشر الإسلام وتحطمت الوثنية في تلك البلاد [٤]، وإن بقيت أطلالها.

رابعاً : البوذية في آسيا الجنوبية :

دخلت البوذية في آسيا الجنوبية عن طريق حملات أسوكا، التي وصلت إلى جزيرة سيلان، وميـنمار، وكمبوديا، وسيام (تايلاند) وأخذت في تايلاند الحماية الرسمية [٥]، واليوم أصبحت للبوذيين جامعات بها، وكثر من يؤلف منهم عن البوذية.

---

(١) ينظر البوذية، د/ نومسوك،٣٦٩ .

(٢) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ٣٦٩ .

(٣) ينظر الفهرست، لابن النديم، ٤٨٤ (عرضت لإبطال القول بنبوته) .

(٤) ينظر البوذية، د/ نومسوك، ٣٧٢-٣٧٣، زالت ديانة الوثنية من تلك البلاد وبقيت آثارها وقد سمعنا قبل قرابة العامين بتحطيم أصنام بوذا في أفغانستان.

(٥) ينظر البوذية، لهنري، ٨٢-٨٥ .

خامساً : البوذية والغرب :

حاول الملك أسوكا نشر دعوة البوذية ما أمكن حتى الممالك الإغريقية في سورية ومصر وليبيا، ويزعم هنري أن محاولات الملك لم تنجح وينكر أن تكون قد أثرت البوذية في المسيحية وهذا زعم باطل [1]، وقد عقد الشيخ أبو زهرة مقارنة بين المسيحية والبوذية أبرز من خلالها التطابق بينهما وفيه يظهر مدى تأثير البوذية على المسيحية [2] .

لكن هنري أقر أنه في القرن التاسع عشر بدأت البوذية تغزو العقول في العالم الغربي، وفي ذلك القرن ظهر أثرها على الفلسفة الأوروبية، ويتضح ذلك في فلسفة (شوبنهاور) ففي كتابه (العالم إرادة وتجسيد) نقل وصية بوذا لتلاميذه وصولاً للخلاص، وشوبنهاور يرى أن مصدر كل ألم هو الإرادة على التشبث بالحياة ولا يستطيع الإنسان أن يصل للراحة الأبدية إلا بمحو كل إرادة وهذا هو فكر بوذا، ولعل بهذا يظهر أن نظرة التشاؤم التي عند شوبنهاور هي نظرة التشاؤم عند بوذا [3].

وأرى والعلم عند الله أن مما أثرته البوذية على الفلسفة الغربية أو على الأقل أوحت به هي فكرة التطور عند دارون، واستفادتها من مراحل الاستنارة عند بوذا ، ففي المرحلة الأولى كما تقدم أنه رأى سلسلة طويلة من

---

(١) ينظر المصدر السابق، ١٠٥ .

(٢) ينظر الديانات القديمة، لأبي زهرة، ٤٨-٥٧ .

(٣) ينظر البوذية، لهنري، ١٠٧، وقد قرر الدكتور شلبي أن الديانات الهندية كلها ذات نظرة تشاؤمية، ينظر أديان الهند الكبرى، ٢٠٣ .

ولادته إلى موته، وأنه ولد حيواناً ، ونظرية التطور عند دارون فيها النفس البوذي لكن بتفاصيل أدق ربما لإخفاء مصدره، و مما يزيد الاحتمال الذي ذكرته ما يقوله الشيخ عبدالرحمن حبنكة الميداني في وصفه وحديثه عن دارون: « وكان شغفه بالرحلات العلمية الاستكشافية وراء البحار »[1].

أقول:

إن الشغف بالرحلات العلمية والاستكشافية يجعله ذا اطلاع كبير على الثقافات الخارجية، والله تعالى أعلم .

---

(١) كواشف زيوف، لحبنكة، ٣١٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بإنجاز هذا البحث الذي أوصى في خاتمته إخواني طلبة العلم على أن يحرصوا ما استطاعوا على نشر دين الله، فالإسلام دين كامل ترتضيه العقول والفطر السليمة،ومما يساعد على قبول دعوته أن العلاقة بين المسلمين والبوذية لا تحمل طابع العداء العنيف مما يجعلهم مجالاً خصباً للدعوة الإسلامية [1] .

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه،،

---

(١) ينظر الموسوعة الميسرة، ٢/ ٧٧١ .

فهرس المصادر والمراجع

١- أديان الهند الكبرى، د/ أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، العاشرة، ١٩٩٧هـ .

٢- الأديان دراسة تاريخية مقارنة، د/ رشدي عليان وآخر، جامعة بغداد.

٣- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، لعبد القادر شيبة الحمد، طبع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة .

٤- الإسلام والأديان، د/ مصطفى حلمي، دار الدعوة، الاسكندرية، ١٩٩١م .

٥- أطلس الأديان، لسامي بن عبدالله المغلوث، مكتبة العبيكان، الرياض، الثانية، ١٤٣٠هـ.

٦- آلهة في الأسواق، د/ رؤوف شلبي، مكتبة الأزهر، القاهرة، ١٤٠٠هـ .

٧- البوذية، لهنري أرفون، ترجمة هنري زغيب، المنشورات العربية، المطبعة البولسية، جونية، ١٩٧٥م .

٨- البوذية تاريخها وعقائدها،د/ عبدالله نومسوك، أضواء السلف، الأولى، ١٤٢٠هـ .

٩- البوذية عقيدة دينية أم دعوة إصلاحية، لصلاح أبو السعود، مكتبة النافذة، مصر، الجيزة، الأولى، ٢٠٠٨.

١٠- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٨م.

١١- حضارات الهند، غوستاف لوبون، ترجمة / عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، طبع عيسى الحلبي، ١٣٦٢هـ.

١٢- دائرة المعارف، للبستاني، دار المعرفة، بيروت .

١٣- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د/ سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض، الثالثة.

١٤- الديانات القديمة، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة .

١٥- الديانات والعقائد، أحمد العطار، مكة المكرمة، الأولى، ١٤٠١هـ .

١٦- الدين المقارن، لأبي الفيض محمود الحسيني، دار نهضة مصر، القاهرة.

١٧- العبادات في الأديان السماوية، عبدالرزاق رحيم الموحي، الأوائل، دمشق، ٢٠٠١م.

١٨- فتوح البلدان للبلاذري، تحقيق رضوان محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ .

١٩- فصول في أديان الهند، د/ محمد الأعظمي، دار البخاري، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٧هـ .

٢٠- الفلسفات الهندية، د/ علي زيغور، دار الأندلس، الأولى، ١٩٨٠م.

٢١- الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة، بيروت .

٢٢- في العقائد والأديان، د/ محمد جابر عبدالحي، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م .

٢٣- قصة الحضارة، لول ديورانت، ترجمة د/ زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة .

٢٤- قصة الفلسفة اليونانية، لأحمد أمين وزكي نجيب محمود، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٢٥- قصة الفلسفة، لول ديورانت، ترجمة أحمد الشيباني، مصدر عن المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٥م .

٢٦- كتاب (الله)، د/ عباس العقاد، دار المعارف، مصر .

٢٧- كواشف زيوف، لعبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الثالثة، ١٤١٩هـ.

٢٨- المسيحية (النصرانية)، لساجد مير، دار السلام، الرياض، الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٩- معجم مصطلحات البوذية ملحق بكتاب (البوذية عقيدة دينية أم دعوة إصلاحية)، لصلاح أبو السعود، مكتبة النافذة، مصر، الجيزة، الأولى، ٢٠٠٨.

٣٠- مقال بعنوان: (الاعتقادات الدينية)، شبكة الإنترنت الموقع:

http://www.fmprc.gov.cn/ara/ljzg/zgxz/t٢٢٤٥٨.htm

٣١- مقال بعنوان: (البوذية في التبت) بقلم (تانغ تاو) شبكة الإنترنت الموقع:

http://www.china-pictorial.com/chpic/htdocs/rmhb/arb/٢٠٠١-٩a/xueyufeyin.htm

٣٢- مقال بقلم (كه تينغ) بعنوان : (حافظ معبد جوخانغ) عنوان الموقع :

http://www.china-pictorial.com/chpic/htdocs/rmhb/arb/٢٠٠١-٩a/nimaciren٪٥D.htm

٣٣- مقال في شبكة الإنترنت الموقع:

(http://news.masrawy.com/masrawynews/٠٩٠٩٢٠٠٣/١٦١٢٥٤news.htm)

٣٤- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د/ القفاري ود/ العقل، دار الصميعي، الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٥- الموسوعة الميسرة، للندوة العالمية، إشراف د/ مانع الجهني، الثالثة، ١٤١٨هـ.

فهرس الموضوعات